اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

خطب نهج البلاغة دراسة توصيلية

فاتن فاضل كاظم

ماجستير لغة عربية

جامعة بابل

اقرار المشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

اشهد ان إعداد رسالة الطالبة **(فاتن فاضل كاظم العبيدي)** الموسومة بـ **(خطب نهج البلاغة دراسة توصيلية)** قد جرى تحت اشرافي، في قسم اللغة العربية في كلية التربية–جامعة بابل وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في آداب اللغة العربية.

المشرف على الرسالة:

الاسم: د. قيس حمزة فالح الخفاجي

الدرجة العلمية: استاذ مساعد

الامضاء:

التاريخ:

بناء على التوصيات المتوافرة ارشح هذه الرسالة للمناقشة:

رئيس قسم اللغة العربية:

الاسم: د. عامر عمران الخفاجي

الدرجة العلمية: أستاذ مساعد

الامضاء:

التاريخ :

إقرار لجنة المناقشة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن أعضاء لجنة المناقشة: نشهد اننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة (**خطب نهج البلاغة دراسة توصيلية**) التي أعدتها الطالبة (**فاتن فاضل كاظم العبيدي**) وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها. وهي جديرة بالقبول بتقدير (   ) لنيل شهادة الماجستير في آداب اللغة العربية.

عضو اللجنة :
الاسم : د.محمد عبد الحسين الخطيب
الدرجة العلمية : أستاذ مساعد
الامضاء:
التاريخ:

عضو اللجنة:
الاسم : د.هناء جواد عبد السادة
الدرجة العلمية : أستاذ مساعد
الامضاء:
التاريخ:

عضو اللجنة : (المشرف)
الاسم : د.قيس حمزة الخفاجي
الدرجة العلمية : أستاذ مساعد
الإمضاء :
التاريخ :

رئيس اللجنة:
الاسم : د.عباس محمد رضا
الدرجة العلمية : أستاذ
الإمضاء :
التاريخ :

أصادق على ما جاء في قرار اللجنة المناقشة

عميد كلية التربية
الاسم : د. لؤي عبد الهاني السويدي
الدرجة العلمية :
الإمضاء :
التاريخ :

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ – هـ
التمهيد:الخطابة والتوصيل........................	١-٣١
الفصل الأول:طرفا الإرسال	٣٢-١٠٧
مدخل:الدور الرسالي........................	٣٣-٣٨
المبحث الأول:المرسل	٣٩-٧٤
سمات الإمام وفضائله........................	٤٠-٥٣
مرتكزات الإرسال........................	٥٤-٧٤
المبحث الثاني:التوجه الخطابي	٧٥-١٠٧
منبر الإرسال........................	٧٦-٨١
الصوت الرسالي........................	٨٢-٨٩
وصف المخاطبين........................	٩٠-١٠٧
الفصل الثاني:الخطاب الرسالي	١٠٨-١٩٩
مدخل:الإمامة نظام محكم........................	١٠٩-١١٢
المبحث الأول:أجزاء الخطاب	١١٣-١٤٧
أجزاء الخطاب........................	١١٤-١١٥
ابتداء الخطاب........................	١١٦-١٢٣
غرض الخطاب........................	١٢٤-١٢٨
المحاجة........................	١٢٩-١٣٩
خاتمة الخطاب........................	١٤٠-١٤٧

المبحث الثاني أنواع الخطاب ١٤٨-١٩٩
أنواع الخطاب الرسالي.................................١٤٩
الخطاب الديني................................... ١٥٠-١٧١
الخطاب السياسي...............................١٧٢-١٨٨
الخطاب الجهادي...............................١٨٩-١٩٩
الفصل الثالث:التوصيل الرسالي ٢٠٠-٢٨٤
مدخل:الإمامة قدرة وهداية........................٢٠١-٢٠٣
المبحث الأول:بلاغة الخطاب الرسالي ٢٠٤-٢٤٤
بلاغة الخطاب الرسالي...........................٢٠٤-٢٤٥
المبحث الثاني:المهمة الرسالية ٢٤٦-٢٨٦
تلقي الخطاب....................................٢٤٧-٢٦٦
الإمامة والتوصيل...............................٢٦٧-٢٨٦
الخاتمـــة...٢٨٧-
٢٩١
قائمـــة المصـــادر...................................٢٩٢-
٣٠٤

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا محمد خير المرسلين و على اله الطيبين الطاهرين والدعاء بتعجيل الفرج لصاحب العصر و الزمان (عجل الله فرجه) وأن يجعلنا الله تعالى من أنصاره الأخيار يوم يملأ الأرض قسطاً و عدلاً .

التوصيل غاية قام عليها النتاج الأدبي، وأساس قام عليه النتاج النقدي قديماً وحديثاً، وقد تجسدت هذه الغاية بوصفها عملية في النتاج النقدي القديم و بوصفها نظرية شكلية عند النقاد المُحدثين، فالتوصيل حلقة ربطت النتاجين الأدبي و النقدي من جانب، و القديم بالحديث من جانب آخر، و الدين بالأدب من جانب ثالث .

وقد كانت خطب الإمام علي (عليه السلام) خطباً متفرّدة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو إمام البلغاء و سيد الفصحاء وكلامه دون كلام الخالق و فوق كلام المخلوقين ، وبه بلغت الخطابة أوجها ومن نوره تجلّت الحقائق كلها، فان كان القرآن شاملاً لعلوم لم يصل العلم الحديث لحد الآن إلا لجزءٍ يسير منها، فان الإمام (عليه السلام) مستثار تلك العلوم و مفتاحها و إن كان رسول الله (صلى الله عليه و اله و سلم) مدينة العلم فالإمام علي (عليه السلام) بابها والسبيل الموصل لها .

وقد حاولت منطلقةً، من عدم امتلاك مبادئ النقد لقوة القوانين ولا لحتمية العلوم التجريبية بما يمكن تجديدها أو تجاوزها أو التوفيق بين متنا قضاتها، ومن إمكانية اعتماد قصد المؤلف

خاصة (في حالات يتواءم قصده مع ما يثبته النص) ، دراسة خطب الإمام (عليه السلام) التي جمعها الشريف الرضي في كتاب (نهج البلاغة) دراسة توصيلية بناءً على ارتباط عملية التوصيل بالخطاب، انطلاقاً من المهمة الرسالية التي خصّ بها الإمام (عليه السلام)، وذلك بالتزام المقاصد والأغراض التي يعلنها في خطابه، ولا سيما ان الإمامة مقام تجسّد في أبعاد خطاباته .

وقد واجهتني صعوبات كثيرة، وأولها المسؤولية الكبيرة التي تفرضها دراسة نصٍ وإن عُدّ دون النص السماوي مرتبة، إلا انه لا يقل أهمية وما تتطلبه تلك الدراسة من صفاء نية و إخلاص طاعة لله عز وجل. وكانت المصادر صعوبة أخرى تواجه الباحث ولا عجب ! !؛ لأن الإمام (عليه السلام)علمٌ هادٍ ونورٌ يستضيء به كل محب إلا إن اختلاف مياه السقيا التي روت تلك الكتابات ومنابعها قد اخفت زوايا مهمة من خطاب الإمام علي (عليه السلام) وأظهرت أخرى لذا كان لابد من معرفتي للإمام (عليه السلام) عن كثب قبل الكتابة عنه .

وقد جاءت دراستي بتمهيد و ثلاثة فصول، فقد بدأت الدراسة بتمهيد حاولت فيه معرفة التوصيل بوصفه عملية ارتبطت بالخطابة عند اليونان ومثلها عند العرب في أولى المؤلفات النقدية ، ثم تحولت إلى دراسة التوصيل بوصفه نظرية بنيوية اكتملت أطرافها على يد جاكبسون أحد رواد المدرسة الشكلية، والإشارة إلى امتداد الخيوط التي تجمع القديم بالحديث .

وفي الفصل الأول تناولت طرفي الإرسال،فكان الدور الرسالي للإمام عليه السلام مدخلاً انطلقت منه لدراسة الطرفين فابتدأت بالمرسل لكونه يمثل المصدر الأساس للخطاب ، فكانت سمات الإمام الرسالية و مرتكزات الإرسال في المبحث الأول منه ثم انتقلت إلى المبحث الثاني

لدراسة توجه الإمام (عليه السلام) لجمهور مخا طبيه بخطابه الرسالي ،فكان منبر الإرسال الهدي الجامع لطرفي الإرسال لينطلق منه الصوت الرسالي الخالد متوجهاً بخطابه إلى الناس جميعاً ومحاولاً إصلاح المجتمع الإسلامي ليكون خطاب الإمام (عليه السلام) صورة لذلك المجتمع .

أما الفصل الثاني فقد خصصته لدراسة الخطاب الرسالي للإمام، فكانت (الإمامة نظاماً محكماً) مدخلاً انطلقت منه لدراسة بناء الخطاب بوصفه نظاماً يجمع أجزاء الخطاب من (ابتداء وغرض وخاتمة) في المبحث الأول منه، ويوحّد أنواعه من (سياسي،وديني،وجهادي) في المبحث الثاني ليشكل نظاما محكماً لا يخل به اقتطاع ولا يؤثر فيه تقسيم .

ثم تحولت في الفصل الثالث لدراسة التوصيل الرسالي فكانت (الإمامة قدرة وهداية) مدخلاً انطلقت منه لدراسة بلاغة الخطاب الإعجازية في المبحث الأول وتلقي ذلك الخطاب ومنه إلى استقصاء السلك الجامع بين النبوة والإمامة للوصول إلى المهمة الرسالية التي خص بها الإمام (عليه السلام) في المبحث الثاني، ثم انتهيت إلى الخاتمة التي أوجزت فيها بعض ما وصلت إليه في دراستي .

ولأن الدراسة اعتمدت نص خطاب الإمام أساسا ودرست مهمة قائله (عليه السلام) من خلال فهم الخطاب نفسه، مع اعتماد بعض ما ورد في أقواله وكتبه، ولأن خطاب الإمام الرسالي منطلق للدراسات النقدية والبلاغية القديمة منها والحديثة كافة، فقد تجاوزت العديد من مصادر الدراسة لكونها بنيت على خطاب الإمام(عليه السلام) .

و لسهولة استخراج الخطاب فقد آثرت اعتماد كتاب(نهج البلاغة) الذي ضبطه د . صبحي صالح ، مع الاستعانة بما أورده من معاني لبعض مفردات الخطاب التي يصعب معرفة معناها ، وأخذت منه رقم الخطبة مرفقة مع الرمز (خ)، سواء منها ما عنونه الشريف الرضي بكلام أو ما ذكره بوصفه خطابا ،ومثلها رقم الصفحة الذي ذكرته مرفقاً مع الرمز (ص) .

ولا بد من كلمة شكر وان كانت قاصرة أتوجه فيها إلى الباري عز وجل الذي لا تحصى آلاؤه ولا تعد نعماؤه مسبب الأسباب والهادي إلى الكتاب بسراجه المبين ووليه الأمين، دليل المتحيرين وسبيل الناجين وإياه اسأل واليه ابتهل وارغب في تمام العافية ودوام المغفرة والرحمة وأن يوزعني من شكر نعمائه ما يبلغ بي غاية رضاه وأن يتجاوز عن سوء ما عندي بحسن ما عنده وأن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع الذي وفقني إليه بأحسن القبول وان يجعله لي عدة في حياتي ونجاة بعد مماتي وان يجعلني من محبيه الأبرار ونصرته الأخيار انه وليّ التوفيق .

وأتقدم بالشكر إلى الأستاذ المشرف د . قيس حمزة الخفاجي الذي كان سببا في انتقاء التوصيل موضوعا لدراسة خطاب الإمام عليه السلام، و إلى الأستاذ علي حسين الذي كانت ملاحظاته النيّرة سبباً في الاهتداء إلى التوصيل الرسالي المستمر إلى آخر الزمان، وإلى جميع أساتذتي في قسم اللغة العربية الذين كانوا لي قدوة قبل أن أصل إلى العلم الهادي المخصوص بالاقتداء حفظهم الله جميعا وهداهم لخدمة العلم والسير بنهج الراسخين فيه .

وأتوجه بخالص الشكر والدعاء إلى عائلتي الكريمة القلوب الكبيرة والأيدي الممدودة لي بالدعاء وأستميحهم العذر في الانصراف إلى البحث والانشغال به دونهم ، وإلى كل من تفضّل على

البحث وصاحبته فنال اهتماماً من سؤاله الكريم، جعلنا الله وإياهم من الأنصار الأخيار والمتقين الأبرار ورزقنا حسن العاقبة في المبدأ والمآل إنه حفيٌّ بالدعاء قريب مجيب .

التمهيد

الخطابة والتوصيل

الخطابة لغة : من خطب، يخطب، خطابة.

والخطبة هي اسم الكلام الذي يخطب به، فالخطبة عند العرب هي كلام منثور مسّجع "مثل الرسالة التي لها أول وآخر"[١].

والخطابة فن نثري قديم عماده اللسان، نشأ مرتبطاً بفطرة الإنسان، ملبياً لحاجاته وحاجات مجتمعة في الدفاع عن النفس وجمع الرأي وتجاوز الخلافات ووحدة الصف، فهو"ركن من أركان الحياة الاجتماعية في كل عصر وفي كل أمة " [٢]، لم تخل منه أمة من الأمم.

والخطابة هي "فن مخاطبة الجمهور الذي يعتمد على الاقناع والاستمالة" [٣]، وقوامه القدرة على الارتجال[٤].

وارتباط الخطابة بفطرة الإنسان جعلها الأسلوب الأمثل لتبليغ الشرائع السماوية وتوصيلها إلى الناس بمخاطبتهم والتأثير فيهم واقناعهم ولذلك فقد لازمت الخطابة ظهور الأنبياء والرسل لاعتمادها وسيلة لأداء مهمتهم وتوصيل عقيدتهم، فالخطابة "هي خير ما

---

[١] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة خطب .

[٢] التوجيه الأدبي، طه حسين، وزارة المعارف، مصر، ١٩٥١: ٢٧.

[٣] م.ن : ٢٦.

[٤] ينظر : النقد الأدبي عند اليونان، بدوي طبانة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٦ : ١٤٣.

يستعين به الدعاة إلى العقائد والمذاهب الجديدة والأنبياء والمصلحين في الدعوة إلى مذاهبهم وعقائدهم، لكونها الوسيلة المثلى للاتصال بالجماعات والتأثير فيها واستمالتها"[١].

والتوصيل لغة : من وصل، "وهو كل شيء اتصل بشيء فيما بينهما وصلة وموصل البعير ما بين عجزه وفخذه" [٢]، وللفظة تقلبات عدة تدور جميعها حول فكرة واحدة هي علاقة تربط بين طرفين أياً كان نوعها، يصحبها انتقال وحركة، فمن دعوى[٣] إلى انتساب [٤]، إلى التئام وعدم انقطاع [٥]، إلى بلوغ وانتهاء [٦].

ومنه "وصله توصيلا إذا اكثر من الوصل" [٧] أي ضمّه ولأمه، ووصّل الشيء إليه " أنهاه إليه وابلغه إياه" [٨]، ومن هذين المعنيين اخذ معنى التوصيل، فالتوصيل تبليغ وإنهاء بموقف يضم طرفين مصحوباً بانتقال بينهما.

وتبليغ الرسالة توصيل لأقواله تعالى إذ قال ((هذا بلاغ للناس))[٩]، "أي تبليغ"[١٠].

---

[١] الخطابة العربية في عصرها الذهبي، إحسان النص، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣ : ٣٠.

[٢] العين، الخليل الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الميلاد، قم، ط١٤١٤،١هـ، مادة و ص ل.

[٣] ورد في الصحاح، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق : احمد عبد الغفور عطا، دار العلم بيروت : مادة وص ل، "وصل بمعنى اتصل، أي دعا دعوى الجاهلية، وهو أن يقول يا لفلان، قال تعالى ((إلا الذين يصلون إلى قوم)) أي يتصلون"، (سورة النساء/٩٠).

[٤] ورد في العين : مادة و ص ل (اتصل الرجل، أي انتسب فقال : يالفلان).

[٥] ورد في الصحاح : مادة و ص ل (وصله كلاهما : لأمه. وفي التنزيل ((ولقد وصلنا لهم القول)) (سورة القصص/٥١) أي وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى بعضها ببعض، لعلهم يعتبرون). وفي أساس البلاغة : ٥١١/٢ (وصل الجبال وغيرها توصيلاً : وصل بعضها ببعض ومنه ولقد وصلنا لهم القول).

[٦] ورد في اللسان : مادة وص ل "وصل الشيء إلى الشيء وصولاً وتوصل إليه : انتهى إليه وبلغه، قال أبو ذؤيب : توصل بالركبان حيناً، وتؤلف الجوار، ويغشيها الأمان ربابها".

[٧] م.ن : مادة و ص ل.

[٨] م.ن : مادة و ص ل.

[٩] (سورة إبراهيم/٥٢).

[١٠] ينظر : كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ)، دار الفكر العربي، تحقيق : علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، ط٢، د.ت : ١٢

والبلاغ "ما يبلّغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب" [1]، فتوصيل القول: تبليغه، والبلاغة سمة هذا القول فقد "سميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه" [2] أي توصله، لذا لم يكن التوصيل هدف الرسالة السماوية فحسب، بل الوسيلة المؤداة بها، وذلك لاقترانها بالبلاغة، فالبلاغة انتهاء ووصول من جانب وفصاحة وحسن قول من جانب آخر[3].

أما الخطابة فهي "عملية أداء وإيصال رسالة كلامية من متكلم إلى مستمعين بهدف التأثير والإقناع" [4]، ولذا فقد ارتبطت عملية التوصيل بأداء الرسالة السماوية في موقف واحد بين طرفي الإرسال، فهي تجمع أطرافاً ثلاثة في موقف خطابي واحد، مرسلاً ومخاطباً ورسالة.

وعملية التوصيل هي الأساس الذي قام عليه النقد الأدبي بالنظر إلى الخطاب الأدبي كونه صادراً عن منتج يتوجّه به إلى متلقّ، فعمله بمنزلة رسالة لان المنتج لا ينتج العمل لنفسه بل يتوجه به لجمهور محاولاً إيصاله له، ولذلك فقد كانت الخطابة مفتتحاً لدراسة النقد عند الإغريق وفيهم نبوات بني إسرائيل، وعند الرومان وظهور المسيحية، وعند العرب وظهور الإسلام، في أولى المؤلفات النقدية في العالمين الغربي والعربي على السواء، ولكن بعد تطور تلك الخطابة التي وجدت عند الأنبياء من بلاغة إيصالية ارتبطت بخطابهم الموّجه إلى الناس[5]، المتفرد بتكييفه بحسب عقولهم لإثارة دفائنها إلى فن تزويق شكلي يوجّه لأغراض نفعية مادية لا لهداية رسالية —كما بدأت عند الأنبياء– وتحولها إلى مجموعة قواعد يلتزم بها الخطيب.

---

[1] لسان العرب : مادة و ص ل.

[2] كتاب الصناعتين : ٣

[3] ينظر : البحث البلاغي عند العرب، احمد مطلوب، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٢ : ٥.

[4] فن الخطابة والتبليغ الإسلامي، شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، ط١، ٢٠٠٤ : ١١.

[5] ينظر : التوجيه الأدبي : ٤٥-٤٦.

الخطابة عند اليونان والرومان

تطورت الخطابة عند اليونان بفعل تضافر عوامل عدة منها : سيادة حرية الفكر والقول[١]، وانتشار العلم والفلسفة، واحتدام الجدل السياسي فيها [٢]، واعتمادها أساساً للتصويت في المجالس السياسية [٣]، وطموح الشباب لشغل المناصب العليا التي يتم ارتقاؤها بالاعتماد على سلم الخطابة التي تمكنهم من اجتذاب الجماهير وقيادتها [٤].

وقد كانت الحروب الخارجية التي خاضتها البلاد وحافزاً لهم على القاء الخطب لشحذ الهمم وإثارة الحماس[٥] ، مما أدّى إلى رقي الخطابة السياسية عندهم فقد كانت الخطابة وسيلة رئيسة للاتصال بالشعب، ومهنة تستهوي الأحرار، ولا سيما بعد ان اصبحت الصناعات الأخر مهنة للأرقّاء [٦]، بل إن هناك من يرى أن الكلمة نفسها (**الخطبة**) كانت عندهم مساوية لكلمة (**سياسة**)[٧].

فضلاً عن اعتماد الخطابة أساساً لإصدار الأحكام القضائية في ظل عدم تقيد القضاة بقانون معين، إذ كان يحظر على المتقاضين الاستعانة بمحام، وحتّم عليهم الترافع بأنفسهم، مما حول الخطابة القضائية الى صناعة لفظية فاشية، وشجّع على اتخاذها مهنة بظهور المحترفين لكتابتها وإعدادها بأساليب بلاغية جميلة ومؤثرة، قادرة على إقناع العقول بحجج تثير المشاعر لا ببراهين وعلل منطقية.

وقد كان كل ذلك عاملاً مهماً في ازدهار الخطابة وارتباطها بفن البلاغة، وتطور البلاغة بفعل ذلك، حتى كانت للبلاغة والخطابة كلمة واحدة تعبر عنهما وهي الريطوريقيا

---

[١] ينظر : التوجيه الأدبي : ٢٨.

[٢] ينظر : فن الخطابة، احمد الحوفي، دار النهضة، مصر، ط٤، ١٩٧٢ : ٢٠٦.

[٣] ينظر : التوجيه الأدبي : ٤٥.

[٤] ينظر : مقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، المؤسسة العربية للدراسات، بغداد، ١٩٧٨ : ١٤٨.

[٥] ينظر : التوجيه الأدبي : ٢٨.

[٦] ينظر : فن الخطابة : ٦٧.

[٧] ينظر : الخطبة كنثر فني، عثمان بو غانمي، تونس، ١٩٧٨ : ١٤٥.

[1]، فالخطابة عند اليونان إعداد لأفكار مقنعة للسامعين وتنسيقها بشكل متسلسل مترابط باستقصاء معنى ثم انتقال لغيره مع عنايتهم بالاساليب وإعدادها [2]، ولذا يمكن عدّ البلاغة مدينة للخطابة بتطورها واتساع قواعدها وفنونها [3].

ومما زاد في قوة الخطابة ظهور السفسطائيين* الذين عرفوا بـ (المعلّمين) أو (الحكماء)**، فقد طافوا في البلاد ومارسوا الخطابة "ممارسة عملية" [4] معتمدين عليها في بث افكارهم الفلسفية، ونشر آرائهم في اعتماد المنفعة وتقديمها على الحقيقة، وفي عدّ الخطباء صنّاع الكلام ومهندسيه فشغلوا الناس بجدلهم الذي اكسبوه طواعية بحمل ادق الأفكار، فجاء مملوءاً بالفصلحة والفنية في نسج الكلام، مكسواً بالجمال، مشحوناً بالتأثير الانفعالي[5].

وقد كان لذلك دور كبير في سمّو القول ،حتى اصبح النثر الفني -لا الخطابة وحدها- مديناً في رقيه للسوفسطائيين، مما أدى ذلك إلى ارتفاع منزلة الخطيب إلى منزلة العالم والفيلسوف، بل ربما حلّ محلّهما، وبلغ إجلالهم للخطيب درجة دفعت ببعضهم إلى إقامة تمثال لعدد منخطبائهم من الذهب الخالص في أحد معابدهم تخليداً لهم[1]، فبرز

---

[1] ينظر : مقدمة في النقد الأدبي : ١٤٧.

[2] ينظر : فن الخطابة : ٢٠٩ — ٢١٠.

[3] ينظر : النقد الأدبي عند اليونان : ١٣٩.

* السوفسطائي "معناها في الأصل العالم في فن أو مهنة، ثم اصبح معناها الرجل الحكيم، ومنذ منتصف القرن الخامس قبل الميلاد أصبحت الكلمة تطلق على كل من يعلم البلاغة أو السياسة أو الرياضة نظير اجر"، ثم تطور المعنى فاصبح معيباً يطلق على "الرجل الجدل أو الولوع بالجدل". النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار النهضة، مصر، د.ت : ٢٦.

** أطلق هذه التسمية السفسطائيون أنفسهم لأنهم يرون استحالة العلم اليقيني لذا فالخطباء والبلغاء اجدر بها. فن الخطابة : ٢٠٧.

[4] م.ن : ٢٠٧.

[5] ينظر : النقد الأدبي عند اليونان : ١٣٩-١٤٠.

[1] ينظر : فن الخطابة : ٢٠٩.

عدد غير قليل من الخطباء، ومنهم لوسياس وجورجياس[٢]، وديموتسين الذي يعد من أعظم خطباء أثينا.

وقد أهتم الخطباء بخطبهم وتوصيلها إلى جمهور السامعين، فقد حاول بعض الخطباء تجاوز بعض عيوبهم التي تحول دون وصول تلك الخطب، ومنهم ديموستين الذي عمد إلى تدريب نفسه برياضة شاقة لتجاوز عيوب لسانه بعد سماعه لسخرية سامعيه منه، فعكف على المطالعة بعد ان حلق نصف رأسه ليرغم نفسه على البقاء في منزله للتمرن على الخطابة، وكان يضع حصاة في فمه ويخطب فوق امواج البحر متخيلا نفسه في مواجهة الجمهور محاولاً فك عقدة لسانه وإصلاحها، بغية إيصال صوته لسامعيه[٣].

وعلى الرغم من الخدمة التي أسداها السفسطائيون للخطابة والأثر الذي كان لهم في تطويرها،فقد أثار تزييفهم للحقيقة وتمويههم لها باقناع الجمهور بما كان وهماً، سعياً وراء هدفهم (المنفعة)وتعبيراً عن ميولهم وأهوائهم[٤]، أثار ذلك سخط النقاد واغلبهم من كبار الفلاسفة الذين اندفعوا -ولغاية أخلاقية — للتصدي لهم بتعقب آرائهم ومناقشتها وتفنيدها[٥].

فقد أنكر سقراط الخطابة -بمعناها السوفسطائي لا جهلاً بأهميتها- لبعدها عن الحقيقة بوصفها عاملاًمشجعا على الكذب ووسيلة للتمويه والتضليل وعاملاً مشجعاً على الكذب[٦]، بلغة منمقة وبراهين خطابية خادعة وفن صوري بحت هدفه التشويه للتأثير في الجمهور[٧]، لذا لم يعد سقراط الخطابة علماً فاللغة المنطقية وحدها سبيل الوصول إلى

---

[٢] ينظر : النقد الأدبي عند اليونان : ٢٥.

[٣] ينظر : التوجيه الأدبي : ٤٨.

[٤] ينظر : دراسات في نقد الأدب العربي، بدوي طبانة، مكتبة الانجلو، مصر، ط٤، ١٩٦٥ :١٤١ .

[٥] ينظر : فن الخطابة : ٢٠٧.

[٦] ينظر : مقدمة في النقد الأدبي : ١٥٥.

[٧] ينظر : النقد الأدبي عند اليونان : ٦١-٦٢.

الحقيقة [1]، مثلما لم يعلّها فناً، فالفن غايته الخير، بل هي نوع من الجدل وعادة تكتسب بالمران [2]، لذلك فقد فضّل استخدام أسلوب الاستجواب.

وتبعه تلميذه أفلاطون الذي رأى ان معنى الخطابة هو "دراسة وجوه الكلام وكيفية تأثيره" [3]، فالخطابة عنده غير كافية في ادارة سياسة الدولة، لأن محورها الفصاحة وقوة اللسان لا الحقيقة وحدها، وبذلك فهو لم يرفض الخطابة مطلقاً، إلا أنه حذر من إساءة استعمالها ودعا إلى تنقيتها من التمويه السفسطائي[4]، فالخطابة عند أفلاطون لازمة لنقل الافكار الفلسفية وخدمة الحقيقة -والحقيقة برأيه هي الفضيلة- وطريق للوصول إلى المعرفة أو تشخيصها [5]، ولذلك جعلها مادة تدرس في الاكاديمية التي أنشأها[6].

وظهر اهتمامه بفكرة التوصيل من خلال استخدامه أسلوب المحاورة واتخاذه سبيلاً للوصول إلى المعرفة، وعلّه الأسلوب الأمثل للوصول إلى الحقيقة ، ولذلك فضّل الكلام على الكتابة في التعليم والخطابة على الشعر[7].

وقد كان هذا الحوار "في شكل الحوار الحي الذي يتبادله المتكلم مع السامع أمامه" [8] مع أناس حقيقيين ذوي خبرة في الحياة [9].

ثم توسّع في استخدامه المحاورة اعتماداً على المحاكاة، والمحاكاة عنده تدل "على العلاقة الثابتة بين شيء موجود ونموذجه" [10]، ووسع هذه المحاكاة لتشمل مظاهر الوجود

---

(1) ينظر : النقد الأدبي عند اليونان : ٦١-٦٢.

(2) ينظر : الخطابة، أرسطو، تحقيق : عبد الرحمن بدوي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠.

(3) النقد الأدبي الحديث : ٣٥.

(4) ينظر : النقد الأدبي عند اليونان : ١٤٢.

(5) ينظر : النقد الأدبي الحديث : ٣٥.

(6) ينظر : النقد الأدبي عند اليونان : ٥٩-٦٠.

(7) ينظر : النقد الأدبي الحديث : ٣٧.

(8) م.ن : ٣٧.

(9) ينظر :مذاهب النقد ونظرياته في إنجلترا قديماً وحديثاً، فائق متى اسحاق، مكتبة الانجلو، مصر، د.ت : ٢٥/١.

(10) النقد الأدبي الحديث : ٣١.

بأكمله وحقائقه بما فيها اللغة التي عدها "محاكاة لما ندركه من الأشياء التي بدورها محاكاة" [1]، بل إنها بفنونها المختلفة طريق للتأثير بين عالمي المثل والحس وأداة له.

ومن هنا يمكننا أن نلمح فكرة التوصيل عند أفلاطون في نظرته للعمل الأدبي بوصفه لا يقتصر على اللغة فحسب، بل يتعداها إلى وجود طرفين متحاورين أو متفاعلين. وقد كان موقف الفلاسفة من الخطابة سبباً في التقليل من شانها وتجريدها من فضائلها مدة من الزمن، حتى جاء أرسطو – تلميذ أفلاطون الذي نظّر للخطابة في كتاب سمّاه (الخطابة).

فقد درس الخطابة بوصفها ظاهرة ادبية جديرة بالدراسة [2]، ووضع حدودها وربطها بعملية التوصيل، وعدّها فناً قولياً وعلما من علوم اللغة الى جانب المنطق والشعر[3]، محاولاً إظهار فائدتها منصفا الخطابة والخطباء، في محاولته الرد على من يرى الخطابة سلاحا ذا حدين، بأن الخطابة مثل أي عمل نافع قد تؤدي الى الضرر اذا اسيء استعمالها، فالضرر الناتج لا يعود الى الخطابة نفسها بل الى سوء استخدامها [4].

وعلى الرغم من متابعة أستاذه في بعض آرائه لم يقبل كل ما صدر عنه[5]، فالخطابة تتناسب مع الجدل في توجهها لمخاطبة الآخر أو إقناعه[6]، وفي كونها فطرة وسليقة عند بعضهم، وعادةً ومراناً عند بعضهم الآخر، وفي الدفاع عن القضية أو عكسها، وفي التوصل إلى نتائج متضاربة [7]، وفي ربط الخطابة بالجدل ربط بينها وبين عملية التوصيل بالإشارة إلى كونها فناً، يجمع طرفي الخطاب المتجادلين، فالخطابة هي" الكشف عن الطرق الممكنة

---

(1) النقد الأدبي الحديث : ٣٠.

(2) ينظر : مقدمة في النقد الأدبي : ١٥٦.

(3) ينظر : النقد الأدبي الحديث : ٤٥.

(4) ينظر : الخطابة : ٢٨.

(5) ينظر : النقد الأدبي عند اليونان : ١٤٩.

(6) ينظر : م.ن : ٢٣.

(7) ينظر : م.ن : ٢٧-٢٨.

للاقناع في أي موضوع كان" [1]، ومهمتها معالجة ما يستوجب المناقشة دون التقيد بقواعد معينة او صنف معين من الموضوعات[2].

ويكون الكشف من خلال "تصديقات" [3] أو أدلة، فالخطابة عنده تقوم على البرهان بحجج غير فنية يستعين بها الخطيب، ويحصرها في خمسة انواع (القوانين، ومركز الشهود، والعقود، والاعتراف القسري المنتزع، واليمين) [4]، وحجج فنية رئيسة يحاول الخطيب استخراجها بوسائله وتظهر فيها براعته ونجاحه في اقناع الآخرين ، ويتصل هذا النوع من الحجج بكل عنصر من عناصر الخطبة[5]، والخطبة أربعة أقسام وهي (الاستهلال، والعرض، والدليل، والخاتمة) [6].

ويحدد أرسطو لكل خطبة عناصر ثلاثة وهي (الخطيب، وموضوع الخطبة، والسامع)[7]، وهي تشكل في الوقت ذاته أطراف عملية التوصيل –التي يشير إليها بعدّ الخطابة جدلاً–، ثم ينسج علاقات تربط بين هذه الأطراف وما يتصل بها، فيصنّف الخطابة تبعاً لغايتها التي تتصل بالعنصر الثالث (السامعين) مع مراعاة عامل الزمن الى ثلاثة أنواع:

مشورية:يتقدم بها الخطيب لسامعيه ناصحاً أو محذراً في أمور مستقبلية.

قضائية: يتوجه فيها الى الاتهام او الدفاع في امور ماضوية.

استدلالية:مدحاً أو ذماً في أمور حاضرة قد يعود فيها الخطيب الى الماضي أو يتجه إلى المستقبل[1]، والقضائية اكثر الأنواع شهرة عند اليونان ولذلك يشدد أرسطو على "إبعاد المؤثرات الخطابية والانفعالية الخاصة عن القضاة، وإلا جانبت أحكامهم العدالة " [2].

---

[1] الخطابة : ٢٩.

[2] ينظر : النقد الأدبي عند اليونان : ١٥٠.

[3] الخطابة : ٣١.

[4] ينظر : م.ن : ٩٣–١٠١.

[5] ينظر : م.ن : ٢٩.

[6] ينظر : م.ن : ٢٣٤.

[7] ينظر : م.ن : ٢٩.

[1] ينظر : الخطابة : ٢٣.

أما غاية الخطابة فهي الاقناع بتحريك لافكار واثارة المشاعر معاً، مع تشديد أرسطو على الغاية الخلقية ، فلا يكون الإقناع بما يضاد الأخلاق، موضحاً اعتماد براهينها على المنطق في اغلب الأحيان[٣]، وارتباطها به إذ تعد الخطابة عند أرسطو "فرعاً من المنطق ومن علم الاخلاق والسياسة " [٤].

ويمكن عدّ كتاب أرسطو الأول في تأصيل علم الخطابة ودراستها على وفق أسس متينة، ووضع أصول وقواعد لها بما يجعله "دستورا للخطابة" [٥]، وفي ربطها بعملية التوصيل بذكر عناصر الخطبة ونسج علاقات بين بعضها البعض من خلال هذا الفن.

إلا أن اعتماد الخطابة اليونانية على الاعداد والكتابة مسبقا اكثر منها على الارتجال جعلت كتابه -اذا ما استثنينا منه ما يخص مواجهة الخطيب لجمهوره ومراعاته لانفعالاتهم لمعرفة وسائل التأثير فيهم- ينطبق على الأدب النثري بأجمعه لا الخطابة حصراً[٦]، وفي معالجته لصياغة الأفكار في الجمل والعبارات دون فرق بين الشعر والنثر[٧] خير دليل على ذلك .

أما الرومان –الذين بزغ نجمهم في الخطابة بعد أفوله عند اليونان- فلم تكن الخطابة عندهم بأقل حظا من اليونان فقد كانوا تلامذتهم في العلوم والفنون [٨]، إلا أن الخطابة كانت أول أمرها ضعيفة ؛"لانصراف همتهم إلى الحروب" [١]، وعدم توفر الحرية الكافية [٢]، ثم قويت بعد ضعف اليونان واستيلاء الرومان على أثينا عام ١٤٦ق.م، وإخضاعها لهم حضارياً وأدبياً بعد استعمارها عسكرياً وإدارياً، ثم انتقال المثقفين اليونان إليها.

---

[٢] النقد الأدبي عند اليونان : ١٥٤.

[٣] ينظر : النقد الأدبي الحديث : ٩٤- ٩٦.

[٤] م.ن : ٤٣.

[٥] فن الخطابة : ٢٠٨.

[٦] ينظر : النقد الأدبي عند اليونان : ١٤٣.

[٧] ينظر : النقد الأدبي الحديث : ١١٢.

[٨] ينظر : فن الخطابة : ٢١١.

[١] علم الخطابة، لويس شيخو، الآباء اليسوعيين، بيروت، د.ت : ٢/٢٢٩.

[٢] ينظر : التوجيه الأدبي : ٤٩.

لقد ظهر التأثير الأثيني على الرومان بعد ان وجد الفرصة مواتية في قوانينهم التي تسمح للمحامي بالدفاع عن المدعى عليه، فكان وجود مهنة المحاماة والدراسة على ايدي خطباء اليونان [٣]، ثم الحروب الأهلية التي جرت فيها اثر احساس العامة بسوء حالهم والثورة على الطبقة الارستقراطية [٤]؛ فضلاً عن العناية بمدارس البيان ومناهجها، وحصر التربية العالية في الخطابة لكونها وسيلة للرقي الى مجالس الشيوخ [٥].

وقد كان لذلك اثر واضح في تطور الخطابة السياسية والقضائية عند الرومان، وتأثرها بالثقافة القانونية وتميزها بالاستنباط والقياس عن اليونان الذين تأثروا بالقضايا الفلسفية ودراستهم فيها معتمدين على الأدلة، فالخطابة عند الرومان صياغة معان معدة وأفكار مدروسة بأساليب تلائم السامعين بعد تنسيق هذه المعاني ووصل بعضها ببعض[٦].

وقد كان ظهور المسيحية ونزاعها مع الوثنية عاملاً مهماً في رقي الخطابة بعد ضعف انتابها، وسبباً لظهور الخطابة الدينية ونبوغ خطباء الكنيسة لنشر دينهم والدفاع عنه [٧]، وتشديداً على ارتباط الخطابة بعملية التوصيل.

وعلى الرغم من ازدهار الإبداع الأدبي عند الرومان، ولا سيما في المجال الخطابي، انصبّ جلّ اهتمامهم في مؤلفاتهم على العلوم المتصلة بهذا الإبداع من نحو وبلاغة وبعض بذور النقد "لم يكن للنقد مؤلفات خاصة به" [١]؛ لذا لم يضيف الرومان شيئاً فيما وجد من النقد متفرقاً في عدد من المؤلفات إلى ما عرفه اليونان.

ومن ملاحظة أحوال الخطابة عند اليونان والرومان نجد ان الخطابة عندهم لم تمضِ على وتيرة واحدة ولم تنفصل عن مجتمعها الذي ولدت فيه، فهي شديدة الارتباط به تضعف

---

[٣] ينظر : مقدمة في النقد الأدبي : ١٥٩.

[٤] ينظر : التوجيه الأدبي : ٤٩.

[٥] ينظر : فن الخطابة : ٢١١.

[٦] ينظر : م.ن : ٢١٢.

[٧] ينظر : الخطابة، نقولا فياض، إدارة الهلال، مصر،١٩٣٠ : ١١٩.

[١] مذاهب النقد ونظرياته في إنجلترا : ٣٦.

بضعفه وترقى برقيه، وانها كانت تلقى بعد إعداد وتنقيح وتنميق لاساليبها قبل إلقائها، فكانت الكتابة عاملا في الحفاظ على خطبهم والحيلولة دون ضياعها.

الخطابة عند العرب

لم يكن للخطابة عند العرب الشأن نفسه عند اليونان مقارنةً بالشعر، فعلى الرغم من ارتباط الخطابة بالفطرة، وعدم خلو مجتمع منها، إلا أن طبيعة الصحراء القاسية وانقسام العرب إلى قبائل متعددة، يسودها التعصب القبلي ويميزها الطابع الفروسي وكسب العيش بالغزو والقتال جعلت الشعر اكثر تطوراً وانتشاراً من الخطابة في العصر السابق للإسلام.

وقد كان الشاعر مقدماً على الخطيب في العصر السابق للإسلام، إذ كان لسان القبيلةالناطق معبراً عن حاجاتها؛ ومسجلاً لمآثرها، ومخلداً لفرسانها ،ومهولاً لأعدائها، فكانت حاجة القبيلة إلى شعره سبباً أساس للاحتفاء به[٢].

لقد كانت العرب في الجاهلية "تحيا حياة بدوية صحراوية تمتاز بالفقر والخشونة والضرب في جوانب هذه الفيافي وبالعصبية القبلية، والحروب المطّردة، والبداءة الثقافية، فكان الأدب أو الشعر الجاهلي خشن الألفاظ، بدوي الخيال، يتخذ عناصره من الجبال والوعول والدواب والرمال، أوّلي العواطف، سطحي الأفكار" [٣]، متجانساً مع طبيعة الحياة العربية التي لا تتناسب مع طبيعة النثر الذي يعتمد على العقل اكثر منه على العاطفة، ولذا لم تبرز من ألوان الخطابة الجاهلية إلا ما اتصل بحياتهم القبلية من مناظرات ومفاخرات، وحض على قتال، أو إصلاح ذات البين، وما كان مرتبطاً بالديانة الوثنية من سجع الكهان[١].

ولم يتعدّ ما وصل إلينا من الخطب كونها فقرات قصيرة، وعبارات موجزة، وجملاً منفصلة يغلب عليها التكرار، حتى غدت أمثالاً سائرة [٢]، وخواطر متقطعة يغلب عليها التعميم والإطلاق، تعبر عن طبيعة حياة العرب البسيطة الساذجة البعيدة عن التعقيد

---

[٢] ينظر : البيان والتبيين، الجاحظ، (١٢٥٥هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي، بيروت، د.ت : ٢٤١/١.

[٣] أصول النقد الأدبي، احمد الشايب، النهضة، القاهرة، ط٧، ١٩٦٤ : ٨٤.

[١] ينظر : الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٩-١١.

[٢] ينظر : البيان والتبيين : ٢٧١/١.

"لضآلة نصيب الجاهليين من الثقافة الفكرية"[٣]، لذا لم يكن لخطبهم سنناً واضحة أو تقسيمات محددة، إذ كان الخطيب يباشر كلامه دون تقديم مسبق، وينهيه دون ختام، إذ لم تكن له تقاليد ثابتة يسير عليها، ولكن بما لا يخلو من الصنعة التي تتجاوز أسلوب الخطبة إلى طريقة إلقاء الخطيب وعاداته في الأداء بعيداً عن البداهة والارتجال، وهذه بعض المزايا التي أمكن التوصل إليها بالحكم على الخطب القليلة التي وصلت إلى عهد التدوين وساد الشك في صحة أكثرها [٤]، ولا سيما مع ما أضفي على العرب من موهبة سحرية كانت الرغبة في الرد على الشعوبية دافعاً وسبباً مباشراً لإضفائه عليه[٥].

أما في العصر الاسلامي فقد كان بزوغ شمس الاسلام ببعثة النبي الاكرم **محمـــد صلى الله عليه وآله وســلم** ودعوته للدين الحنيف إيذاناً ببدء عهد جديد في الخطابة، فقد احدث الإسلام انقلاباً جذرياً في الحياة و"نهضة ادبية وجهها القرآن الكريم ،وقومتها احاديث الرسول، وكتبه، وخطبه " [٦] مما أدى إلى تغير في مناحي الفكر والقول.

لقد كان لنزول القرآن الكريم المعجز للعرب بفصاحته وبلاغته ، وما أحدثه الوحي من نقلة كبيرة في الحياة من المحسوس إلى المجرد[٧]، وتأثرهم بأسلوبه البليغ المتماسك المحكم وميلهم للاحتذاء به في عصر سمّي عصر القرآن، اكبر الأثر في الأدب عامة وفي الخطابة بشكل خاص، فقد أذكى الإسلام الخطابة لما استدعى في بث الدعوة ونشرها[١]، فقد كانت ثورة النبي الأعظم **صلى الله عليه وآله وســلم** ثورة فكرية عقلية قبل ان تكون ثورة سياسية، وقد كانت الخطابة الوسيلة الرئيسة المعبرة عنها.

---

[٣] الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ١٨.

[٤] ينظر : م.ن : ١٤.

[٥] ينظر : م.ن : ١٦-١٧.

[٦] النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، عبد الحكيم بلبع، الاستقلال، مصر، ط٣، ١٩٧٥ : ٧٠.

[٧] ينظر : شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري، جودت فخر الدين، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٨٤ : ١٩٥.

[١] ينظر : مقدمة في النقد الأدبي : ١٧١.

لقد أزاح الإسلام ما كان قائماً بين العرب من تنافر وتفاخر بالاحساب والأنساب وغزو وثأر، وقضى على أضغانهم وأحقادهم -بعد جعله الولاء للدولة محل الولاء للقبيلة التي كانت سائدة عندهم- بمعان سامية من (حرية وعدالة ومساواة... الخ) باعثها الأول الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، وغايتها الأساس الارتقاء بالإنسان العربي والسمو به لما فيه صلاحه وإصلاحه في الدنيا والآخرة.

فكان ذلك مدعاة لحرب خطابية اثر النزاع القائم بين قديم ألفه العرب وجديد خارج عنه، ولاسيما بعد اتخاذ الخطابة أداة لنشر الدعوة الإسلامية، وذلك بالوعظ بتعاليمها تارة، وتشريع أحكامها تارة أخرى، والجمع بين الاثنين تارة ثالثة لتنظيم المجتمع الإسلامي[٢]، مع تقريع وتأنيب العاصين[٣]، وجعل الخطابة ميزاناً لانتقاء رسله إلى الملوك والأمراء لنشر الدعوة فكان لذلك اثر في تطور الخطابة، وتأييد معانيها ببيانهم وفصاحتهم.

وقد حدّ الدين الإسلامي ألوان الخطب الجاهلية من سجع الكهان المرتبط بالوثنية، وخطب المنافرات والمفاخرات، وإن كانت الخطب التي شهدتها السقيفة بعد وفاة الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** لم تخل من مفاخرات جاهلية مختلطة بمعانٍ إسلامية[٤].

وقد ازدادت أهمية الخطابة بعد هجرة الرسول **محمد صلى الله عليه وآله وسلم**، حيثجعل الخطابة فرضاً مكتوباً في صلاة الجمع والاعياد ومواسم الحج مشدداً على أهميتها في جمع المسلمين وتوحيد صفهم .

وقد كان الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** أعظم خطيب عرفه التاريخ الإسلامي، فكلامه هو "الكلام الذي ألقى عليه المحبة وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، فلم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب،بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار"[١]، وقد خطّ الرسول

---

[٢] ينظر : الفن ومذاهبه في النثر، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٦٥ : ٦٣.

[٣] ينظر : فن الخطابة وتطوره عند العرب، إيليا حاوي، دار الثقافة، بيروت، د.ت : ٧٧.

[٤] ينظر : الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٣٣.

[١] البيان والتبيين : ١٧/١.

صلى الله عليه وآله وسلمنهجاً جديداً للخطابة، فما إن يخطب حتى تستحوذ خطبه على صدور سامعيه، وتمتلك قلوبهم.

ومع قلة ما وصل إلينا من خطب الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كان وقعها على معاصريه وأثرها في تطور الخطابة، وطول مدة نزول الوحي، الذي كانت الخطابة سبيلاً لإيصال أكثره خير شاهد على كثرتها إلا أن انعدام التدوين، إلا لآيات القران، وإدراج بعض ما وصل من تلك الخطب في صلب الأحاديث، وعدم تدوين تلك الأحاديث حال دون وصول أكثرها [٢].

ويمكننا تلمس بعض أساليب خطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في خطب من جاء بعده، فعلى الرغم من عدم قدرتهم على الوصول إلى بلاغة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حاولوا السير على خطاه، بتضمين بعض الآيات القرآنية في خطبهم لمضاعفة تأثير أقوالهم في السامعين[٣]، والسعي لاحتذاء النهج الذي اختطه ولا سيما في ما جاء من خطبه، بلغة تشريعية [٤] بعد أن كانت الخطب الجاهلية صيغاً وجملاً متناثرة، أصبحت ذات موضوع واحد تدور حوله [٥]، وقد اتسعت معاني الخطابة في هذا العصر وتسلسلت أجزاؤها متخذة طابعا لا تحيد عنه [٦]، فكان التطور في موضوعاتها واغراضها اكثر وضوحاً منه في اسلوبها وأدائها [١]، أي "كان تطورها من الناحية الشكلية" [٢].

أما عملية التوصيل عند العرب فإننا نجدها بعد اكثر من قرنين من الزمان في أولى المؤلفات النقدية المتقدمة زمنياً، ومن المدخل ذاته عند اليونان (**الخطابة**)، ولكن بالصنعة

---

[٢] ينظر : الخطبة كنثر فني : ١٠٨.

[٣] ينظر : فن الخطابة وتطوره عند العرب : ٨٥.

[٤] ينظر : م.ن : ٨٧.

[٥] ينظر : الفن ومذاهبه : ٦٣.

[٦] ينظر : فن الخطابة : ٢١٨.

[١] ينظر : الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٣٢.

[٢] النثر الفني واثر الجاحظ فيه : ١١٠.

نفسها والأداء والتنقيح والتجويد والإعداد والتحبير الذي شهدته خطب اليونان، أي بعد تحول البلاغة الرسالية عند المعتزلة إلى صنعة خطابية كحالها عند السفسطائيين[٣].

ولا نعدم وجود مؤشرات أولى لفكرة التوصيل في النتاج السابق لتلك المؤلفات اتضحت في جهد الرواة واللغويين والنحويين في القرن الثاني في ضمن محاولاتهم لجمع اللغة والتوسع في قواعد النحو –العلم الذي افتتحه الإمام **عليه السلام**– واستنباطها على وفق وجود المتكلم والسامع وبناء الكلام وتكييفه تبعاً لموقع أحدهما من الآخر، والزمن الذي يجمعهما والمكان، ورغبة المتكلم في الكلام ومثله المخاطب في الإقبال على السماع.

وخير مثال على ذلك ما جاء في كتاب سيبويه –أول كتاب للنحو– في النداء وتنوع حروفه بحسب انتباه المخاطب، غفلته أو تراخيه، وبحسب مكانه وحالته النفسية، ومثله الاستفهام، فقد كان سيبويه "عميق التأمل في حال طرف الكلام الآخر وهو المخاطب، يتراءى أمامه في أوضاعه المختلفة، يدقق في أحواله ويتخيلها بسعة خيال ليبين ما كان منها من غفلة أو نسيان أو انشغال أو نوم أو إعراض أو غير ذلك، وتفسير كثير من الاستعمالات اللغوية وطرائق البناء في الجملة العربية وحالات الإعراب المختلفة في ضوء ما يكون عليه المخاطب" [٤]، فكان اللغويون اسبق في القول بمراعاة الأحوال المحيطة بطرفي الخطاب.

ويلي ذلك جهد البلاغيين والنقاد في القرن الثالث، الذي كان عصر جمع وتدوين العلوم العربية والإسلامية ، بعد اكتمال جمع المادة الأدبية ورقي الذوق الأدبي ، واتساع الثقافة العربية واختلاطها بثقافات أخرى، وتحول الأدب إلى فن وصناعة[١]، وتطور الحركة العلمية في البصرة، وما شهدته من نشاط خطابي مكتوب قوامه علم الكلام "وهو نقطة تقاطع الثقافات الإسلامية عقيدةً وتشريعاً ومنطقاً" [٢].

---

[٣] ينظر : الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٢٣٩-٢٤٢.

[٤] مراعاة المخاطب في كتاب سيبويه، كريم حسين، المورد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ع٣، مجلد٣٠، ٢٠٠٢ : ٢٨.

[١] ينظر : النقد الأدبي، احمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٦٧ : ٤٣٥.

[٢] التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، ١٩٨١ : ٣٦.

وقد كانت أولى ثمرات هذا الجهد صحيفة مكتوبة لبشر بن المعتمر (٢١٠هـ) –وهو أحد المتكلمين المعتزلة–دفعها إلى معلم للخطابة، تباينت الآراء في كونها تقنيناً لأصول البلاغة بعد تحولها إلى فن كتابي تعليمي[٣]، أو وضعاً لأصول الأدب[٤]، أو انها دعوة للاستعداد الطبيعي فهي 'إدخال في النقد الأدبي عموماً وفي جانب الخلق من الأدب خصوصا" [٥]، واعتقد انها جامعة بين ذلك كله؛ لأنها تتناول جوانب من عملية توصيل العمل الأدبي وهو ما قامت عليه الدراسات البلاغية والنقدية معاً.

ولم يقتصر كلام بشر على النوع الخطابي في الكلام، "و إنما هو أي كلام محضّر كتابة ويعد إعداداً خاصا في معنى من المعاني لإفهام جمهور محدد" [٦] بعد تحول الخطابة إلى فن مكتوب. ويذكر بشر في صحيفته أطراف عملية التوصيل وهي (المتكلم، والقول، والسامع)، ويرى أن هذه العملية لا تكتفي بحدود القول وإنما تتسع لتحيط به من جوانبه، فهناك حالة نفسية –تسبق القول– تحيط بالمتكلم وتؤثر في نتاجه، فتؤهله للكتابة عند تخير الوقت المناسب لقريحته.

ثم يضع لعملية التوصيل معياراً واحداً وهو "الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام مقال " [١]، فالصواب مرتبط بقواعد اللغة، والمنفعة بالقصد الذي يريد نفع السامعين به، أما موافقة الحال والمقام فيريد بهما الظرف النفسي والاجتماعي المحيط به[٢]، ويوضّحه بقوله "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار

---

[٣] ينظر : النقد الأدبي : ٤٣٨.

[٤] ينظر : دراسات في نقد الأدب العربي : ١٢٥.

[٥] م.ن : ١٢٥.

[٦] مقدمة في النقد الأدبي : ١٧٤.

[١] البيان والتبيين : ١/١٣٦.

[٢] ينظر : أوجه البلاغة الثلاثة، ناصر حلاوي، الأقلام، ع١١-١٢، س٢٧، ١٩٩٢ : ٨٠.

المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات " [٣]، ويضع بشر اللفظ والمعنى في المنزلة ذاتها بقوله "من أراغ معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً"[٤].

وقد توضّحت الكتابة عن عملية التوصيل توضّحت على يد معتزلي آخر وهو الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) –الذي نقل فيه صحيفة بشر–، وذلك لاهتمامه بالعلاقة بين المرسل والمتلقي اللذين يلتقيان حول الرسالة [٥].

فقد تناول الجاحظ أطراف العملية من خلال دراسته للخطابة - على الرغم من ذكره لألوان أدبية أخرى من رسائل وحكم وأمثال - التي عدت إحدى دعائم الدولة في العصر العباسي، والفن الرئيس في جدل المعتزلة، ثم تحولت إلى فن بلاغي مكتوب يسخر لأغراض نفعية؛ فقد كان تناوله لعملية التوصيل وتنظيره لها من خلال الفن الخطابي ذاته الذي درسه أرسطو في كتابه وتزامنه مع البلاغة وتدوينها، مع اختلاف منهجه عن سابقه، وهذا ما يمثل نقطة التقاء الثقافتين العربية واليونانية، فقد نال كتابه مكانة كبيرة تقرب من المكانة التي نالها كتاب أرسطو (الخطابة) عند اليونان [١]، حتى عدّ الجاحظ به مؤسس البلاغة العربية [٢].

وتتّضح عملية التوصيل عند الجاحظ من خلال حديثه عن البيان والبلاغة، حيث تتجسد أطراف عملية التوصيل ويجمعها في موقف واحد ولغاية واحدة، فالبيان عنده "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛

---

(٣) البيان والتبيين : ١/١٣٨-١٣٩.

(٤) م.ن : ١/١٣٦.

(٥) ينظر : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، أفريقيا الشرق، بيروت، ١٩٩٩ : ٢٩٢.

(١) ينظر : مقدمة في النقد الأدبي : ١٧٦.

(٢) ينظر : البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٥ : ٥٧-٥٨.

لان مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع" [٣].

و يؤكد الجاحظ عملية التوصيل بتوسيع البيان وعدم حصره باللفظ، فالبيان عنده على خمسة أصناف "اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى النصبة"[٤]، ثم يقرن اللفظ بالصوت إذ ان الصوت "الصوت هو آلة اللفظ" [٥].

أما البلاغة فعلى الرغم من تمييز المتأخرين بينها وبين البيان، كان الجاحظ يجعلهما بمعنى واحد ولغاية واحدة، فيكمل عملية التوصيل بمعان متعددة للبلاغة وعند أقوام شتى يتناول في كل معنى جانباً أو اكثر من عملية التوصيل .

فالتوصيل هو ما تسعى إليه البلاغة بقوله "لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك اقرب من معناه إلى قلبك" [٦]، بل إن عملية التوصيل عنده هي البلاغة بعينها ولاسيما مع نقله لوصف ابن المقفع للبلاغة بأنها "اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون رسائل" [١]، فعملية التوصيل هي ما تشترك به هذه الوجوه جميعها .

وجماع البلاغة أدوات تشكل عملية التوصيل فمنها "البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة" [٢] زيادة على "التماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غمض، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذّر" [٣]، وتمامها "أن تكون الشمائل

---

[٣] البيان والتبيين :٧٦/١.

[٤] م.ن : ٧٦/١.

[٥] م.ن : ٧٩/١.

[٦] م.ن : ١١٥/١.

[١] البيان والتبيين : ١١٥/١-١١٦.

[٢] م.ن : ٨٨/١.

[٣] م.ن : ٨٨/١.

موزونة، والألفاظ معتدلة، واللهجة نقية، فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت" [٤].

ويجمع الجاحظ بين القول وزمانه ومكانه وما يتضمنه من ألفاظ ومعان ويوصلها بسمات يخص القائل بها، ولباسه وهيأته، ويتجاوز ذلك إلى تصنيف المتلقين أو جمهور الناس بحسب القائل ومنزلته، وفي ذلك إحاطة بجوانب العملية ووضع لحدودها .

ويورد الجاحظ اهتمام العرب بوصف خطبائهم بسمات تدل على بلاغتهم نحو (المصقع)[٥]، (الصلاق)[٦]، ووصفهم للخطب بأوصاف عدة ومنها : (العجوز، العذراء)[٧]، وتشبيهها بـ (الثياب الموشاة، والحلل، والديباج)[٨]، ووصف اللسان البليغ باللسان (الذلق)[٩].

وتجاوز ذلك إلى تشخيص عيوب الخطباء، وذكر ما يصيب بعضهم منهم في صوته أو لسانه [١]، من حصر أو عي [٢]، أو تعقيب أو تقعير أو تسديف أو تمطيط[٣]، أو لكنة أو لثغة [٤]، أو لجلجة أو تمتمة [٥]وتناول الشعراء تلك العيوب وصفاً لها وذماً للمتصف بها وفخراً بالسلامة منها [٦].

وينقل الجاحظ عن صحيفة مكتوبة من الهند آلة البلاغة لتشمل العمل الأدبي بأكمله، قائلاً ومقولاً ومستمعاً مع سمات وظروف تحيط بهم، فمدار الأمر عنده "إفهام كل

---

(٤) م.ن : ٨٩/١.

(٥) م.ن : ١١٣/١.

(٦) م.ن : ١٢٤، والصلاق : الصوت الشديد.

(٧) م.ن : ٣٤٨/١.

(٨) م.ن : ٣٤٩/١.

(٩) م.ن : ١٤٦/١.

(١) ينظر : البيان والتبيين : ١٣٣/١.

(٢) ينظر : م.ن : ٣/١-١٢.

(٣) ينظر : م.ن : ١٤٦/١.

(٤) ينظر : م.ن : ١٧/١.

(٥) ينظر : م.ن : ١٢/١.

(٦) ينظر : م.ن : ٣/١-٤، والكتاب حافل بذكرها.

قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم، وأن تواتيه آلاته، وتتصرف معه أداته" [٧] ، بعد أن خصّص لكل صناعة أو مهنة من (القصص، والزمر، والخمار) آلة خاصة بها وخصّ الخطابة بالبلاغة بعد أن خصّص آلة مستقلة للشعر "ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابياً، ويكون الداعي إلى الله صوفياً" [٨].

ويجعل الجاحظ اللفظ مدار البلاغة والبيان فيمدح ويذم بما يتصل به ويفاضل على أساسه، حتى شملت مفاضلته الحروف المكونة للفظ، ثم يرسم حدوداً ثابتة لاختيار القائل لأسلوبه وذلك بحسب (المخاطب، والموضوع، والمعنى)[٩].

ويعطي الجاحظ مواصفات للمعنى ينقلها عن بعضهم قوله "المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم" [١٠]، وعلى العكس منها الألفاظ إذ يقول "إن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني معدودة، ومحصلة محدودة" [١]، فمواصفات المعاني عنده لا محدودة ولا نهائية، إلا أن ذلك يقابل به محدودية الألفاظ ونهائيتها، "ومقاسها في ذهن المتكلم إذ هي أقدار وأحوال وليست على درجة واحدة من الاستعمال، فما يصلح لهذا المقام قد لا يصلح لمقام وحال آخرين" [٢].

وهنا يلتقي الجاحظ مع ما قاله بشر –كما مّر سابقاً- بما جاء في النظريات المقامية، إذ ينظر إلى طبيعة وجوهر العملية الإبلاغية مراعياً الشروط الخارجية والذاتية التي يتصف بها الخطاب وصاحبه وهو ما تنادي به بعض المدارس اللسانية الحديثة [٣].

---

[٧] م.ن : ٩٣/١.

[٨] م.ن : ٩٤/١.

[٩] دراسات في نقد الأدب العربي : ٢١٨.

[١٠] البيان والتبيين : ٨١/١.

[١] البيان والتبيين: ٧٦/١.

[٢] علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتب، دمشق، ٢٠٠١ : ١٢٤.

[٣] ينظر : م.ن : ١٢٧.

وفي تفضيل الجاحظ للفظ على المعنى تثمين للنص الأدبي وتنبيه إلى "مذهب الصنعة والتجديد في الصياغة" [٤]، ولفت الأنظار إلى الاهتمام بالناحية الشكلية، ولاسيما بعد أن اصبح اكثر الشعر موجهاً إلى الخلفاء ورجال الحاشية.

وفي اهتمام الجاحظ باللفظ نقل لميدان الدراسة القرآنية إلى الدراسة الأدبية [٥]، بنقل مقياس الأدب من صحة وسلامة الألفاظ من الأخطاء ومطابقتها لكلام العرب وسلامة الأوزان والقوافي وقوة المعاني ونبل الأغراض الذي كان عليه اغلب العلماء باللغة والنحو ورواة الشعر[٦]، إلى مقياس جديد هو (المذهب البياني) [٧].

وقد اصبح هذا المقياس معياراً لعملية التوصيل التي تعد أطرافها الثلاثة (المبدع، والنص، والمتلقي) عناصر رئيسة لأية حلقة من حلقات النقد [٨]، لاجتماع الدرسين البلاغي والنقدي، وتحاور بحوث القدماء فيهما "فالناقد يتعامل بأدوات البلاغة، والبلاغة تضم إليها ما يخص النقد" [١]، الأمر الذي شكل نظرية نقدية عند العرب اكتملت بآراء النقاد الفلاسفة ليصل النقد إلى ذروته في القرن الرابع الهجري [٢]، وانتقالاً بالنقد إلى ما يخص النص الأدبي، فقد كان كلام الجاحظ "أشبه شيء بالنظريات العامة التي تحتاج إلى التجلية، وشرح وسائل الصنعة" [٣].

ولارتباط عملية التوصيل بالنص السماوي من جانب، وبالخطابة أداة لتوصيلها من جانب آخر نجد أصداء هذه العملية وأطرافها تتبلور في نظرية نقدية لدى النقاد العرب

---

(٤) دراسات في نقد الأدب العربي : ١٨٢.

(٥) النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، هند حسين، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١ : ١٧٧-١٧٨.

(٦) ينظر : دراسات في نقد الأدب العربي : ٢١٩.

(٧) ينظر : م.ن : ٢٠٧-٢٠٨.

(٨) ينظر : مكانة المتلقي في نقد القرن الرابع الهجري، بشرى موسى، الموقف الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع٢١، س٤، ١٩٩٩ : ٧٨.

(١) البلاغة العربية قراءة اخرى، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧ : ٢٧.

(٢) ينظر : النظرية النقدية عند العرب : ٢٧.

(٣) دراسات في نقد الأدب العربي : ٢٠٨.

المحدثين في أوائل القرن العشرين سواء أكان ذلك بعدّ النقد علماً، وأخذه من العرب كحال العلوم الأخرى التي عدت أساساً للنهضة الأوربية التي قامت على مستخلصات الحضارة العربية، أو بمعزل عن ذلك وغفلة نتيجة العنصر الديني والتباس قضايا المعتقد في أي حضارة بالكتاب السماوي النازل فيها [٤].

ونظرية التوصيل نظرية شكلية تسعى إلى الاهتمام بالأثر الأدبي[٥]، وعدّه "شكلاً مستقلاً قائماً لذاته" [٦]، إذ لا يرون تطابق الأدب مع شخصية منتجه والمجتمع الذي يعيش فيه [٧]، وتتجه لدراسة أطراف الخطاب الأدبي من خلال بنية الخطاب نفسه، ويشدّد جاكبسون على أطراف عملية التوصيل "ان كل عملية اتصال يجب أن تتوفر فيها ثلاثة أشياء:المرسل، والمتقبل، والرسائل" [٨].

ويفصّل جاكبسون الذي يعد "مؤسس البنائية اللغوية الحديثة" [١] في دراسة الخطاب اللساني فيراه مكوناً من ستة عناصر، فالرسالة موجهة من مرسل إلى مرسل إليه، وفاعليتها تقتضي سياقاً لفظياً أو غير لفظي قابلاً للإدراك، وسنناً مشتركة بين طرفي الخطاب، وقناة تصل بين الطرفين، بما يمكن عدّها عناصر لعملية النطق في الكلام المحكي اكثر منه في الخطاب المكتوب[٢]، ويولّد كل عنصر من عناصر الخطاب عند هيمنته في عملية اتصال معينة [٣]، وتتعلق البنية اللفظية للرسالة بالوظيفة المهيمنة على ذلك الخطاب [٤]، ويحدد

---

[٤] ينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٢-٢٣.

[٥] ينظر : قضية البنيوية، عبد السلام المسدي، المطبعة العربية، تونس، ط١، ١٩٩١ : ١٣٣.

[٦] اللغة في الأدب الحديث، جاكوب كورك، ترجمة : ليون يوسف وعزيز عمانوئيل، دار المأمون، بغداد، ط١، ١٩٨٩ : ١٦٢.

[٧] ينظر : فصول في اللغة والنقد، نعمة رحيم العزاوي، المكتبة المصرية، بغداد، ط١، ٢٠٠٤ : ٢٠١.

[٨] بنية الخطاب النقدي، حسين خمري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٩٠ : ٩٧.

[١] نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٣، ١٩٧٨ : ٣٨٣.

[٢] ينظر : الأدب والدلالة، تودوروف، ترجمة : محمد نديم، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٦ : ١٨.

[٣] ينظر : مقدمة في النظرية الأدبية، تيري ايغلتن، ترجمة : إبراهيم جاسم العلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد : ١٠٨.

[٤] ينظر : قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة : محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٨٨ : ٢٧-٢٨.

جاكبسون وظائف الخطاب اللغوي 'انطلاقاً من فحوى مضمونه الذي يحدد قصد المتكلم، وغايته من إعلام السامع" [٥]، ومن إيمانهم بالعلاقات بين الأشياء [٦].

ويرى جاكبسون أنه عند تشديد الخطاب على الرسالة نفسها تتولد عنه الوظيفة الشعرية، أما عندما يكون تشديده على المرسل أو المرسل إليه أو السياق أو السنن أو القناة، فتتولد عن ذلك الوظيفة الانفعالية أو الإفهامية أو المرجعية أو المعجمية أو الانتباهية على التوالي.

وتهيمن الوظيفة الشعرية هي على الخطاب الأدبي بوصفها "متمركزة حول قصد الإرسالية" [٧]، إلا أن هيمنتها لا تلغي وجود الوظائف الباقية، بل يجعلها تتدرج في سلم هرمي [١]، في خطاب يكون المرسل منه مسنّناً أول للدلالة، أما المرسل إليه فهو المسؤول عن فكّ السنن واستخلاص الدلالة [٢].

ولذا يرى جاكبسون أن موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب وإنما (الأدبية)[٣]، التي تعد خاصية استراتيجية توجه العمل الأدبي ومبدأ تكامله الحركي[٤]، إذ يعد النص الأدبي خطاباً "تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام" [٥]، وهذا ما يميّزه عن بقية أنواع الخطاب باتجاهه إلى الرسالة بالذات، والنص الأدبي "نسيج من الألفاظ والعبارات التي تطّرد في بناء

---

[٥] علم الدلالة : ١٢٤.

[٦] ينظر : التحليل النقدي والجمالي للأدب، عناد غزوان، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥ : ٨٦.

[٧] معايير تحليل الأسلوب، ريفاتير، ترجمة : حميد الحمداني، دراسات سال، الدار البيضاء : ٦٨.

[١] ينظر : قضايا الشعرية : ٢٨-٣٢.

[٢] ينظر : القراءة وتوليد الدلالة، حميد الحمداني، المركز الثقافي، المغرب، ط١، ٢٠٠٣ : ٤٧.

[٣] ينظر : نظرية المنهج الشكلي، ترجمة : إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢: ٣٥.

[٤] ينظر : نظرية البنائية في النقد الأدبي : ١٢٧.

[٥] الأسلوب والأسلوبية نحو بديل ألسني في نقد الأدب، عبد السلام المسدي، مطبعة الاتحاد العام التونسي، تونس، د.ط، ١٩٧٧: ٨٨.

منظّم متناسق" [٦]، على ان الوظيفة الشعرية لا تقتصر على الشعر وحده بل تتجاوزه إلى الأنواع الأدبية الأخرى [٧].

أما المعيار اللساني الذي يمكن من خلاله التعرف على الوظيفة الشعرية، فهي إسقاط "مبدأ التماثل لمحور الاختيار على محور التأليف" [٨]، ليحدث ما يعبر عنه بالانحراف عن اللغة العادية و"الإنزياح" [٩]، بحصول فجوة أو مسافة توتر في بنية النص اللغوية [١٠]، فالاختيار يتعلق باختيار العناصر القائمة في النص، أما التأليف فيتصل بالعلاقة القائمة بينهما [١]، بناءً على محوري التعاقب والتزامن وعلاقتي الحضور والغياب التي قال بها سوسير مسبقاً [٢]، وانطلاقاً من علاقة خفية توفرها اللغة بتكامل جانبي الصوت والمعنى [٣]، بعلاقات داخلية "لان البنية منتظمة أو متشكلة من عناصر دلالية وصوتية في صورة علائقية" [٤]، ويرى جاكبسون وجود القطبين الاستعاري والكنائي معاً بصورة تنافسية في أي عملية رمزية [٥]، وذلك بالإفادة من التمييز الضمني بينهما عند سوسير [٦].

ولا تبتعد هذه النظرية بوظائفها عما عرفه النقد العربي القديم، وإن كانت غريبة عنه في تقنينها اكثر منه في محتواها، ولا سيما ان الإطار الشكلي كان مدخل التمييز بين فنون

---

(٦) النص الأدبي تحليله وبناؤه، إبراهيم خليل، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٥ : ١٣.

(٧) ينظر : قضايا الشعرية : ٣٥.

(٨) م.ن : ٣٣.

(٩) ينظر : بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة : محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٨٦: ١٩٢.

(١٠) ينظر : في الشعرية، كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٧ : ٢٠.

(١) وللمزيد من التفصيل في جزئيات هذه النظرية ينظر : نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث، سحر كاظم الشجيري، رسالة ماجستير، كلية التربية–جامعة بابل، ٢٠٠٣ : ٣٥.

(٢) ينظر : محاضرات في الصوت والمعنى، رومان ياكبسون، ترجمة : حسن ناظم وعلي حاكم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤ : ١٤٤ .

(٣) ينظر : شكل القصيدة العربية حتى القرن الثامن الهجري : ١٨٩.

(٤) ينظر : م.ن : ١٨٩.

(٥) النص الأدبي تحليله وبناؤه : ١٣.

(٦) ينظر : مقدمة في النظرية الأدبية : ١٠٨.

القول قديماً كما كان النقد العربي نقداً بنائياً أو سمّه شكلياً" [٧]، فإذا ما عدنا إلى كتاب الجاحظ، فإننا نتلمس بعض هذه الوظائف، فقوله "لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه المعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها وأخبارهم عنها واستعمالهم إيّاها" [٨]، يتصل بالوظيفة المرجعية التي ترتبط بمحتوى نرغب في إيصاله للآخرين من جانب، وبالوظيفة الانفعالية التي تتصل بإبراز موقف المتكلم من مختلف القضايا التي يدور عليها موضوع حديثه من جانب آخر[٩].

ونلمس الوظيفة الانتباهية التي توظّف لإقامة الاتصال وضمان استمراريته، فيما يرصد الجاحظ من مداخل لغوية من خلال ما ينقله من العتابي من الاستعانة بقوله "أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه: يا هناه، ويا هذا ويه هيه، واسمع مني واستمع إلّي وافهم عني أولست تفهم أولست تعقل" [١].

وتقابل الوظيفة الشعرية المهيمنة على الخطاب الأدبي عند جاكبسون الأسلوب الذي يتجاوز معناه عند القدماء العرب العنصر اللفظي "فيشمل الفن الأدبي الذي يتخذه الأديب وسيلة للإقناع أو التأثير" [٢]، أما معيار التعرف عليها فيقابل عنصري الاختيار والموقعية الذين قامت عليهما نظرية النظم، واصبحا عماد الأسلوب الأدبي[٣].

ويراد بالتوصيل عند جاكبسون توصيل الرسالة وتمكين المرسل إليه من فهمها [٤]، وهذا التمكين أو الاستجابة هو الغرض الذي قامت عليه البلاغة العربية التي عنيت بدراسة

---

[٧] ينظر : فصول في اللغة والنقد : ٢٠٤.

[٨] البيان والتبيين : ١/٨١.

[٩] ينظر : علم الدلالة : ١٢٥.

[١] البيان والتبيين : ١/١١٢.

[٢] الأسلوب، احمد الشايب، مكتبة النهضة، القاهرة، ط٦، ١٩٦٦ : ٤١.

[٣] ينظر : فصول في اللغة والنقد : ١٧٥. إذ تتجه الدراسات الحديثة إلى التحليل المعتمد على العلاقات بين الكلمات والجمل، "وهذا ما أسماه عبد القاهر الجرجاني النظم، وما يسميه المعاصرون البنيوية أو البنائية". البحث البلاغي عند العرب : ٨٢.

[٤] ينظر : نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث : ٣.

خواص تركيب الكلام في علم المعاني، أو إيراد المعنى الواحد في طرائق مختلفة في علم البيان، أو معرفة وجوه تحسين الكلام بعد رعايته المطابقة والوضوح في علم البديع[٥]، ولذا فقد ارتبطت البلاغة عند النقاد القدماء بالأسلوبية عند النقاد المحدثين، حتى عدّت الأسلوبية بلاغة حديثة [٦] والبلاغة أسلوبية القدماء [٧].

أما فيما يخص اقتران الخطابة بعملية التوصيل فقد كان انتباه النقاد -يونان وعرباً- إلى عملية التوصيل بشكل مادي مباشر واضح الرؤية في التعبير الشفهي من زاويته الخطابية أي من خلال الخطابة المعتمدة على فن البلاغة المكتوب، وذلك لاجتماع أطرافها الرئيسة الثلاثة في موقف مادي واحد، لذا كانت الخطابة مدخلاً لدراسة العملية.

وعلى الرغم من كوننا لا نعد الشعر الشفاهي عند العرب شعراً خالصاً؛ لأنه كان خطابياً في أكثره تسوده الروح الجماعية [١]، فقد اتضحت عملية التوصيل من خلال الخطابة؛ لأن غايتها موجهة مباشرة إلى الجمهور، أما الشاعر فتوجهه للجمهور توجه ثانوي؛ "لأن عمله استجابة إلى شعوره قبل أن يكون تلبية لفكره" [٢].

وتطورت هذه العملية مع تطور النقد الأدبي الذي واكبته وارتبطت به، ورقي الحياة الأدبية ،فانسحبت إلى الشعر، ومنها إلى ما يخص النص الأدبي، فكانت مثارا لقضايا عدة من (لفظ ومعنى، وصراع بين قديم ومحدث، وسرقات أدبية، وطبع وصنعة، وصدق وكذب...) سواء ما كان منها بلاغياً أو نقدياً.

إلا أن التساؤل يكمن في أن هناك من يرى أن نشأة البلاغة اليونانية في بداياتها السابقة للتأليف مرتبطة بالخطابة، بينما كان ارتباط البلاغة العربية بالشعر السابق للخطابة[٣]، في حين لا نرى ذلك في أولى المؤلفات البلاغية، فكتاب الجاحظ اعتمد على

---

(٥) ينظر : الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ناظم عودة خضر، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٧ : ٦٥.

(٦) ينظر : الأسلوبية، بيرو جيرو، ترجمة : منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، د.ط : ٩.

(٧) ينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى : ٤.

(١) ينظر : مكانة المتلقي في نقد القرن الرابع الهجري : ٧٨.

(٢) النقد الأدبي الحديث : ٣٥٧-٣٥٨.

(٣) ينظر : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها : ٤٥.

الخطابة وإن ذكر الشعر، الأمر الذي نهض بالجاحظ بقفزة اعتباطية حتى جعل مكانه من الخطابة العربية يناهز مكان أرسطو من الخطابة اليونانية [٤]، وان كان استطراده فيه وابتعاده عن النظام والمنهجية دليلاً على اعتماده على بلاغة إعجازية لم يعهدها العرب كانت سبباً في نهضة الخطابة، وكان العديد من المصطلحات موضع تساؤل الباحثين عن مصدرها [٥]، ومثار شك بأخذها من اليونان [٦]، لما فيها من تفكير منطقي يعلو عن بيئة العرب و ثقافتهم، ولا سيما مع عدم ذكر من جاء بعده من النقاد لمصدر معتمد عليه سوى القران، مع ندرة ما ورد فيها من اقتباس عن أهل البيت **عليهم السلام**[١].

وهنا يأتي خطاب الإمام **عليه السلام** [٢]، الذي جمعت بعض روائعه في كتاب (**نهج البلاغة**)[٣]، ويعد كلامه جواباً لكل سؤال ومفتاحاً لكل علم وباباً إلى كل حكمة،

---

[٤] ينظر : مقدمة في النقد الأدبي : ١٧٦.

[٥] ينظر : أوجه البلاغة الثلاثة : ٨٠.

[٦] لقد كان تأثّر العرب تأثراً بليغاً بكتاب الخطابة لأرسطو، حتى عدّ أرسطو أباً للنقد في الأدب العربي والآداب الأوربية. ينظر : النقد الأدبي الحديث : ١٥٤.

[١] ينظر : كتاب الصناعتين : ٥٧-٥٨.

[٢] اخترنا إطلاق لفظ (الخطاب) الذي ورد في قوله تعالى ((فقال إكفلنيها وعزّني في الخطاب)) (سورة ص/ ٢٣) على خطب الإمام علي عليه السلام لوروده في اقدم المعاجم (العين) بمعنى موازٍ لتشديد الإمام عليه السلام في خطابه على (مراجعة الكلام).

ومنه ورد إطلاق لفظ (الخطاب) في كتب القدماء التي تناولوا فيها القرآن الكريم بالدرس سواء ما كان منه عاماً، أو ما ورد موجهاً إلى النبي صلى الله عليه واله وسلم وقد أطلقه ابن أبي حديد على ما ورد في رسائل الإمام عليه السلام وكتبه، ومثله في كتب المحدثين فاللفظ يطلق على ما كان مكتوباً أو ملفوظاً. ينظر : دليل الناقد الأدبي، ميجان الويلي وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠ : ٨٩.

ولذلك فقد اخترنا اللفظ لخطاب الإمام عليه السلام سواء ما سماه الشريف الرضي (كلام) أو (خطبة)، فالخطاب أوسع في الدلالة على كليهما مثلما هو أوسع في الدلالة على محتوى الخطاب والربط بين أجزائه.

[٣] حاولت مصادر عديدة إثارة الشك في صحة نسبة نهج البلاغة إلى الإمام عليه السلام لبذرة شك زرعها ابن خلكان في كتابه (وفيات الأعيان)، إلا انه جوبه بمن تصدى له قديماً وحديثاً لرد الشكوك والشبهات التي أثارها واثبات كونها تخص الإمام عليه السلام ومن صلب كلامه. ولمزيد من التفصيل ينظر : مصادر نهج البلاغة وأسانيده، عبد الزهراء الخطيب، الأعلمي، بيروت، ١٩٧٥ : ١/١١٢-١٨٥.

مصادر نهج البلاغة، عبد الله نعمة، دار الهدى، بيروت، ١٩٧٢ : ٤٥-١٢٩.

لا بوصفه الخطاب السابق للنقد فحسب، بل لكونه مصدراً لكل علم ليجيب عما يطرح من تساؤلات عن ابتداع البيان والفصاحة والبلاغة عند العرب أو كونها نتاجاً للاستقراء، ولاسيما ان كل لغة لا تخلو من الفصاحة والبيان [٤]، ويوضّح السبب الأساس في نهضة الخطابة عند العرب، ويبدّد الأقوال والتشككات[٥] فيمن نسب ثقافة العرب إلى ثقافة اليونان[١]،وليشكل خطابه، أساساً ثابتاً للعملية البلاغية النقدية بأكملها بل جوهراً بنيت عليه الثقافة العربية بأسرها.

---

[٤] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (٦٣٧هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، ط١، ١٩٣٩ : ١/٧٠.

[٥] ينظر : النثر الفني في القرن الرابع الهجري، زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥ : ١/٥١.

[١] وان كان فيه وجه كبير من الصحة، إذ يعد خطاب الإمام عليه السلام الأصل الأول الذي قامت عليه أصول البلاغة والنقد عند العرب –وإن اتجهت لدراسة القرآن–، إلا انهم اعجبوا بالثقافة اليونانية المترجمة التي جاءت بها السلطة ليمزجوا ثقافتهم الإسلامية بمصطلحات أخذت عن اليونان، فيكون الناتج تطبيق دراسي على نصوص القرآن الكريم للوقوف على سر إعجازه، ولكن بصنعة بلاغية شكلية بعيدة عن البلاغة المعجزة التي نزل بها القرآن ونطق بها الإمام عليه السلام ولا يمتلك مفاتيحها سواه وأهل بيته عليهم السلام. وحتى علم النحو الذي وضع أصوله الإمام علي عليه السلام فقد تشعبت قواعده اللغة حتى " ان قواعد اللغة العربية التي نراها في كتب النحاة ليست سوى مزيج من تقليد قواعد اللغة الإغريقية ومنطق أرسطو". أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب، دار التأليف، مصر، ط١، ١٩٦٣: ١٤.

الفصل الأول

طرفا الإرسال

مدخل:الدور الرسالي

المبحث الأول:المرسل

المبحث الثاني :التوجه الخطابي

مدخل: الدور الرسالي

اقتضت حكمة الله تعالى أن يصطفي أنبياء يسفرهم بينه وبين خلقه (لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ)[1] بما أنزل من شرائع هادية للخلق إلى ما خلقوا لأجله من عبادة الله عز وجل، ولتهديهم إلى طريق الكمال بوصفه غاية معنوية لا مادية يصلوا إليها بحواسهم الظاهرة، ولذا فقد (بَعَثَ اللَّهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً وَالْعِقَابُ بَوَاءً [2])[3].

وجعل سبحانه وتعالى الإسلام شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم شريعة شاملة لتلك الشرائع وخاتمة لها إجابةً لدعوة النبي إبراهيم وابنه إسماعيل عليهم السلام بجعل الأمة المسلمة من ذريتهما [4].

وقد أتمّ جلّ وعلا النبوة الخاتمة بالإمامة، فجعل الأئمة الهداة من نسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ألا إن مثل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كمثل نجوم السماء، إذا خوى نجم طلع نجم)[5]، وخصّهم في هاشم من بطون قريش فلا تصلح الإمامة بسواهم [6]، ليكونوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هداة للحق،

---

[1] نهج البلاغة، ضبط وتعليق: صبحي الصالح، أنوار الهدى، إيران، ط٣، ١٤٢٥هـ، خ١، ص٤٣.

[2] بواء: مصدر باء فلان بفلان: أي قتل به.

[3] نهج البلاغة: خ١٤٤، ص٢٠٠-٢٠١.

[4] في قوله تعالى ((ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك)) (سورة البقرة/١٢٨).

[5] نهج البلاغة: خ١٠٠، ص١٤٦.

[6] ينظر: م.ن: خ١٤٤، ص٢٠١.

فقد جعلهم الله سبحانه (حياة للأنام، ومصابيح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام)[1].

ولذا كان اختيار الإمام **عليه السلام** كاصطفاء النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** أمراً ليس للناس خيرةً فيه [2]، ليكون الدليل إلى الله عز وجل والطريق الموصل لمعرفته وطاعته، وذلك اقتداءً بنهج الإمام **عليه السلام** وسيراً خلف رايته، فالولاية نعمة أتم الله تعالى بها دينه[3] بعد النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** الذي جعله الله تعالى (**سَلَفاً نَتَّبِعُهُ وَقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ**)[4].

وقد جعل الله سبحانه أولياءه –كأنبيائه– مستضعفين في الأرض فقد (**كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَكَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ**)[5]، فخصّهم بولايته لما علم منهم من طاعته والتسليم لأمره دون شك أو اعتراض.

ولو شاء سبحانه لجعلهم ذوي قوة ونفوذ في الأرض، لتمدّ نحوهم الأعناق فيكون الإيمان بهم عن رهبة أو عن رغبة، (**وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَالِاسْتِسْلَامُ**

---

(٢) أصول الكافي، الكليني، دار الأسوة، إيران، ط٤، ١٤٢٤هـ : ٢٠٣/١.

[2] وفي قوله تعالى ((وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون)) (سورة القصص/٦٨)أي اختيار الأصلح للرسالة والاختيار بمعنى اخذ الخير ولا يعلم بأحوال المختار سوى الله سبحانه. ينظر : مجمع البيان في تفسير القران، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٦٠هـ)، تحقيق : لجنة من العلماء والمحقّقين، الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ : ٧ / ٤٥٣.

[3] ينظر : نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٢٩٩.

[4] م.ن : خ١٦٠، ص٢٢٩.

[5] م.ن : خ١٩٢، ص٢٩٠.

لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ)[1].

ولذلك فقد خصّالله سبحانه الأئمة، وهم خاصة أوليائه ووارثوا علم الأنبياء جميعاً بـ (مقام القدوة) [2]، ليكونوا المثل الأعلى المؤهل لقيادة الأمة الإسلامية.

وقد جعل الله عز وجل الجزاء الأخروي مترتباً على موقف المسلمين منهم، فقرن الجنة بمعرفتهم (وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ)[3]، إذ لا سبيل إلى معرفة الله عز وجل إلا بمعرفتهم **عليهم السلام** ، ولا يعبد الله عز وجل حق عبادته إلا من عرفه[4].

ولذلك كانت المعرفة هي أول الدين، وبهم معرفة الدين[5]، ولذا قال الإمام **علي عليه السلام** (أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ)[6].

---

[1] نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٢٩٢.

[2] ينظر : المظاهر الإلهية في الولاية التكوينية، فاضل الصفار، مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣ : ١/ ٢٣٥.

[3] نهج البلاغة : خ١٥٢، ص٢١٢.

[4] يروى انه سئل الباقر عليه السلام عّما كان قاله عليه السلام في معرفة الله عّز وجل (إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً) فأجاب عليه السلام انها (تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله صلى الله عليه واله وموالاة علي عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم، هكذا يعرف الله عز وجل). أصول الكافي : ١/٢٠٢-٢٠٣.

[5] ينظر : م.ن : ١/٣٩٧-٣٩٨.

[6] نهج البلاغة : خ١، ص ٣٩-٤٠ .

ولا تكون معرفة الأئمة **عليهم السلام** إلا بمعرفة حقهم، والإيمان بما فضلهم الله به من علم على سائر خلقه، والاقتداء بهم واتباعهم، لذا لا يعرفهم حق المعرفة [1]**(إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ)**[2].

وأّولهم بعد النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** الإمام **علي عليه السلام** ثم الأئمة من ذريته، فالإمام **علي عليه السلام** هو اثر النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** الذي يُقتص، والوصي الذي بعمله يُقتدى[3]، و**(أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ)**[4] لتكون وصايته وحق ولايته حقاً متوارثاً في الأئمة من ذريته **عليهم السلام**على الناس جميعاً إذ ان لهم **(خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ)**[5]، فيكون الاقتداء بهم وطاعتهم حق الله تعالى الواجب على الناس تأديته للوصول إلى رضاه.

إلا ان الاقتداء بالإمام **عليه السلام** واتباعه في كل أمر مهما كانت مشقته على النفس لا يمكن الوصول إليه إلا بترك الكبر لان طاعة الله تعالى التي يدعو لها الإمام **عليه**

---

(1) يراد بالمعرفة كونه إماماً مفترض الطاعة وقد تكون هذه أولى درجات المعرفة، فالمعرفة درجات، ويختلف القرب من الإمام بحسب هذه الدرجات، ولا يمكن الوصول إلى معرفة الإمام عليه السلام حق المعرفة إلا بمعرفته بالنورانية، إذ يروى عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قوله (كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل مطبقاً، يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم نزل في شيء واحد، حتى افترقنا في صلب عبد المطلب فجزء أنا وجزء علي). المناقب : الخوارزمي (٥٦٨ هـ)، مؤسسة النشر، قم، ١٤٢١هـ : ١٤٥. ولذا قال الإمام عليه السلام (معرفتي بالنورانية معرفة الله ومعرفة الله معرفتي بالنورانية)، فلم تكن إمامته أمراً عادياً، فهو يقول (ظاهري إمامة ووصية وباطني غيب لا يدرك). صحيفة الأبرار، ميرزا محمد تقي، تحقيق : مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، الأعلمي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣ : ١/١٨٦،٧٦ على التوالي.

(2) نهج البلاغة : خ١٨٩، ص٢٨٠.

(3) ولذا يصف الإمام عليه السلام خطأ الفرق في قوله (لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ). م.ن :٨٨، ص١٢١.

(4) م.ن : خ١٦٠، ص٢٢٧-٢٢٨.

(5) م.ن : خ٢، ص٤٧.

السلام لا تكون إلا بمخالفة النفس، فإن رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** كان يقول(**إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ**)[1].

وعلى الرغم من كون الإمامة منصباً إلهياً لا دخل للناس في اختياره، إلا أن رحمة الله سبحانه بعباده اقتضت ربط الأسباب بمسبباتها، فلا يأتي بما لا تدركه عقول خلقه، فيكون لهم حجة الجهل به عذراً، ولذا فقد جعل الله سبحانه تكريم الإمام **عليه السلام** بالفضائل وتخصيصه بالكرامات، تالياً لما يصدر عنه من سمات، ولذا فقد كان تتويجه لمنصب الإمامة آخر ما بلّغه النبي **صلى الله عليه وآله وسلم**من رسالة ربّه[2]، وإن كان الأصل فيها [3]، وتالياً لما ثبت للناس جميعاً من سمات وفضائل تميز بها فتكون سبباً لإعطائه البيعة من الجميع بوصفه القائد المتفرد بعد رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** [4]، وإن كان هناك من يحقد عليه ويحسده على ذلك ويحيك له الدسائس والمؤامرات[5].

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الإمام **عليه السلام** خليفةً في أرضه، وشاهداً على خلقه، وحجة عليهم إذ (**لَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ**)[6]، وفضائله تثبت حقّه وتوجب الاقتداء به قبل تتويجه ولياً لأمور المسلمين وتكون شاهد صدق على منزلته عند الله تعالى، وناطقاً حياً على

---

(1) ويقول الإمام عليه السلام فيها (وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ). نهج البلاغة : خ١٧٦، ص٢٥١.

(2) ولذا قال تعالى ((وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)) (سورة المائدة / ٦٧).

(3) ينظر : بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستري، دار أمير، طهران، ط١، ١٩٩٧ : ٢٦١/٢.

(4) ينظر : فضائل الصحابة، أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت : ١٥.

(5) فقد اجتمع نفر من قريش والمنافقين من الأنصار وجمع ممن كانت الردة في قلبه وتعاقدوا على تنفير ناقة النبي صلى الله عليه واله وسلم بعدأن دُسّ إليهم خبر عزم النبي صلى الله عليه واله وسلم على تنصيب الإمام عليه السلام ولياً بالمدينة عند قدومه من الحج، ولذلك نزل أمره تعالى ((يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)) (سورة المائدة/٦٧). ينظر : معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة (عليهم السلام)، محمد الكاشاني، مكتبة الصدوق، إيران، ١٣٨٨هـ : ٧٧/١.

(6) نهج البلاغة : خ١، ص٤٣.

وجوب الطاعة لمن سبقهم إلى طاعة الله تعالى، وتجسدت فيه أفعالاً قبل أن ينطق بها داعياً [(١)].

وقد مّر الدور الرسالي للإمام **عليه السلام** بثلاث مراحل تاريخية:

الأولى : بدأت بطفولته واحتضان النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** له وانتهت بوفاة النبي **صلى** الله **عليه واله وسلم** في حجره سنة ١١هـ[(٢)].

الثانية :استمرت خمساً وعشرين سنة بدأت بوفاة النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** وانتهت بانتهاء خلافة عثمان سنة ٣٥ هـ[(٣)].

الثالثة :استمرت خمسة أعوام بدأت بتولي الإمام **عليه السلام** الخلافة وانتهت باستشهاده على يد أشقى الأشقياء سنة ٤٠ هـ [(٤)].

---

(١) ينظر : أصول الكافي : ١/ ١٩٨-٢١٤.

(٢) ينظر : الطبقات الكبرى، ابن سعد الزهري (٢٣٠هـ)، دار صادر، د.ت : ٢٠٦/٢.

(٣) ينظر: م.ن : ٣١/٣.

(٤) ينظر : م.ن : ٣٧/٣.

سمات الإمام وفضائله

لم تكن سمات الإمام **عليه السلام** سمات عادية، أو تخص خلقاً معيناً تخلق به شخصه الكريم، إذ يكفي منصب الإمامة دليلاً على ما تفرد به من مزايا وسمات وفضائل وكرامات، بما يؤهله ليكون خليفة الله جلّ وعزّ، والحامل لصفات المستخلف له، ووصي النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** وخليفته من بعده.

لقد بلغ الإمام **عليه السلام** أعلى السمات الخلقية إذ كان متخلقاً بأخلاق الأنبياء، حاملاً لصفات الأوصياء [1]، فكانت سماته إشعاعات رسالية ترد في بعض خطابه، لتعلن حقه و تشيد بفضله و أفضليته و أهل بيته **عليهم السلام**.

وأول ما اجتمع للإمام **عليه السلام** شرف النسب مع كرم المولد، فقد ولد لأبوين هاشميين (وهو أول مولود هاشمي في الإسلام)[2]، فجمع بنسبه ما كان للهاشميين من أخلاق كريمة و خلال معروفة عند العرب جميعاً.

وقد اتفق ذلك مع ما فضله الله تعالى به فقد تفرد الإمام **عليه السلام** بكونه أول مولود تتشرف الكعبة بولادته فيها بعد شق جدارها ودخول والدته –عندما وافاها الطلق به– في جوف الكعبة ثم التئام جدار الكعبة بمعجزة ربانية [3]، وخروجها منه بعد ثلاثة أيام

---

[1] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه، وموسى في علمه، وعيسى في ورعه، فلينظر إلى علي بن أبي طالب). شرح نهج البلاغة، ابن أبي حديد (٦٥٦هـ)، الأعلمي، بيروت، ١٩٩٥ : مجلد٢، ٤٠٢/٧.

[2] ينظر: خصائص الأئمة، الشريف الرضي (٤٠٦هـ)، تحقيق : محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٠٦هـ : ٣٩.

[3] ولد الإمام علي عليه السلام بمكة في الثالث عشر من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يولد مولود قبله ولا بعده في بيت الله تعالى إكراماً وتعظيماً لمنزلته. ينظر : الإرشاد، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، الأعلمي، بيروت، ط٥، ٢٠٠١.

تحمل الإمام عليه السلام طفلاً، فيكون ذلك مفتتحاً لأوسمة تمنحها السماء لمولود الكعبة [1].

ويثنّي ذلك بوسام الجدب والقحط الذي أصاب قريش ليحتضنه حجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[2]، فيكون فطامه على الأخلاق الملائكية التي فطم عليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والتي وصفها بقوله (وَ لَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَ مَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَ نَهَارَهُ وَ لَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً وَ يَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ)[3]، فكان الإمام عليه السلام ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبيبه وأقرب الناس منه منزلة، حتى يصل إلى مخاطبته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقول (أنت مني وأنا منك)[4].

وكان أسبق الناس إلى الإيمان بالله جلّ وعلا وتصديق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والصلاة خلفه فلم يعبد صنماً قط[5]، وفي ذلك يقول الإمام عليه السلام (إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله

---

[1] ينظر : الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سيرة وتاريخ، محمد حسن آل ياسين، المكتب العالمي، بيروت، ط١، ١٩٧٨ : ١٦.

[2] فقد أنعم الله على الإمام عليه السلام بقحط أصاب قريش، وكان شديداً على أبي طالب عليه السلام لكثرة عياله، فتقدم النبي صلى الله عليه واله وسلم والعباس لمساعدته باحتضان بعض أطفاله، فتكفل النبي صلى الله عليه واله وسلم بتربية الإمام عليه السلام واخذ العباس جعفراً. ينظر : تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق : نخبة من العلماء، الأعلمي، بيروت، د.ت : ٣١٣/٢.

[3] نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٣٠٠.

[4] خصائص أمير المؤمنين، أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، تحقيق : محمد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة : ٨٨.

[5] ينظر : الطبقات الكبرى : ٢١/٣.

بِالصَّلَاةِ)[1]، مثلما كان أسبقهم إلى الهجرة معه[2]، ثم كان الأخ الذي أبقاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه عند مؤاخاته بين الأوس والخزرج [3]، وخصّه بمناجاته[4]، وبتزويجه ابنته الزهراء عليها السلام زواجاً سماوياً فرحت به ملائكة السماء قبل أهل الأرض، فيخص الله تعالى بيته لطهارته بسد سائر الأبواب المفتوحة على المسجد إلا بابه[5]، ثم يخص الله تعالى الإمام عليه السلام بذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بضعته[6]، ليكون الإمام نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن يباهل به اليهود والنصارى مع أهل بيته[7]، الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطّهرهم تطهيراً [1]، إذ

---

[1] نهج البلاغة : خ١٣١، ص١٨٩.

[2] ينظر : م.ن : خ٥٧، ص٩٢.

[3] ينظر : الطبقات الكبرى : ٢٢/٣.

[4] يروى انه عندما آثر الأغنياء مناجاة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وغلبوا الفقراء على المجالس عنده، نهى الله المسلمين عن مناجاة النبي صلى الله عليه واله وسلم حتى يتصدقوا بقوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة)) (سورة المجادلة/١٢)، فخفّ الأغنياء ولم يناجه إلا الإمام عليه السلام متصدقاً بدينار كامل، ثم نزلت الرخصة، فبقيت الآية مخصوصة به عليه السلام. ينظر: سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٠ : ١٥٢/٥.

ولذا كان الإمام عليه السلام يقول عن هذه الآية (إن في كتاب الله تعالى لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي). مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ابن طلحة الشافعي (٦٥٢)، دار الكتب، النجف، د.ت : ٨٨/١.

[5] ينظر : خصائص أمير المؤمنين : ٧٣.

[6] ينظر : م.ن : ١٢٣-١٢٤.

[7] يروى عندما جاء وفد نصارى نجران ليجادلوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في أمر عيسى بن مريم، ونزول الآية ((فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)) (سورة آل عمران/٦١) أخذ النبي صلى الله عليه واله وسلم بيد فاطمة ابنته والحسنين أبنائه والإمام علي نفسه عليهم السلام، فتراجع الوفد عند رؤية تلك الأقمار، وقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (اللهم هؤلاء أهلي). ينظر: سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ : ٢٩٤/٤.

يقول الإمام **عليه السلام** (**أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ**)[٢]، وهو يلتقي مع رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** بـ(**الْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ**)[٣].

وبهذه القرابة يكون الإمام **عليه السلام** أولى بالناس من أنفسهم مثلما هو بالطاعة أولى[٤]، إلا أن اختيار الإمام **عليه السلام** لمنصب الولاية لم يكن لقرابة تجمعه برسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** أو منزلة تخصه – وإن كان أحد أسباب ولايته-، بل لسبق إلى طاعة الله تعالى وجدارة شهدها الجميع وفضائل خص بها.

ولو أردنا تعداد سمات الإمام **عليه السلام** لعجزنا عن إحصائها وتسميتها[٥]، إلا أننا نرى الصبر هو السمة الأساس التي لازمته فكانت اصل طاعته لله تعالى ودماً يجري في شرايين سماته الباقية التي يمكن عدّها اوجهاً عدّة لعملة واحدة يندر وجودها إلا عند الإمام **عليه السلام**فتارة نراه زهداً ، وأخرى ورعاً ، وأخرى شجاعة، وأخرى حلماً ،...

فقد كان الصبر الذي يعد من الإيمان (**كالرأس من الجسد**) [٦]، سمة لازمت الإمام **عليه السلام**، وأولى دلائل طاعته لله تعالى، فقد خصّه الله سبحانه وتعالى بالولاية لما علم منه ذلك الصبر، فمقام الولاية "من ارفع المناصب الإلهية يتم بعد اجتياز مراحل

---

[١] يروى بعد نزول قوله تعالى ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)) (الأحزاب/٣٣)، ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان يمر على دار الإمام علي وفاطمة عليهما السلام ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر، فيناديهم للصلاة بهذه الآية. ينظر : سنن الترمذي : ٣١/٥.

[٢] نهج البلاغة : خ١٦١، ص٢٢٩.

[٣] م.ن : خ١٩٢، ص٣٠٠.

[٤] في كتاب الإمام عليه السلام إلى معاوية (وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنا، وهو قوله سبحانه وتعالى ((أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)) وقوله تعالى ((ان أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين))، فنحن مرة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة). نهج البلاغة : كتاب ٢٨، ص٣٨٥، (سورة الأنفال /٧٥، سورة آل عمران /٦٨) على التوالي.

[٥] لم يتضمن البحث إلا جانب من سمات الإمام عليه السلام، ولو أردنا إحصاءها مما تناقلته كتب التاريخ والسير لما وسعها بحث، إلا أننا حاولنا التشديد على ما يمكن عدّه أصلاً تتفرع عنه السمات الأخرى.

[٦] نهج البلاغة : قول ٨٢، ص٤٨٢.

الامتحان و الاختبار الشديدة" [1]، فكان صبر الإمام **عليه السلام** مبتدأ إيمانه بالله تعالى، ودليلاً عليه، ولا إيمان كالصبر [2].

و قد وصل الإمام **عليه السلام** في إيمانه بالله تعالى إلى أعلى درجات الإيمان، إلى درجة اليقين التي يرى الله جّل وعلا فيها في كل أمر، لذا يقول الإمام **عليه السلام** **(لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)**[3] ، بل إلى أعلى درجات اليقين التي تجعله يرى الله رؤية قلبية، فيجيب من سأله عن رؤية ربّه **(أفأعبد ما لا أرى)**، ويبدأ بوصف رؤيته القلبية **(لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ)**[4].

فالإمام **عليه السلام** أكثر الناس يقيناً بالله تعالى وصبراً على طاعته وابتغاءً لمرضاته، إذ كان صبر الإمام **عليه السلام** شدّاً لأزر النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** وتخفيفاً له عن أعباء الرسالة التي كان المشركون يجابهونها بالإنكار والاتهام والسخرية لمن آمن به.

وأول صبر الإمام **عليه السلام** صبره على طاعة الله عّز وجّل ورسوله [5]، إذ يقول الإمام **عليه السلام** **(وَ لَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا)**[6].

إذ لم يعص الإمام **عليه السلام** لله أمراً ولا لرسوله **صلى الله عليه وآله وسلم**، حتى وإن كان في ذلك الأمر تعدٍ على إمامته وسلب لحقه فيها، وفيما ورثه عن رسول الله

---

[1] المظاهر الإلهية : ٢٧. وفي ذلك قوله تعالى ((وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)) (سورة السجدة/٢٤).

[2] ينظر : نهج البلاغة : قول ١١٣، ص٤٨٨.

[3] مطالب السؤول : ٨٩/١.

[4] نهج البلاغة : خ١٧٩، ص٢٥٨.

[5] (الصبر صبران : صبر على ما تكره، وصبر عّما تحب). م.ن : قول ٥٥، ص٤٧٨.

[6] م.ن : خ١٩٧، ص٣١١.

صلى الله عليه وآله وسلم، وحتى ولو تجاوز ذلك عاماً أو عامين إلى اكثر من عقدين من الزمان، إلى خمسة وعشرين عاماً.

فقد صبر على أذى قريش ومنازعتهم إيّاه في حقه واستئثارهم بالخلافة من دونه[1]، ومقتهم إيّاها حسداً وظلماً، وإن كان ظاهر القول كراهة اجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم[2]، لذا يصف الإمام عليه السلام مرارة ذلك الصبر فيقول (**فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً**)[3]، نزولاً عند وصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[4]، وخوفاً على الإسلام والمسلمين، إذ "لم يكن سكوته سكوت استسلام عن حقه، بل كان مصابرةً وجلداً واحتساباً" [5].

وصبر الإمام سمة غالبة ومثال حيّ لعلاقة الإمام عليه السلام بربه ونفسه وبالناس جميعاً، ولذا فقد تجسد الصبر في علاقته بنفسه زهداً، وفي علاقته بالناس جميعاً تواضعاً وحلماً، مثلما كان في طاعته لله جلّ وعلا.

فقد كان زهد الإمام عليه السلام في الدنيا صبراً عن ملاذ الدنيا وزينتها، ورغبةً في الآخرة [1]، بترويض نفسه[2]، وإخراجها من الجشع الذي يصاحب عادة حب الدنيا

---

[1] يقول الإمام عليه السلام (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي وَأَكْفَؤُوا إِنَائِي وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ). نهج البلاغة : خ٢١٧، ص٣٣٦.

[2] ينظر : تاريخ الأمم والملوك : ٢٨٩/٣.

[3] نهج البلاغة : خ٣، ص٤٨.

[4] إذ لم يجد نصرة سوى من أهل بيته ومن ثلاثة وهم (المقداد، وسلمان، وأبو ذر) وتبعهم عمار رابعاً ليبايع ويقتل شهيداً مع الإمام عليه السلام ولكن بمنزلة دون الثلاثة. ينظر : أصول الكافي : ٢٧٠/٢. ولذا كان الإمام عليه السلام يقول (لو وجدت أربعين ذوي عزمٍ لقاتلت). شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (٦٧٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢ : ٢٣٧/١.

[5] الإمام علي رجل الإسلام المخلد، عبد المجيد لطفي، النعمان، النجف، ١٩٦٧ : ١١٩.

[1] ينظر : نهج البلاغة : قول١٠٤، ص٤٨٦.

[2] ينظر : م.ن : كتاب ٤٥، ص٤٢٠.

والتمسك بها، وتحريرها من كل قيد يحدّه عن طاعة الله سبحانه، إذ كان الإمام **عليه السلام** ممن لا تغّره دنيا مخاطباً إيّاها خطاب الصادقين عنها الزاهدين بها قائلاً (**يا دنيا يا دنيا، إليك عني أبي تعرضت؟ أم إليّ تشوقت؟ لا حان حينك هيهات! غرّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها! فعيشك تَصبّر، وخطرك يسير، وأملك حقير، آه من قلة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد**)[3] فكان خشن المأكل والملبس، والتبّان ثوبه وهو يقول (**نعم الثوب ما أستره للعورة وأكفّه للأذى**)[4]، فاليابس طعامه، فما شبع من طعام يوماً [5].

لقد كان الإمام **عليه السلام** زاهداً في نفسه جواداً كريماً بكل ما في يديه ، فهو المؤثر على نفسه وإن كان أخص بالفقر من سواه [6]، والمتصدّق بخاتمه أثناء أدائه للصلاة[7]، والصائم وأهل بيته دون إفطار لثلاثة أيام متتالية لتقديم طعام إفطاره لمسكين ويتيم وأسير[1]، ومن أعتق ألف مملوك بما كان يحصل عليه من مال مما عملت يداه[2]، فكان الزهد زينة زيّنه الله تعالى بها[3].

---

[3] م.ن : قول ٧٧، ص٤٨٠-٤٨١.

[4] المناقب : ١٢٠.

[5] ينظر : شرح ابن أبي حديد : مجلد١، ١/ ٢٦.

[6] في قوله تعالى ((ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)) (سورة الحشر/٩).

[7] إذ يقول تعالى ((إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)) (سورة المائدة/٥٥).

[1] ومصداق ذلك قوله تعالى ((يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً. إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً)) (سورة الإنسان/٨-٩).

[2] ينظر : شرح ابن أبي حديد : مجلد١، ٢/٢٠٢.

[3] وقد خاطبه الرسول صلى الله عليه واله وسلم بقوله (يا علي إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة احب إليه منها، و هي زينة الأبرار عند الله تعالى : الزهد في الدنيا، جعلك لا ترزأ من الدنيا شيئاً، و لا ترزأ الدنيا منك بشيء، فوهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم اتباعاً، و يرضون بك إماماً). م.ن : مجلد٣، ٩/٧٤.

وقد كان زهد الإمام **عليه السلام** دافعاً له للاستهانة بما ناله من تعب والصبر على ما واجهه من مصائب وأهل بيته بعد رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم**[٤]، والتحول عن الخلافة التي كانت –حقه السليب– إلى الزهد فيما تنافسوا عليه من زخرف الحياة[٥]، وتجاوز ذلك إلى ما بعد عودة الخلافة إليه، فالدنيا بأسرها كما يصفها الإمام **عليه السلام** (**أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ**)[٦]، حتى ان نعلاً قديمة لا قيمة لها احبّ إليه من الإمرة[٧]، وهذا الزهد ليس بعيداً عم زهد النبي **محمد صلى** الله **عليه وآله وسلم** الذي يصفه الإمام **عليه السلام** بأنه (**قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً**)[٨].

وكان الإمام **عليه السلام** أشدّ الناس تواضعاً لله ولرسوله **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، وهي السمة التي يحبها الله ورسوله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** لكونها سلاح المؤمن للوقوف بوجه إبليس وجنوده[١]، حتى كانت تسمية (**أبي تراب**) التي أطلقها الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم** أحبّ تسميةٍ إلى قلبه[٢].

وكان تواضعه مع الناس مما لا ينكره أحد، إذ لم تتغير أخلاقه بعد توليه الخلافة فلم يحجبه حاجب عن الناس، بل كان فيهم كأحدهم، لا يقبل بإطراء أو ثناء أحد عليه وهو

---

[٤] ينظر : نهج البلاغة : قول ٣١، ص٤٧٣.

[٥] فقد رفض قبول الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب مشروطة إلا بالسير بكتاب الله وسنّة رسوله وقال: (لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَوَاللَّهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ). م.ن : خ٧٤، ص١٠٢.

[٦] م.ن : خ٣، ص٥٠.

[٧] ينظر : م.ن : خ٣٣، ص٧٦.

[٨] م.ن : خ١٠٩، ص١٦٢.

[١] ينظر : نهج البلاغة : خ٩١، ص٢٨٨.

[٢] ينظر : تاريخ الأمم والملوك : ١٢٤/٢.

الأحق به [٣]، فيقول لمن أثنى عليه (**إِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالاتِ الْوُلاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ**)[٤].

فالإمام **عليه السلام** لم ير مستحقاً لهذه المحامد والممادح إلا الله سبحانه[٥]، ولا أهلاً للتعظيم سواه[٦]،فعدل عن مدح الآدميين أو الرغبة فيه تواضعاً لله سبحانه وتعالى، فكان الدعاء الذي يتوجّه به إلى الله تعالى يضعه مع سائر الناس على قدم المساواة ليكون دليلاً حياً على افتقاره لله وتواضعه له، إذ يقول (**فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لا رَبَّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلالَةِ بِالْهُدَى وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى**)[١].

وقد جمع الإمام **عليه السلام** إلى التواضع، الحلم والصفح، فلم يغضب على أحد ولم يشف غيظه بازاء أحد[٢]، وعلى الرغم من ذلك الجفاء الذي واجهه بعد وفاة الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم**، فالعفو هو ما قابلهم به عند أول خلافته لو توقف الأمر على حقّه قائلاً (**وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ**)[٣].

---

[٣] ينظر : نهج البلاغة : قول١٠٠، ص٤٨٥.

[٤] م.ن : خ٢١٦، ص٣٣٤-٣٣٥.

[٥] م.ن : خ٩١، ص١٣٦.

[٦] يروى ان جماعة من دهاقين الأنساب ترجلوا عند رؤيتهم الإمام عليه السلام وعظّموه كما يعظمون أمراءهم فقال لهم الإمام عليه السلام (والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم، وإنكم لتشقون على أنفسكم في دنياكم، وتشقون به في آخرتكم، وما أخسر المشقة وراءها العقاب، واربح الدعة معها الأمان من النار). م.ن : قول٣٧، ص٤٧٥.

[١] نهج البلاغة : خ٢١٦، ص٣٣٥.

[٢] م.ن : قول ١٩٤، ص٥٠٣.

[٣] م.ن : خ ١٧٨، ص٢٥٧.

والحلم الذي تعامل به الإمام **عليه السلام** مع المشركين[٤]، هو ذاته الذي تعامل به مع من ناصبه العداء وألّب عليه وحاربه، فقد عفا بعد حرب الجمل لا عن عائشة التي يصف سبب موقفها منه بأنها (**أَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ**)[٥] فحسب، بل تجاوز ذلك إلى إعلان العفو عن الجميع بعدم الإجهاز على جريح أو إتبّاع هارب[٦]، فكان الصبر قوام زهده وتواضعه وحلمه والمحّرك الأساس لذلك.

أما شجاعته **عليه السلام** فقد كانت الدليل الحي على ذلك الصبر، فقد اخذ الإمام بأسباب الشجاعة وجمع ضروبها المختلفة وكان مضرباً للأمثال في قوته منذ صغره والتي كانت باديةً من سماته[٧]، وصفاته العقلية التي اختلطت بصفاته النفسية والخلقية التي تخلّق بها فطرةً واكتساباً بما رفع له النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** من أخلاقه بفضل التربية المحمدية له[١]، وامتزجت بقوة إيمانية روحية، ونجدة يصفها الإمام **عليه السلام** بقوله (**وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا**)[٢]، ليكون الأول في كل أمر، والسابق إلى كل نصر.

فقد كان **عليه السلام** أول فدائي في الإسلام يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله[٣]، وأول خليفة لرسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** يرد ودائعه ويقتاد النساء إلى المدينة[٤]، مّرة ثانية عند خروج النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** إلى تبوك [٥].

---

[٤] ينظر : تاريخ الأمم والملوك : ١٩٤/٢.

[٥] نهج البلاغة : خ١٥٦، ص٢١٨.

[٦] ينظر : الجمل، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق : علي شريفي، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، ط٢، ١٣٧٤هـ : ٣٨٢.

[٧] ينظر : الطبقات الكبرى : ٢٦/٣.

[١] ينظر : نهج البلاغة : خ١٩١، ص٣٠٠-٣٠١.

[٢] م.ن : خ١٩٧، ص٣١١.

[٣] فقد بات في فراش النبي صلى الله عليه واله وسلم في الليلة التي توجه بها إلى المدينة، وهو يعلم اجتماع القوم واتفاقهم على قتل النبي صلى الله عليه واله وسلم في فراشه. ينظر : الإرشاد : ٢٢، المناقب : ١٢٧.

وكان الإمام عليه السلام سيف الله المسلول على أعدائه في معارك الجهاد الحائز على اكثر من نصف عدد القتلى في أول لقاء مسلّح بين الإسلام والوثنية(٦)، والأخ المواسي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسيفه في أحد حتى سُمِع هاتف في السماء:

(لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار)(٧).

فكان الإمام عليه السلام في معارك الجهاد حاملاً للواء الرسالة من جانب(٨)، ولسيفه النصر للإسلام من جانب اخر، متحدياً لشجعان العرب وأبطالهم(٩)، حتى كانت قوته وشجاعته إعجازاً في مجتمع دفعته ظروف الطبيعة والترحال الدائم، وما تسبب عن ذلك إلى تعظيم القوة كونها إحدى مبادئ السياسة (١).

وعلى الرغم من صغر سنّ الإمام عليه السلام واستخفاف المشركين به لهذا الأمر، وكانت شجاعته شدّاً لأزر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصرةً لدعوته، فكان الكّرار الذي يتوعد به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أعداء الإسلام(٢)، إذ لا يتراجع عند انهزام القوم ولا يجبن أمام أمر.

ولم يكن السيف والسبق دليلاً على قوة الإمام عليه السلام وشجاعته فحسب، فالإمام هو المقتلع الأول لما لم يستطع جمع اقتلاعه، فتارة باب خيبر التي لم يتمكن سبعون

---

(٤) ينظر : الإرشاد : ٢٣.

(٥) ينظر : فضائل الصحابة : ١٣.

(٦) ينظر : خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، دار الفكر، بيروت : ٣٩٨.

(٧) ينظر : الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٦٣٠)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ : ٥٥١/١.

(٨) ينظر : الطبقات الكبرى : ٢٣/٣، تاريخ الأمم والملوك : ١٢٣/٢.

(٩) مثل مبارزته لعمر بن ود العامري يوم الخندق. ينظر : تاريخ الأمم والملوك : ٢٣٩/٢-٢٤٠، وقد وصفها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بقوله أنها (افضل أعمال أمتي إلى يوم القيامة). مستدرك الحاكم، النيسابوري (٤٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ : ٣٢/٣.

(١) ينظر : حضارة العرب في عصر الجاهلية، حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط٢، ١٩٨٩ : ١٠٦.

(٢) ينظر : سنن ابن ماجة، القزويني (٢٧٥هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت : ٤٤/١.

رجلاً من إعادتها إلى مكانها[٣]، والتي قال **عليه السلام** عن قلعها **(ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية، ونفس بلقاء ربها مطمئنة رضية)**[٤]، وأخرى (هبل) اكبر صنم في مكة الذي اقتلعه من أعلى الكعبة بعد أن أعلاه النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** على ظهره إكراماً له وبياناً لفضله، وأخرى الصخرة العظيمة التي عجز جيش عن رفعها وانبطّ الماء من تحتها[٥].

لقد كان الإيمان قوة اجتمعت بقوة الإمام **عليه السلام** الجسدية فأكسبته قوة ربانية، إذ كان يهرول في الحرب دون ان يهاب الموت، ويخرج للرجل الدارع حاسراً فيقتله، ولذا لم تخرجه قوته عن حق ولم تمل به إلى باطل، بل كانت قوته وضعاً للحق في مواضعه الصحيحة، وشجاعته تجسيداً لأخلاقه العالية [٦].

وقد كانت سمات الإمام **عليه السلام** المتفردة تعبيراً عن أخلاق إلهية رفيعة لمن تربى على الأخلاق المحمدية التي شهدها العرب جميعاً، ومنبعاً لسمات شتى تفرعت منها، وتآزرت مع مواقفه الإعجازية التي كان يسبق الجميع بها فكانت أسباباً مادية شهدها الجميع، وتساوقت مع نزول الآيات القرآنية التي تشيد بها وتباركها، وتثني على حاملها وتتحدى كل منكر عن الإتيان بها، وتشير لسبقه إلى كل فضيلة، بل كان الإمام **عليه السلام** منبع كلّ فضيلة والسابق إليها، وبه والأئمة من بعده **عليهم السلام** عرفت الفضائل[١]، فيعلنها النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** ويتّوجها بأحاديثه الشريفة ويوثقها

---

[٣] ينظر : السيرة النبوية، ابن هشام (٢١٣هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت : ٣٤٩/٣.

[٤] صحيفة الأبرار : ٣٤٤/١.

[٥] ينظر: شرح ابن أبي حديد : مجلد١، ١٧/١.

[٦] ومن ذلك قوله لابنه الحسن عليهما السلام (لا تدعون إلى مبارزة، وان دعيت إليها فأجب، فإن الداعي إليها باغٍ، والباغي مصروع). نهج البلاغة : قول٢٣٣، ص٥٠٩.

[١] يروى عن الإمام علي الهادي عليه السلام في قوله تعالى ((ولو ان ما في الأرض من شجرةٍ أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)) (سورة الكهف/ ١٠٩) انه قال (نحن كلمات الله التي لا تنفد ولا تدرك فضائلنا). تحف العقول عن آل الرسول صلى اللهعليه وآله وسلم، ابن شعبة الحّراني، رابطة أهل البيت، إيران، ١٣٧٦هـ: ٤٧٩.

بأقواله، حتى كان يخاف على أمته من عدم تحمل ما وصف من شأن الإمام **عليه السلام** وإعلاء ذكره.

ويشدّد النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** على منزلة الإمام **عليه السلام** من نفسه، فهو أخو رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** ووليه، وحبيبه، وخليله، ومفخرته، وأمينه ونظيره، ووزيره، ووصيه، وصاحبه، ورفيقه، ووارثه، وصفيّه[٢]، ليوجههم إلى التأسّي به بعد النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** والتزام صفّه، مثلما يؤكّد منزلته من الإسلام بوصفه بنعوت وأوصاف عدة تساوقت مع أفعاله المعجزة[٣]، ولا سيما تسميته **(أمير المؤمنين)**[١]، ودعوة الناس للسلام عليه بهذه التسمية[٢]، ليكون تنصيب الإمام **عليه السلام** في غدير خم تتويجاً وإعلاناً لتوليه أمور المسلمين[٣].

---

[٢] ينظر: الإمام علي في الأحاديث النبوية، محمد إبراهيم الموحد، دار الأنصار، قم، ط١، ٢٠٠٢، إذ يجمل فيه – من كتب التاريخ والسير– معظم أحاديث الرسول صلى الله عليه واله وسلم التي فّرد بها الإمام عليه السلام وأوضح منزلته من نفسه.

[٣] ينظر: إحقاق الحق وإزهاق الباطل، نور الله الحسيني التستري، المطبعة الإسلامية، إيران، ١٩٦٦: ٤/ ٤–١٠.

[١] ينظر: الإرشاد: ٢٠–٢١، المناقب: ٤٠. وقد أصبحت هذه التسمية وصفاً عاماً يطلق على من يتولى أمور المسلمين. ينظر: تاريخ الأمم والملوك: ٢٧٧/٣.

[٢] ينظر: الإرشاد: ٦٨–٧٠.

[٣] ينظر: فضائل الصحابة: ١٥.

مرتكزات الإرسال

على الرغم مما اتّسم به الإمام عليه السلام من سمات وأخلاق عالية وما تفرّد به من فضائل جمّة، إلا أن الفاصلة الزمنية –بين وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وتولي الإمام عليه السلام زمام الحكم–قد أثرت كثيراً على تلك السمات وحولتها إلى سمات عادية يشاركه فيها كل من رأى في نفسه أثرةً على من سواه، حتى انه عليه السلام "لو فخر بنفسه، وبالغ في تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التي أتاه الله تعالى إيّاها واختصه بها وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة، لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الرسول الصادق صلوات الله عليه في أمره" [1].

إلا اننا لا نجد من سمات الإمام عليه السلام في خطابه إلا ما ندر وأسباباً إرسالية تعلن حقّه وتشيد بفضله، وتجسيداً عملياً شهده الجميع في الدور الرسالي الأول، تحولت إلى إشعاعات رسالية في خطابه وأسباباً إرسالية تعلن حقه وتشيد بفضله عليه السلام، وما انعكس منها بشكل واضح في خطابه الذي يتوجه فيه عليه السلام إلى مخاطبيه لدعوتهم سامعيه إلى التخلق بالسمات الموصلة إلى طريق الحق.

أما (مقام القدوة) فلم يكن يظهر في خطاب الإمام عليه السلام إلا عند دعوتهم للاهتداء به نحو قوله (**اقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ**)[2]، أو إنكار موقفهم منه نحو قوله (**لَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ وَلَا يَعِفُّونَ**[3] **عَنْ عَيْبٍ يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ**)[4].

---

[1] شرح ابن أبي حديد : مجلد٣، ٧٤/٩.

[2] نهج البلاغة : خ١١٠، ص١٦٣.

[3] يعفّون : يكفّون عنه، أي يستحسنون ما بدا لهم استحسانه ويستقبحون ما خطر لهم قبحه بدون رجوع إلى دليل بيّن أو شريعة واضحة.

[4] نهج البلاغة : خ٨٨، ص١٢١.

إلا أن لإرسال الإمام **عليه السلام** مرتكزات استند إليها تتصل بسماته فتغذّيها وتنهل منها مما لم يستطع أحد نسيانها أو إنكارها لحاجتهم إلى من يتصف بها حتى في مرحلة الدور الرسالي الثاني، إذ لا يمكن أن تتاح لأحد سوى أهل البيت **عليهم السلام**.

و قدكانت هذه المرتكزات حقاً خاصّاً به لم يستطع أحد منهم إنكاره بلسانه، مثلما أصبحت بعد توليه الحكم محلاً لتوجيه السهام اللاذعة إليها بالذات لا لإنكارها عليه، بل لإثارة الشك في قيادة الإمام **عليه السلام** ممن كان حديث عهد بالإسلام لزعزعة موقفه، ولا سيما من بني أمية الذين يصفهم الإمام **عليه السلام** **(إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله تَفْوِيقاً وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ [1]التَّرِبَةَ)**[2]، ولذلك كانت هذه المرتكزات ترد في خطاب الإمام **عليه السلام** بوصفها حججاً لتنطق شاهدة بالحق، فهذه المرتكزات يتصل أحدها بالآخر، ويتبع أولها آخرها، وكل مرتكز يتسبب عن الآخر ويقود إليه، وهي كما يلي:

قوة العقيدة:

لقد كان سبق الإمام **عليه السلام** إلى كل فضيلة، وتفرده بأعلى السمات الخلقية تجسيداً لقوة عقيدته وثباتها، وبرهاناً على عزمه الذي لا يلين، إلا اننا لم نجد من سمات الإمام **عليه السلام** التي توجّه بها إلى مخاطبيه في خطابه والتي كانت أساساً لقوة عقيدته إلا بسمتي الصدق والشجاعة بوصفهما رافدين تغذيان العصمة التي ارتكزت عليها عقيدته القوية.

أما عن الصدق عند الإمام **عليه السلام** فقد اقترن بطفولته، إذ لم يجد له رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** **(كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ)**[3]، وتجلى هذا الصدق في سبقه للإيمان بالله وتصديق رسوله **صلى الله عليه وآله وسلم** بعد اتباعه

---

[1] الوذام: جمع وذمة وهي الحزّة من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض.

[2] نهج البلاغة: خ٧٧، ص١٠٤.

[3] م.ن: خ١٩٢، ص٣٠٠.

والاقتداء به، وكان ذلك دفعاً لصدق عقيدته بسبقه إلى العمل بطاعة الله تعالى قبل الدعوة إليها [(١)]، ولذا فقد قال رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** في صدقه (الصديقون ثلاثة: حبيب النجار الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، ومؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم)[(٢)]، ونهى عن تكذيبه في شيءٍ إذ قال **صلى الله عليه وآله وسلم** (لا تكذبوا علياً من يكذب علياً يلج النار)[(٣)].

وكان صدق الإمام **عليه السلام** موضع شك في زمن انقلبت موازينه ليكون المكر والفجور في مجتمع اعتادهما دليلين على الدهاء فيقول الإمام **عليه السلام** (**وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ اللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَلَا أُسْتَغْمَزُ**[(٤)] **بِالشَّدِيدَةِ**)[(٥)]، إذ لم يخاتل الإمام **عليه السلام** ولم يخادع يوماً لذا يقول **عليه السلام** (**فَلَمْ آتِ لَا أَبَا لَكُمْ بُجْراً وَلَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ وَلَا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ**)[(٦)].

لذا يرد على من يشك في موقفه ويتهمه بالكذب بالقول (**وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَعَلَى اللَّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ**)[(٧)]، وقوله (**أَ تَرَانِي أَكْذِبُ**

---

(١) (واللَّهِ ما أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا). نهج البلاغة: خ١٧٥، ص٢٥٠.

(٢) شرح ابن أبي حديد: مجلد٣، ٩/٧٧.

(٣) مسند احمد، احمد بن حنبل (٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت: ٨٣/١.

(٤) لا أستغمز: لا استضعف بالقوة الشديدة أي (لا يستضعفني شديد القوة).

(٥) نهج البلاغة: خ٢٠٠، ص٣١٨.

(٦) م.ن: خ١٢٧، ص١٨٥.

(٧) م.ن: خ٧١، ص١٠٠.

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، وَاللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ ، فَلَا أَكُـونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ)(1).

فإن تجلى صدقه بسبقه الإيماني فإنه كان دافعاً إلى تقوى الله وطاعته في كل أمر، إذ لم يرد على الله سبحانه وتعالى ولا على رسوله **صلى الله عليه وآلـه وسـلم** فكانت طاعته إقراراً بتصديق النبي **صلى الله عليه وآلـه وسـلم** في وقت تكذيب ملأ قريش له واتهامه بالسحر الأمر الذي شهده الكفار قبل المؤمنين، وكان ذلك على مرأى ومسمع من اكثر الناس(2)، ولذا يقول الإمام **عليه السلام (وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْـحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ)**(3).

والصدق يزيد الخطابة قوة "فالخطيب المعتقد صدق ما يدعو إليه تلتهب كلماته وتستقر في القلوب عباراته" (4)، أما صدق الإمام **عليه السـلام** فكان حجة يوردها الإمام **عليه السلام** في خطابه إذ يقول **(وَاللَّهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً** (5)**وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَـةً)**(6) يرد بها على المشككين والمنكرين، ويقول الإمام **عليه السلام (وَإِنِّي لَمِـنْ قَـوْمٍ لَـا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ وَكَلَامُهُمْ كَلَـامُ الْـأَبْرَارِ عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ يُحْيُونَ سُنَنَ اللَّـهِ وَسُـنَنَ رَسُولِهِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ وَلَا يَغُلُّونَ وَلَا يُفْسِدُونَ قُلُوبُهُمْ فِـي الْجِنَـانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ)**(7)، ويؤكدها من بعده أهل البيت **عليهم السلام** بقوله **(فِـيهِمْ**

---

(1) نهج البلاغة : خ٣٧، ص٨١.

(2) ينظر : م.ن : خ١٩٢، ص٣٠١-٣٠٢.

(3) م.ن : خ١٩٧، ص٣١١.

(4) فن الخطابة : ٢٦.

(5) الوشمة : الكلمة.

(6) نهج البلاغة : خ١٢٧، ص١٨٥.

(7) م.ن : خ١٩٢، ص٣٠٢.

كَرَائِمُ الْقُرْآنِ وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا)[1].

ثم تأتي للشجاعة رافداً ثانياً لقوة عقيدته تمثلت في قوته الجسدية، وأخلاقه الروحية، ونخوته التي طبع عليها فكانت آداباً للفروسية خصّ بها الإمام **عليه السلام** [2]، زيادةً على ما أكرمه الله تعالى به من رباطة جأش ونجدة يواسي بها رسوله **صلى الله عليه وآله وسلم**[3]، وما آزره الله تعالى به من نصرة ومعونة [4]، يصفها بقوله لعمر (**فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ**)[5]، وارتباط ذلك بإيمانه بالله تعالى وما قدره من اجل على الإنسان فلا يجزع من الموت، وهو الذي يقول (**وَاللَّهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ**)[6]، ولا يقبل بحراسة أحد وهو يعلم انه لا يصاب بشيء إلا بإذن الله تعالى[7]، ولا يجبن أو يضعف وقد أيقن أن الموت طالب حثيث، لا يقدمه إسراع لقتال ولا يؤخره نوم في فراش، ولذا فالشهادة في سبيل الله أحبّ إلى الله تعالى، ولذا يقول (**إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي**

---

[1] نهج البلاغة : خ١٥٤، ص٢١٥. يريد بقوله (فيهم) آل محمد صلى الله عليه اله وسلم . ينظر : شرح ابن أبي حديد : مجلد٣، ٧٨/٩.

[2] ينظر : عبقرية الإمام علي، عباس العقاد، دار التربية، بغداد، ٢٠٠١ : ٣٥.

[3] ينظر : نهج البلاغة : خ١٩٧، ص٣١١.

[4] يروى ان الحسن عليه السلام خطب بعد الإمام عليه السلام فقال فيه (لقد فارقكم أمس رجل ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون لقد كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يبعثه فيعطيه الراية فما يرد حتى يفتح الله عليه ان جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره). الطبقات الكبرى : ٣٨/٣.

[5] نهج البلاغة : خ١٤٦، ص٢٠٤.

[6] م.ن : خ٥، ص٥٢.

[7] ينظر : أصول الكافي : ٨٦/٢.

غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ)[1]، فقد وصل إيمان الإمام عليه السلام بالله تعالى إلى درجة اليقين التي لا يخاف بها مع الله شيئاً [2].

وقد تآزرت شجاعة الإمام عليه السلام القتالية مع شجاعته الخطابية المرتكزة على فصاحته وبيانه اللذين كان بهما أمير الكلام [3] "فالشجاعة في ميادين الوغى لا بد وان تكتمل بشجاعة الكلمة وجرأة البيان" [4]، مع بلاغته الرسالية لتكون قوة إرسالية تزيد السيف مضاءً ، وتعجز من اشتهر بشجاعة أو عرف ببيان ويصف ذلك الإمام عليه السلام بقوله (فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا، وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً ، وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً ، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا، وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا ، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ، الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ)[5]، وشجاعة الإمام عليه السلام قوة تدفعه إلى المضي قدماً ، إذ يقول (وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا[6])[7].

لقد كانت شجاعته طريق حقٍّ سار فيه دون عودة، فلم يبال حتى وإن بقي فيه وحيداً [8]، وقد كانت شجاعة الإمام عليه السلام في الدور الرسالي الأوّل دليلاً يضعه أمام

---

[1] نهج البلاغة :خ١٢٣، ص١٨٠.

[2] كان الإمام عليه السلام يقول (لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وان ما أخطئه لم يكن ليصيبه، وان الضار النافع هو الله عز وجل). أصول الكافي : ٨٥/٢.

[3] ينظر : نهج البلاغة : خ٢٣٣، ص٣٥٤.

[4] علوم نهج البلاغة، محسن باقر الموسوي، دار العلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٣ : ٣٦٨.

[5] نهج البلاغة : خ٣٧، ص٨٠-٨١.

[6] راصدها :صائدها الذي يترقّبها.

[7] نهج البلاغة : خ٦، ص٥٣.

[8] (إني والله لو لقيتهم وهم طلاع الأرض كلها ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي). م.ن : كتاب ٦٢، ص٤٥٢.

من يشكك في شجاعته (أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلاكِلِ[1] الْعَرَبِ وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ [2] قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ)[3]، ويحاجج به من جهل سابقته فيقول (أَوَمَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ وَخَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرْتَابِينَ)[4].

وكانت شجاعة الإمام عليه السلام صورةً يستحضرها في خطابه عند تخاذلهم ليكون لهم بها انتفاع، فتكون دروساً وعبر لهم نحو قوله (فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَاناً وَمُضِيّاً عَلَى الْحَقِّ وَتَسْلِيماً لِلْأَمْرِ وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ)[5]، مثلما كانت شجاعته تجارب عظيمة سبقهم إليها، وتوجّه لنصحهم بها فيقول (وَأَيُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رَبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًا فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ)[6]، وخبرة عسكرية تمكن بها من حسم المعارك بأسرع وقت دون بذل تضحيات كثيرة ولا سيما معركة الجمل[7]، وشجاعة الإمام عليه السلام تعليمات يتوجه بها إليهم في خطابه الجهادي بكيفية القتال تغنيهم عن أي تجربة مسبقة، فلا تقف عند حدّ القتال بل تتجاوز ذلك إلى

---

[1] الكلاكل : الصدور، عبّر بها عن الأكابر.

[2] النواجم من القرون : الظاهرة الرفيعة، يريد بها أشراف القبائل.

[3] نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٣٠٠.

[4] م.ن : خ٧٥، ص١٠٣.

[5] م.ن : خ١٢٢، ص١٧٩.

[6] م.ن : خ١٢٣، ص١٧٩-١٨٠.

[7] فقد رأى اقتتال العدو وبذله التضحيات ما زال الجمل قائماً، ولذا فقد أشار عليهم بضرب عجز الجمل حتى وقع صريعاً ففرت الرجال عنه ثم أمر بإحراقه وذره في الريح لشبهه بعجل بني إسرائيل. ينظر : الجمل وصفين والنهروان، أبي مخنف الأزدي (١٥٧هـ)، تحقيق : حسن حميد، دار الإسلام، لندن، ط١، ٢٠٠٢ : ٢٠٦.

الحواس وكيفية توجيهها في أثناء القتال إذ يقول عليه السلام (فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى[1] لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَالْتَوُوا[2] فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ[3] لِلْأَسِنَّةِ وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ)[4]، وشجاعته في الوقت نفسه صرخات مدّوية توقظ الأذهان وترهب الأعداء نحو قوله (أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ)[5].

لقد كانت شجاعة الإمام عليه السلام شوقاً منه إلى لقاء العدو إذ يقول الإمام عليه السلام (وَاللَّهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ)[6]، مثلما كانت رجاءً لنيل الشهادة في سبيل الله التي كان الإمام عليه السلام يعدّها (مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ)[7]، وصبراً على ما يجد من تقاعس المقاتلين عن الجهاد ولذا يقول (وَاللَّهِ لَوْلَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ وَ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ)[8]، لذا لم يتراجع الإمام عليه السلام ولم يخضع لتهديد ولم يرهبه ضرب، وهو على يقين من أمره يدفعه للعجب ممّن يستخف بتلك الشجاعة وهو يعلم بماضيه ومواقفه السابقة إذ يقول (وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ هَبِلَتْهُمُ الْهَبُولُ لَقَدْ

---

(1) أنبى : من (نبا السيف) إذا دفعته الصلابة من موقعه فلم يقطع.

(2) التووا : انعطفوا وأميلوا جانبكم لتزلق الرماح ولا تنفذ فيكم أسنّتها.

(3) أمور : أي أشدّ فعلاً للمَور، وهو الاضطراب الموجب للانزلاق وعدم النفوذ.

(4) نهج البلاغة : خ١٢٤، ص١٨٠.

(5) م.ن : خ٣٤، ص٧٨.

(6) م.ن : خ١٢٤، ص١٨١.

(7) م.ن : خ١٥٦، ص٢٢٠.

(8) م.ن : خ١١٩، ص١٧٦.

كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي)[1].

لقد كان يتوعدهم بسيفه ناصراً للحق، بما خبروه من ماضٍ مشّرف لما سيكون من غد نحو قوله (**وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا وَاسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ وَايْمُ اللَّهِ لَأَبْقُرَنَّ**[2] **الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ)**[3]، فشجاعته تفّرداً وثقةً بنصر الله جّل وتوكلاً عليه قبل أن تكون ثقةً بنفسه.

وإن كان صدق الإمام **عليه السلام** الإيماني وشجاعته الرسالية روافد لقوة عقيدته وثباتاً على المبدأ، فإن العصمة أساس وتثبيت وحجةً على من أنكر، والعصمة لطف الهي[4]، وقوة قدسية تمنع حاملها عن ارتكاب الذنوب ومقارفة المحرمات، لمعرفته بالدين وإدراكه للحق، وتمثل أعلى درجات التقوى، وهي أمر يتصل بجوارح الإنسان مما لا يتسنى لسائر الناس معرفته.

إلا أنها لا تعني افتقاره القدرة على ارتكاب المعاصي "وإنما هي تأييد من الله للإنسان الذي يتجاوز ذاته وواقعه بعد أن يرتفع بإرادته الحرة إلى مستوى تلقي هذا التأييد"[5]، ولذا كان تعيين الإمام **عليه السلام** أمراً من الله تعالى[6]، وقد خصّ أهل البيت **عليهم السلام** بهذه العصمة، لما علم منهم صبراً على طاعته واندفاعاً للعمل بمرضاته فهم اكمل

---

(1) نهج البلاغة : خ٢٢، ص٦٤.

(2) لأبقرّن : من البقر –وهو الشّق– والمراد : لأشقّن جوف الباطل بقهر أهله، فأنتزع الحق من أيدي المبطلين.

(3) نهج البلاغة : خ١٠٤، ص١٥٠.

(4) (وإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ). م.ن : خ٢١٠، ص٣٢٦.

(5) معالم الفكر الرسالي المسؤول، احمد ناصر، الثقافة الرسالية : ١٩.

(6) يروى عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: (إن الإمامة اجّل قدراً واعظم شأناً وأعلى مكاناً وامنع جانباً وابعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم). أصول الكافي : ٢٢٣/١.

الناس وأكثرهم فضلاً في ما انعم الله تعالى بهم على المسلمين، إذ جعلهم **(لِلْخَيْرِ أَهْلًا وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً)**(١).

لقد كانت عصمة الإمام **عليه السلام** فطرة عليها ولد عليها(٢)، فلم يعبد صنماً ولم يسجد لوثن، فقد كان الإسلام معنًى في عقله قبل أن يكون ديناً (٣)، وبقي محافظاً عليها فتحولت عصمته إلى عصمة وعي في بيئة لم يلتق فيها سوى برسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم**.

فقد ولد الإمام **عليه السلام** في السنة التي ابتدأ فيها النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** بالتبتل والانقطاع في جبل حراء(٤)، ونهل من الأخلاق الملائكية التي تربى عليها رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، ويصف ذلك الإمام **عليه السلام** بقوله **(وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ)**(٥).

وقد كانت متابعته للنبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** وإقتداؤه به، عصمة تتضح مؤشّراتها في سماع الإمام **عليه السلام** ورؤيته لما يسمعه النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** ويراه، فقد عاش الإمام **عليه السلام** التحّول الروحي الذي شهدته نفس النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، ومثيله الذي جرى في عالم الغيب بهزيمة الشيطان واندحاره فور بعثة الرسالة الخاتمة.

---

(١) نهج البلاغة : خ٢١٤، ص٣٣٠.

(٢) ينظر : م.ن : خ٥٧، ص٩٢.

(٣) ينظر : علي ميزان الحق، محمد حسين فضل الله، إعداد :صادق اليعقوبي، دار الملاك، بيروت، ط١، ٢٠٠٣ : ٤٣-٤٨.

(٤) ينظر : شرح ابن أبي حديد : مجلد١، ٤/٤٩٩.

(٥) نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٣٠٠.

فكانت الوزارة أول منصب اخبره النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** به منذ رؤيته تلك الأخلاق إذ يقول الإمام (**وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ**)[١].

وقد تجّسدت عصمة الإمام **عليه السلام** في عبوديته لله عز وجل وسبقه إلى كل فضيلة واندفاعه إلى طاعة الله تعالى، وطهارته من كل فاحشة، ونقائه من كل دنيّـة، فكانت آيات الله سبحانه تؤيد ذلك الخلق الإيماني بتطهيره وأهل بيته من كل رجس[٢]، تطهيراً يصل إلى درجة العصمة [٣].

وقد كانت عصمة الإمام نزاهة في كل فكرة أو عاطفة أو أمر وانفعالاً كاملاً بالرسالة الإلهية وتجاوباً معها وتجسيداً لجميع معطياتها الروحية والفكرية والعملية[٤].

ولذا كانت عصمة الإمام **عليه السلام** أساساً لقوة عقيدته المتجسدة في نور بصيرته ووضوح طريقه، ولذا فقد كان يقول (**مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ**)[٥]، وعدم شكّه في الحق واختلاطه عليه بالباطل دليل على الطهارة والعصمة [٦]، فالحق إيمان يقيني لا شك معه، وطريق الإمام **عليه السلام** هو طريق الهدى الذي لا يسير فيه إلا قلة من الناس ولذا

---

[١] نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٣٠١.

[٢] يروى نزول قوله تعالى ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)) (سورة الأحزاب/٣) بروايات عدة توضح تشديد النبي صلى الله عليه واله وسلم عليها في مواقف عدة، فتارة بذكر أسماء المخصوصين بها كونهم الإمام علي وفاطمة والحسنين عليهم السلام، وأخرى بإلقاء كساء يضمهم وتكرار قول الآية، وأخرى بتلاوة الآية على بابهم ستة اشهر عند طلوعه لصلاة الفجر، بما يستدل على كون الآية خصت بهم دون سواهم . ينظر : أهل البيت سماتهم وحقوقهم في القران الكريم، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إيران، ط١، ١٤٢٠هـ : ٢١-٢٩.

[٣] ينظر : البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، سليمان زادة، إيران، ط١، ١٣٨٢هـ : ٣٣.

[٤] ينظر : أئمة أهل البيت، محمد باقر الصدر، شريعت، إيران، ط١، ١٤٣٥هـ : ١٧٠-١٧٢.

[٥] نهج البلاغة : خ٤، ص٥١.

[٦] ينظر : شرح البحراني : ١٨٣/١.

يقول (أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّـةِ أَهْلِـهِ)[1]، وقد ضعهم الإمام على هذا الطريق ليتسنى لهم بعد ذلك السير فيه، إذ يقول الإمام عليه السلام (لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ مَنِ اسْتَقَامَ فَـإِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ)[2].

العلم:

اقترنت سمة العلم عند الإمام عليه السلام بعصمته، فقد كان إيمان الإمام عليـه السلام منذ طفولته شعلة مضيئة في قلبه، بإفراغه من كل شرك وملازمته للنبي صـلى الله عليه وآله وسـلمواتباعه كاتّباع الفصيل اثر أمه[3]، فكان علم الإمام عليـه السـلام استعداداً منه لتقبل تعليم الرسول صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم له بروحه الإيمانية وفراسته[4].

وقد تعزّز ذلك بذكاء اتضحت معالمه منذ طفولته في أسئلة كثيرة توجه بها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليستفهمه –فإن سكت بادره النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم به–، ويصف ذلك الإمام عليه السلام بالقول (وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّـونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ فَيَسْأَلَهُ عليه السلام حَتَّى يَسْمَعُوا وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِـي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْـهُ وَحَفِظْتُـهُ)[5]، وقد اجتمع ذلك مع دعاء توجّه به

---

(1) نهج البلاغة : خ٢٠١، ص٢١٩.

(2) م.ن : خ١١٩، ص١٧٦.

(3) ينظر : م.ن : خ١٩٢، ص٣٠٠-٣٠١.

(4) قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل فيقول الله تعالى ((إن في ذلك لآياتٍ للمتوسمين)) (سورة الحجر/٧٥)، أصول الكافي : ٢٧٥/١.

(5) نهج البلاغة : خ٢١٠، ص٣٢٧.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله سبحانه وتعالى لتكون أذنه واعية[1]، زيادة على ذلك ما أكسبته التجارب من معرفة لحقائق الأمور[2].

أما ما كان من العلم إفاضة على الإمام عليه السلام[3]، فهو مما خصه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به قبل وفاته[4]، ولا سيما المغيبات التي أفاضها عليه على نحو الإجمال، الأمر الذي يتيح لصفائه الروحي وقواه الخفية إدراك تفصيله[5]، وتشديد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما أوتي الإمام عليه السلام من العلم خير دليل على تلك الإفاضة[6].

ولم يختص علم الإمام عليه السلام بجانب معين، ولم يقف عند حد، بل كان علمه عبقرية تمثلت في تكوينه الذاتي وحجه القاطعة وحكمته البالغة وقيادته الفذّة وبمظاهر شتّى حتى يمكن عدّها تكاملاً بين شخصيتي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام[7]، فقد كان الإمام عليه السلام يناظر بعلمه أهل الديانات الأخرى، ويحاجج به

---

(1) قال الإمام علي عليه السلام (ضمني رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقال لي امرني ربي ان أدنيك ولا أقصيك وان تسمع وتعي، وحق على الله ان تسمع وتعي فنزلت ((وتعيها أذن واعية)) (سورة الحاقة/١٢)، المناقب : ٢٨٢.

(2) ويؤكد الإمام عليه السلام على تجاربه التي خاضها وأهميتها في وصيته لابنه الحسن عليهما السلام (لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة، فاتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه، واستبان لك ما ربما اظلم علينا منه). نهج البلاغة : وصية٣١، ص٣٩٣.

(3) ينقسم العلم بطريقة تحصيله قسمين (حصولي، وحضوري) : فالحصولي هو ما كان تعلمه واكتسابه بالحواس وهو متاح للناس جميعاً.أما الحضوري فهو ما كان هبة وفيضاً إلهياً يلقيه الله على مصطفيه بطريق الإلهام أو تعليم الرسول صلى الله عليه واله وسلم. ينظر : العبد الصالح، محمد فاضل المسعودي، التوحيد، إيران، ط٢، ١٤٢٤هـ : ٢٢٧.

(4) ينظر : معادن الحكمة : ٧٥/١.

(5) ينظر : دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية بيروت، ط٤، ٢٠٠١ : ٣٢٦.

(6) حيث ان بناء الفعل للمجهول في قول الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم (أوتيت جوامع الكلم، وأوتي علي جوامع العلم) دليل على كون العلم الذي أوتي للإمام عليه السلام لم يكن بتعليم من الرسول فحسب. ينظر : مصادر نهج البلاغة وأسانيده : ١٧٢.

(7) ينظر : ملامح من عبقرية الإمام، مهدي محبوبة، الزهراء، بغداد، ١٩٦٧ : ١٣١.

أهل النبوات السابقة للإسلام [1]، بما كان النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** يحيل عليه فيسبق ولا يلحقه أحد ويقيم الحجة عليهم بمعجزات لا تحدث إلا للأنبياء [2]، الذين كان النبي **محمد صلى الله عليه وآله وسلم** وارثاً لعلومهم[3] ومورثه لوصيّه، ليكون علمه جامعاً لعلم النبوات جميعها ومؤدياً **(مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ)**[4].

ولذا كان الإمام **عليه السلام** أعلم الأمة بعد رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** [5]، ويتجسد علم الإمام **عليه السلام** في انه الأعلم بأحاديث النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** أوقاتها ومناسباتها وسنّته بأكملها [6]، فلم يشغله ما كان يشغل سواه[7]، مثلما هو الجامع للقران بحسب نزوله[8]، وإن كان ترتيب السور على ما هو عليه في مصحف عثمان جرى في عهد النبي **صلى الله عليه وآله وسلم**[9]، والأعلم بأحكامه، إذ يقول الإمام **عليه السلام (نزل القرآن أثلاثاً : ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام)**[1]، بأسراره وعلومه [2]، ومقاصده التي جمعتها سورة

---

[1] ولذا كان الإمام علي عليه السلام يقول (لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل القران بالقران حتى يزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل التوراة بالتوراة حتى تزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل الإنجيل بالإنجيل حتى يزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور حتى يزهر إلى الله). أصول الكافي : ٤٣٨/١.

[2] ينظر : مناظرات الرسول المصطفى (ص) والإمام علي (ع) مع اليهود والنصارى، محمد علي دخيل، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٢.

[3] ينظر : أصول الكافي : ٢٤٩/١.

[4] نهج البلاغة : خ١٨٢، ص٢٦٣.

[5] قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم (أعلم أمتي بعدي علي بن أبي طالب). المناقب : ٣٩.

[6] نهج البلاغة : خ٢١٠، ص٢٢٧-٢٢٨.

[7] يروى عن أبي هريرة عند سؤاله عن سبب كثرة حفظه لأحاديث الرسول صلى الله عليه واله وسلم قوله : "ان إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الأسواق وان إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم". الطبقات الكبرى : ٣٦٣/٢.

[8] م.ن : ٢٥٥/١.

[9] ينظر : تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق : عبد القادر احمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦ : ٥٩.

[1] أصول الكافي : ٦١٩/٢.

الفاتحة [٣]، ومبهماته[٤]، وأوقات نزول آياته وما يتصل بها من ملابسات وحوادث جاءت الآيات متساوقة معها، إذ يقول الإمام **عليه السلام (والله ما نزلت آيةً إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت إن ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً)**[٥]، بل كان عند الإمام **عليه السلام** علم الكتاب كلّه ظاهره وباطنه، واسم الله الأعظم الذي تمكن من عنده علم بحرف واحد منه -وهو آصف- من نقل عرش بلقيس إلى النبي سليمان **عليه السلام** قبل أن يرتد إليه طرفه، فكيف بمن عنده علم الكتاب كله [٦].

ولذا فقد خصّه الله تعالى وأهل بيته من بعده **عليهم السلام** بصفة العلم حتى وصفهم في كتابه بصفة الراسخين في العلم، وخصّهم بتأويله[٧]، ولذا يصفهم الإمام **عليه السلام** بالقول **(اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً وَ سَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً)**[٨]، والراسخون هم "المتمكنون في العلم، تشبيهاً برسوخ الشيء الثقيل في الأرض الخوانة"[٩].

---

[٢] ينظر : م.ن : ١/٢٦٨-٢٧٢.

[٣] ينظر : تناسق الدرر في تناسب السور : ٦١.

[٤] ينظر : الطبقات الكبرى : ٢/٣٦٧.

[٥] ينظر : م.ن : ٢/٣٣٨.

[٦] ينظر : أصول الكافي : ١/٢٥٦.

[٧] ينظر : م.ن : ١/٢٣٩.

[٨] نهج البلاغة : خ٩١، ص١٢٥.

[٩] تلخيص البيان في مجازات القران، الشريف الرضي، تحقيق : محمد عبد الغني، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٦ : ١٢٢.

وقد كانت عصمة الإمام **عليه السلام** وصلاً بين عقيدة الإمام وعلمه بوصفهما شرطين للإمامة وبهما الحجة على الخلق[1]، فلم يقف علم الإمام **عليه السلام** عند حد بل تعدى ذلك إلى علم "البلايا والمنايا والوصايا وفصل الخطاب"[2]، وبعلمه كان يجيب عن كل سؤال بل انه يسبق المتسائل بسؤاله فيجيبه عليه، ويتوجه إليهم بالقول (**وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ**)[3].

ولذا فقد كان الإمام **عليه السلام** يتوجه إلى الناس بعلمه طالباً من يسأله بقوله (**فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ السَّاعَةِ وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا**[4] **وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا وَمُنَاخِ**[5] **رِكَابِهَا وَمَحَطِّ رِحَالِهَا وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً**)[6]، لا لأنه المحاجج لأهل الديانات الأخرى والأعرف بها فحسب، بل لأنه العارف بالفتن المتصدي لها، ولذا كان يقول (**أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا**)[7].

لقد خلّف رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** الإمام **عليه السلام** في الناس باباً لعلمه، قائلاً (أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب)[8]، ولذلك يحتج الإمام **عليه السلام** على من أخذ بالبدع وخاض غمرات الفتن، لتركه من جعله الله في

---

[1] ينظر : أصول الكافي : ١/٢١٥-٢١٦.

[2] م.ن : ١/٢٢٢.

[3] نهج البلاغة : خ١٧٥، ص٢٥٠.

[4] ناعقها : الداعي إليها، ومن نعق بغنيمة صاح بها لتجتمع.

[5] مناخ : محل البروك.

[6] نهج البلاغة : خ٩٣، ص١٣٧.

[7] م.ن : خ١٨٩، ص٢٨٠.

[8] شرح ابن أبي حديد : مجلد٣، ٩/٧٤.

منجاة منها بعلمه فيقول عنه وأهل بيته (نَحْنُ الْأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالْـأَبْوَابُ وَلَـا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً)[1].

وقد كان علم الإمام بيّنة من الله وقوة عقيدته طريقاً واضحاً، يضعه الإمام عليه السلام بقوله (وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً [2])[3].

العدل:

يعد عدل الإمام تجسيداً للعدل الإلهي في الأرض من خليفة الله جل وعلا ودليلاً على كونه الحجة على خلقه، فالعدل هو الهدف الذي جاءت به الأديان، ونزلت به الشرائع، وبه تحفظ للإنسان كرامته و يصان المجتمع من الفساد والتهاوي و يضمن له توازنه، وبه توضع الأمور في مواضعها الصحيحة [4]، ولذلك فقد خص الله تعالى به الأئمة عليهم السلام، وعدل الإمام **عليه السلام** ثالث المرتكزات الإرسالية المتممة لقوة العقيدة والعلم والمتسبب عنهما والمسبب لهما والجانب التطبيقي لهما [5].

وقد كان عدل الإمام عليه السلام ميزة شهدها الجميع زمن النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** فكان القضاء أول ما وضح فيه عدل الإمام **عليه السلام**، إذ كان النبي يحيل عليه المتقاضين ليحكم بينهم، فما إن يُصدر حكمه حتى يثني عليه ويؤكد صحته، ويؤيد ما قضي به وينفّذ قضاءه[6]، ولذا وصفه بأقضى الأمة [7]، وولاّه قضاء اليمن رغم صغر سنه، ودعا له النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** بالتسديد قائلاً (اللهم اهد قلبه وثبت لسانه)[1].

---

[1] نهج البلاغة : خ١٥٤، ص ٢١٥. ويريد الإمام عليه السلام بالخزنة والأبواب خزنة العلم وأبوابه. ينظر : شرح ابن أبي حديد : مجلد٣، ٧٤/٩.

[2] اللّقط : أخذ الشيء من الأرض.

[3] نهج البلاغة : خ٩٧، ص١٤٢.

[4] ينظر : م.ن : قول ٤٣٧، ص٥٥٣.

[5] ينظر : م.ن : قول ٣١، ص٤٧٣.

[6] ينظر : مطالب السؤول : ٨٣/١-٨٥.

وقد كان للإمام **عليه السلام** القضاء في أمور مستعصية على من جاء بعد الرسول **صلى الله عليه واله وسلم** جهلاً بالحكم بها، فقد كان عمر بن الخطاب يستعين بقضاء الإمام **علي عليه السلام** ويعلن حاجته إلى ذلك العلم الرسالي[٢]، واستمر إلى توليه الحكم بنفسه، فكان قضاء الإمام **عليه السلام** واحداً مهما اختلف سنه أو تنّوعت الظروف الداعية له.

ومن هنا كان القضاء عند الإمام وصلاً بين علمه وعدله وميداناً جامعاً لهما، فالقاضي يعطي كل ذي حقٍّ حقه لتسود العدالة في المجتمع "ومعرفة الحق بحاجة إلى حس مرهف، والى حكمة عالية، والى إيمان صادق وذكاء خارق" [٣]، وقد كان عدل الإمام **عليه السلام** امتداداً لعدل النبي **صلى الله عليه وآله و سلم**، وما لم يستطع أحد نقضه حتى بعد وفاة النبي **صلى الله عليه وآله وسلم**.

وقد كان أول عدل الإمام **عليه السلام** عدله في نفسه و محاسبته لها، في كل صغيرة وكبيرة أمر بها الله تعالى أو نهى عنها فلا يأمر بعدل إلا بعد أن يأتمر به[٤]، وكان يساوي نفسه بأضعف الناس مأكلاً ومشرباً وملبساً مواساةً لهم حتى كان يرى تلك المساواة فرضاً واجباً قائلاً **(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ[١] بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ)**[٢]، وكان ذلك حتى مع ابعد رعاياه مكاناً عنه، بل كانت مساواته إيثاراً للناس على نفسه، وإنصافاً لهم منها.

---

[٧] ينظر : الطبقات الكبرى : ٣٣٨/٢.

[١] الطبقات الكبرى : ٣٣٦/٢.

[٢] ينظر : انساب الأشراف، البلاذري، تحقيق : محمد احمد المحمودي، الأعلمي، بيروت، ط١، ١٣٩٤هـ : ٩٧-١٠٠.

[٣] القضاء والنظام القضائي عند الإمام علي (ع)، محسن باقر الموسوي، الغدير، بيروت، ط١، ١٩٩٩ : ٧٧.

[٤] ينظر : نهج البلاغة : خ٢٢٢، ص٣٤٢-٣٤٣.

[١] يتبيّغ : يهيج به الألم فيهلكه.

[٢] نهج البلاغة : خ٢٠٩، ص٣٢٥.

أما عدله في الناس فقد كان علمه بعدم تحمل الناس للعدالة التي يريد تطبيقها السبب الرئيس لرفض الإمام **عليه السلام** لبيعة المسلمين له بعد مقتل عثمان، وإعلانه لصعوبة الأمر الذي يواجهه المسلمون، معتذراً ومحذراً إياهم من عدله وصرامته في الحق بالقول (**دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ**) [٣]فكان العدل حقّاً نطق به وحكماً أجراه وطريقاً دعاهم إليه.

وقام الإمام **عليه السلام** بعد تسلمه الحكم إعطاء كل ذي حقٍّ حقّه وذلك بالعودة إلى سياسة التسوية التي سار بها الرسول المصطفى **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، ومصادرة الأموال المنهوبة قائلاً (**واللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ**)[٤]، ثم اخذ بحل المشاكل التي تضجّ منها الناس بمعالجة الأهم فالمهم منها[٥].

لقد عرف الإمام **عليه السلام** عزّ العبودية وإخلاص الطاعة لله، ولم يهمه نعيم فانٍ ولا لذة زائلة، إذ يقول (**مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى**)[٦]، فكان بيت المال يمتلئ بالأموال في المساء فلا يمهلها البقاء لغد لا يضمن البقاء فيه فيوزع المال، فلا تغرّه بيضاء أو صفراء ليأخذ منها [١]، ولا تخدعه هدية عن الحق فيجيب مهديها (**وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ**[٢] **مَا فَعَلْتُهُ وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ**

---

[٣] م.ن : خ٩٢، ص١٣٦.

[٤] م.ن : خ١٥، ص٥٧.

[٥] ينظر: سيرة المرتضى، محمد علي الحسني، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٩٦ : ٢٧١.

[٦] نهج البلاغة : خ٢٢٤، ص٣٤٧.

[١] الجمل : ٤٠٢.

[٢] جلب الشعيرة : قشرتها.

جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا)[٣]، فعدالة الإمام **عليه السلام** إنصاف للناس من نفسه وزهد بمفاتن الدنيا وما في أيدي الآخرين منها.

وكان عدل الإمام **عليه السلام** ثباتاً على الحق، وهو القائل **(الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ)**[٤]، وابتعاداً عن الظلم فلا يداهن ولا يصانع ولا يساوم على حساب دينه ولا يخاف في الله لومة لائم، وإن عوتب من اقرب الناس إليه، صارماً في إقامة الدين، معلناً ذلك **بقوله (وَاللَّهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ وَ كَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا)**[٥]، فلا تزيده كثرة الناس عزّاً، ولا تفرقهم وحشة بعد أن سلبه الحق كل صديق، لقلة أهل الحق دائماً واجتماع اكثر الناس على الباطل.

وقد كان الإمام **عليه السلام** يعلم أن هذه السياسة ستكون سبباً في التأليب عليه، ولا سيما سياسة التسوية التي كانت تضر بمصالح فئات كثيرة وأبرزها الأنصار والمهاجرين[٦]، ولذا فقد كان الإمام **عليه السلام** يعلم ما يصلح حالهم معه، ولكنه لا يصلحهم بفساد دينه ولا يشتري النصر بالجور[١]، فكان كما وصفه رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** (والله انه لأخشن في ذات الله)[٢].

ومن هنا لم يكن خطاب الإمام **عليه السلام** خطاباً عادياً، فالإمام **عليه السلام** الوارث للنبوة، الحامل للرسالة، فقد كان خطابه عدلاً يسبق إشهار السيف ويزيده قوة

---

[٣] نهج البلاغة : خ٢٢٤، ص٣٤٧.

[٤] م.ن : خ٣٧، ص٨١.

[٥] م.ن : خ٢٢٤، ص٣٤٦.

[٦] ينظر : الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، هاشم يحيى الملاح، جامعة الموصل، ١٩٩١ : ٤٣٤.

[١] نهج البلاغة : خ٦٩، ص٩٧.

[٢] تاريخ الأمم والملوك : ٤٠١/٣.

ومضاءفيرشح بعلمه الرسالي، ويفيض بأخلاقه المتفردة ليكون فيصلاً بين الحق والباطل لوضوح الجانب الإرسالي في الخطاب، بسمات تشع في خطابه تارة، ويباشر بها مخاطبيه تارةً أخرى بصفة رسالية من جانب وإرسالية من جانب آخر.

منبر الإرسال

ارتبط اعتلاء المنبر الخطابي بمن تولّى أمور المسلمين منذ زمن رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**، وكان أول اعتلاء للنبي **صلى الله عليه وآله وسلم** صعوده في أول بعثته الصفا منادياً يا قريش : يا صباحاه فاجتمعوا له وبدأ بإنذارهم من عذاب شديد[١].

وكان المنبر وسيلة توصل صوت الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** إلى الناس لتعليمهم الشرائع والأحكام، مبتدئاً بظهر دابته، ثم تحوله إلى جذع نخلةٍ[٢] حنّ إليه عند تركه حنين النوق حتى التزمه فسكن [٣]، ثم إلى نصب منبر عال يراه منه الجميع ويصل صوته إليهم[٤].

وقد ازدادت أهمية المنبر للمسلمين بعد أن سنّت صلاة الجمعة والعيدين فأصبح رفيقاً منتظماً كل أسبوع، يلتقي حوله المسلمون بمن ولاّه الله تعالى أمورهم.

وعلى الرغم من تساوق إرسال الإمام **عليه السلام** لخطاباته مع توليه مهام المنصب الرسمي للأمة الإسلامية ، لم يكن وقوفه على المنبر الخطابي بجديد عليه ولا على اكثر متلقيه، بل كان متوافقا مع مراحل الدور الرسالي التي مر ذكرها، أو الظرف الحاصل فيها.

ففي المرحلة الأولى كان يعتلي المنبر ليقف بين يدي رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** في مناسبات عدّة كي يراه الناس -لصغر سنه - عند إسماع النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** للمسلمين جميعاً الآيات النازلة فيه وتأكيدها بالأحاديث النبوية ولتشيد بمواقف السبق التي تقدم بها الإمام **عليه السلام** إعلاءً لشأنه وتخليداً لفضائله وإعلاماً لمتجاهلي سماته، وإيضاحاً لمنزلته، فان لم يجد مكاناً مناسباً، فراحلة النبي **صلى الله عليه**

---

[١] الطبقات الكبرى : ١/١٣٣.

[٢] ينظر : سنن الدارمي : ١/١٦.

[٣] ينظر : سنن الترمذي : ٢/٨.

[٤] إذ يقول الإمام عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (مَكَّةُ وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ عَلاَ بِهَا ذِكْرُهُ وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ). نهج البلاغة : خ١٦١، ص٢٢٩-٢٣٠.

وآله وسلم خير مكان يعلوه الإمام **عليه السلام** ليعلن النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** منه صفات الإمام **عليه السلام** و يشيد بفضله [1].

وقد كان الإمام **عليه السلام** مخصوصاً بأداء بعض المهام الرسالية التي ينوب فيها عن النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** إما قاضياً بين الناس بأحكام مسددة لا يصدرها إلا من دعا له الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم** بالتسديد[2]، أو مناظراً بعلمه لأهل الديانات الأخرى ومجيباً عن أسئلتهم، أو مبلّغاً عن رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم**.

فقد كان اعتلاء الإمام **عليه السلام** المنبر مهمة أوفده فيها رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** ليبلغ عنه سورة براءة بعد أن كلف بها أبا بكر، فهبط جبرائيل **عليه السلام** يأمره أن لا يؤدي عنه إلا **علي عليه السلام** [3]، ثم كان المنبر الشاهد الأول على تتويجه -مثلما كان شاهداً على إعلان فضائله- ولياً لأمور المسلمين، بإعلان النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** لولايته، ثم نصب خيمة لمبايعة الإمام **عليه السلام**.

أما في المرحلة الثانية فقد وقف الإمام **عليه السلام** محاججاً بما أعلنه النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** وشهده المسلمون مطالباً بحقه في خلافة النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** ووصايته ووراثته [4]، فكانت تهدئة الإمام للفتنة و انسحاب الإمام **عليه السلام** عن المنبر، بعد أن شاركته **الزهراء عليها السلام** ذلك الاحتجاج لما أصابها من ظلم[5]،

---

[1] ينظر :خصائص أمير المؤمنين : ٦٠.

[2] ينظر : مسند احمد : ١٥٦/١.

[3] ينظر : أنساب الأشراف : ١٠٧، الإرشاد : ٣٧.

[4] ينظر : الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، تحقيق : طه محمد الزيني، دار الأندلس، النجف، ١٩٦٧ : ٢٩/١-٣٠.

[5] ينظر : الطبقات الكبرى : ٣١٤/٢-٣١٥، ولتفصيل القول فيه ينظر : شرح ابن أبي حديد : مجلد ٤، ٤٩٦/١٦.

تنفيذاً لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي خص بها وليّه عليه السلام عند عدم وجود الناصر وحفاظاً على بيضة الإسلام.

لقد كان المنبر شاهد حق ودليل صدق مع سيف الإمام عليه السلام على منزلته وخصوصية المنصب الإلهي الذي نصب فيه، إذ لم يكن منصبا دنيوياً تتناوشه الأطماع فحسب ، بل كان منصبا إلهياً دينياً، لا يتأثر بإبعاد الإمام عليه السلام عن المنصب الرسمي للبلاد، إذ ان دوره الرسالي مستمر إلى آخر الزمان.

لذا لم تلبث الخلافات التي حدثت نتيجة جهل الحاكمين أنفسهم بالأحكام، وحاجتهم إلى العلم الرسالي والعدل الإمامي، أن دفعت القادة أنفسهم للاستعانة بالإمام عليه السلام في حل بعض معضلات الأمور، والاستعانة بالإمام ناصحاً مشيراً [1]، فكان الإمام عليه السلام يندفع دون تردّد في الإجابة، إذ كان همّه أن لا تضعف دولة الإسلام فتكون لقمة سائغة للدول الاستعمارية التي تحيط به وتحاول الانقضاض عليه، إلا ان ذلك كان في بعض الأمور لا كلها، ولا سيما في تنظيم أمور الحكم إذ كان لا بد من الابتكار في بيئة بدوية لم تكن ذات عهد بالسياسة [2]، ومن قادةٍ كانت الخلافة عندهم "تجربة جريئة توشك أن تكون مغامرة"[3].

واستمّر سكوت الإمام عليه السلام عما أصابه من ظلم زهداً بما تنافسوا عليه، كي لا تكون مطالبته به مطالبة بحق شخصي ما دام ظاهر الظلم مقتصر على الإمام عليه السلام[4]، ولم يشعر الناس بالظلم إلا بعد أن عمّ ووصل إلى كل واحد منهم، وظهر الباطل جليّاً واضحاً في عهد عثمان، وعندها توّجه الإمام عليه السلام سفيراً موفداً من

---

(1) ينظر : نهج البلاغة : خ١٤٦، ص٢٠٣. ولذا كان عمر بن الخطاب يتعوّذ من معضلة ليس لها أبو الحسن عليه السلام. ينظر : الطبقات الكبرى : ١٠٢/٢.

(2) الفتنة الكبرى، طه حسين، دار المعارف، مصر، ط٦، ١٩٦٦، ١ : ٤٤.

(3) م.ن : ٥/١.

(4) ينظر : نهج البلاغة : خ٧٤، ص١٠٢.

المسلمين، ناصحاً مرشداً لعثمان مصلحاً للواقع السائد[1]؛ مشيراً عليه بالحل الأمثل لتهدئة الأمور ورفع الظلم عن المسلمين[2].

ثم كانت الثورة التي جاءت نتيجة حتمية للأوضاع المضطربة التي سادت العصر وكان الإمام **عليه السلام** هو القائد الوحيد الذي اتجهت إليه أنظار المسلمين جميعاً – رغم وجود الأطماع السياسية –، فالإمام **عليه السلام** صوت الحق الذي بقي علماً للخلق الرفيع، فلم يداهن أو يهادن ولم يمار بالباطل ولم يفارق الحق وإن ابتعد عن منبره.

وقد وقف الإمام **علي عليه السلام** عند تولّيه زمام الأمور على المنبر رافضاً تسلّم المنصب الإرسالي وهو الأعلم بمجريات الأمور، قائلاً **(دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ[3] وَالْمَحَجَّةَ[4] قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ وَأَنَا لَكُمْ وَزِيراً خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيراً)**[5]، فالخلافة منصب إلهي، إلا أنها أصبحت ملكاً مشاعاً لمن وجد في نفسه أثرةً على سائر الناس، حتى وإن كان دونهم، ولكن حرص الإمام على الأمة الإسلامية ومحاولته فصل مزاج الحق عن الباطل وإعادته لأهله وتفعيل معالم الدين وإقامة الحدود والأحكام[6]، كل ذلك كان دافعا له **عليه السلام** لقبول

---

[1] ينظر : نهج البلاغة : خ١٦٤، ص٢٣٤-٢٣٥.

[2] ينظر : م.ن : خ٢٤٠، ص٣٥٨.

[3] أغامت : غطّيت بالغيم.

[4] المحجّة : الطريق المستقيمة.

[5] نهج البلاغة : خ٩٢، ص١٣٦.

[6] ينظر : م.ن : خ١٣١، ص١٨٩.

الخلافة، زيادةً على قيام الحجّة عليه بوجود النصرة له [٧]، فيتوافق دوره الرسالي عند بدء المرحلة الثالثة مع وقوفه على المنبر وإطلاقه لخطابه الرسالي.

وقد كانت الخطابة وسيلة شائعة في عصر الشفاهية أيام الجمع والمناسبات الخاصة، كالبيعة مثلاً، إلا أن الإمام استخدم الخطابة بوصفها وسيلة تجمعه بأكبر شريحة في المجتمع ليكون وجهاً لوجه بازاء مخاطبيه، مما يتيح لهم أخذ العلم من مصدره دون حائل.

وقد كان وقوف الإمام **عليه السلام** على منبر رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** يعيد إلى أسماعهم صوت النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** الخالد "ويعيدهم إلى عهد النبوة الذي لا يعرف إلا الحق، والاستقامة، والمصلحة العامة" [١].

إلا أن اضطراب الأوضاع، وتنوع الأحداث، وانتقال الخلافة من المدينة إلى الكوفة، وكثرة الحروب التي خاضها الإمام **عليه السلام**، وترافق ذلك كله مع خطابه الرسالي، أدّى إلى تنوع ذلك المنبر –ولا سيما مع تواضع خلقه وأهمية الإسراع في العمل الصالح عنده– بين حجارة يقف عليها [٢]، أو ناقة يطلق خطابه منها [٣]، أو حائطٍ يقف مسنداً ظهره إليه ثم متوجّهاً لهم بالخطاب[٤].

وقد حوّل الإمام **عليه السلام** المنبر الخطابي إلى منبر إرسالي يوجه منه خطابه الرسالي برسائل الحق التي يرسلها من جعله رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** دليلاً على الحق[٥]، إذ قال **صلى** الله **عليه وآله وسلم** عن الإمام **علي عليه السلام** (ألا وإن

---

[٧] ينظر : م.ن : خ٣، ص٥٠.

[١] ينظر : عصر الانطلاق (الخلفاء الراشدون)، محمد سعد أطلس، الأندلس، بيروت : ٢٥٢/٢.

[٢] ينظر : نهج البلاغة : خ١٨٢، ص٢٦٠.

[٣] ينظر : شرح البحراني : ٢٣١/٢.

[٤] ينظر : م.ن : ١٩٢/١.

[٥] إذ يقول الإمام عليه السلام (ليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب). نهج البلاغة : كتاب ٥٣، ص٤٤١.

الحق معه يتبعه، ألا فميلوا معه)[٦]، فيعلي رايته التي خلفها رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** في يد الإمام **عليه السلام** ويفصله عن امتزاجه بالباطل وليكون المنبر دليل حقٍ وشاهد صدقٍ على معجزاته [١]، وإعلاناً لها [٢]، كما كان شاهداً على فضائله وكراماته.

---

[٦] المناقب : ١٧٧.

[١] ينظر : إحقاق الحق وإزهاق الباطل : ٨/٧٢٦-٧٢٨.

[٢] ينظر : نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٣٠٠.

الصوت الرسالي

توافق إطلاق صوت الإمام الرسالي مع تسلمه مهام الإمام السياسية ليكون امتداداً لصوت النبي **صلى الله عليه وآله وسلم**، والصوت اللغوي "أثر سمعي يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسماة تجاوزاً أعضاء النطق"[(1)]، وذلك لان السلسلة الكلامية تتكون من "حركات استمرارية يقوم بها الجهاز النطقي في عملية تنتج وحدات صوتية ومفرداتية ومقطعية تترابط فيما بينها " [(2)].

ولم يكن منبر الإرسال المنفذ الوحيد الذي يصل الإمام بمخاطبيه، فقد كانت سمات الإمام **عليه السلام** وسياسته، وأخلاقه، وأفعاله السابقة لكلامه، منافذ إرسالية تصله بمخاطبيه[(3)].

وصوت الإمام **عليه السلام** هو صوت الحق الناطق بالعلم والحكمة، الذي ارتفع بقوة حجّته التي تهاوت أمامها بقية الحجج عالياً، وطأطأت له هامات معاديه، فتضاءلت أشخاصهم وخفيت أصواتهم[(4)].

وارتفاع صوت الإمام **عليه السلام** لا يعني علّو طبقته، ولم يرد عن الإمام **عليه السلام** تشديده على تغيير نبرة صوته بخفض أو رفع ليناسب ارتجاله الخطاب أو ليؤثر في مخاطبيه، أو لينقل لهم انفعالاته، وإن كان الانفعال سبباً لتنويع الصوت[(5)]، إذ يصف الإمام **عليه السلام** صوته بالخفيض فيقول(**وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً ، وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً**)[(1)]، إلا

---

(1) علم اللغة العام (الأصوات)، كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، ط5، ١٩٧٩ : ٦٤.

(2) علم الأصوات العام، بسام بركة، مركز الإنماء القومي، لبنان : ٩٣.

(3) يوجز الإمام عليه السلام عمله فيهم أواخر خطبه فلا يكتفي بأقواله طريقاً للوصول إليهم، إذ يقول عليه السلام (قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي). نهج البلاغة : خ٨٧، ص١٢٠.

(4) يقول الإمام عليه السلام لابن مسهر الطائي حين قال بصوت عال لا حكم إلا لله (وَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ خَفِيّاً صَوْتُكَ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ). م.ن : خ١٨٤، ص٢٦٨.

(5) ينظر : إعجاز القران والبلاغة النبوية، الرافعي، المكتبة التجارية، مصر، ط8، ١٩٦٩ : ٢٤٥.

(1) نهج البلاغة : خ٣٧، ص٨١.

أننا نجد انعكاسات تغيير صوته على تغيير معاني ما يدعوهم إليه، فمناداة مرة ومناجاة أخرى بقوله (**يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ فَلَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّدَاءِ وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ**)[٢]، فالدعوتان موجّهتان لمخاطبيه، فإن كانت المناداة بصوت عال، والمناجاة بهمس أو بصوت خفيض، فانه يقول في خطاب آخر (**أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً** [٣]**وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا**)[٤]، وهذا دليل على عدم تشديد الإمام **عليه السلام** على وصول صوته كصوت مادّي، ليكون تغييره بين مناداة ومناجاة فناً إلقائياً يريد به التأثير في مخاطبيه.

ولم يرد عن الإمام **عليه السلام** لدى اعتلائه منبر الإرسال انه كان يعمد إلى استخدام ما يوصله بمخاطبيه أو ما يعزز من أدائه الخطابي[٥] ، من حركة أو إشارة تساعده في إيصال صوته لمخاطبيه والتأثير فيهم[٦]، لا سيما وان الإشارة "تساعد الخطيب على التنفس، وإعلاء الصوت" [٧]، بل كان يتبع الإشارة إن صدرت عنه بالكلام ليحلّ بديلاً عنها ويوضّحها [٨].

أما ما يصاحب خطاب الإمام **عليه السلام** –أحياناً- من تعابير وجه أو حركات يدين فقد كان ذلك انفعالاً دافعه حرصه الأبوي على هداية الناس للعمل بطاعة الله عزّ وجل التي كان يدعوهم لها، فكان يفرح لكثرة أنصاره على الحق، ويصفق كفيّه ألماً وحسرة لما يسمع منهم من اختلاط الحق بالباطل وحيرتهم في ذلك مع وجود إمام الحق[١]، وتبكي

---

[٢] م.ن : خ١٢٥، ص١٨٣.

[٣]مستصرخاً :مستنصراً أي مستجلب من ينصره بصوته.

[٤] نهج البلاغة : خ٣٩، ص٨٢.

[٥] ينظر : علم الخطابة : ٢/١٣٨.

[٦] فما ورد من كلام الجاحظ عن الإشارة والحركة عند الخطبة فإنها جاءت في عهود تالية ومثلها ملابس الخطيب. ينظر : البيان والتبيين : ١/٩١-١٠٠.

[٧] فن الخطابة : ٢٩.

[٨] ينظر : نهج البلاغة : خ١٤١، ص١٩٨.

[١] ينظر : نهج البلاغة : خ١٢١، ص١٧٧.

عيناه حزناً لفراق اخوة الجهاد الذين لم يجد مثيلاً لهم[٢]، وتزداد حسرته عند تذكر حروبه الجهادية و صبره على العدو ومصاولته له مع القلة الأخيار من إخوان الجهاد وانعكاس للحى مع أصحابه الذين تبدو إمارات الإخفاق والتراجع على محيّاهم، فما انفعال الإمام **عليه السلام** إلا لأن المعصية نهج في سبيل الباطل وابتعاد عن الطريق المستقيم.

ويغضب الإمام **عليه السلام**، ولكن لله عزّ وجل إن سُئل (هل رأيت الله) لما يراه ممن يريد تجسيم الله بوصفه ومساواته بالبشر[٣]، ويخاف الإمام **عليه السلام**، ولكن على أمته لا على نفسه كخوف موسى على قومه إذ كان يشفق عليهم (**مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ وَدُوَلِ الضَّلَالِ**)[٤]، ويضيق بهم ذرعاً ويسأم عتابهم عندما يراهم راضين بالدنيا دار بقاء متناسين كونها دار زوال، فيستهويهم عصيان الإمام **عليه السلام** [٥]، في وقت تحفّ فيه ببلادهم المخاطر ويتهددها غزو الأعداء، فقد كان فرح الإمام **عليه السلام** لنصرة دين الله جل وعزّ وحزنه لخسارة تلحق به، لا تعبيراً عن مواقف شخصية، وكيف يفرح أو يحزن من يجد الزهد كلّه في ترك الفرح والحزن على ما فات من الدنيا أو ما هو آتٍ فيها[٦].

وقد كان الإمام **عليه السلام** يخطب من وقوف إذ كان من القوة والصلابة بحيث لا توهنه ساعات طوال يقضيهاواقفاً في خطابه[٧]، لتدفعه إلى الجلوس، فقد كان جسم الإمام **عليه السلام**كشجرة بريّة كلما قلّ زادها قوي عودها [١]، وقد كانت الهيبة التي يثيرها وقوف الإمام **عليه السلام** على المنبر بما لا يحتاج معه إلى عصا أو مخصرة لتضفي عليه

---

[٢] ينظر : م.ن : خ١٨٢، ص٢٦٤.

[٣] ينظر : م.ن : خ٩١، ص١٢٤.

[٤] م.ن : خ٤، ص٥١.

[٥] م.ن : خ٣٤، ص٧٨.

[٦] ينظر : م.ن : قول٤٣٩، ص٥٥٣.

[٧] يروى انه اتفق خطاب الإمام عليه السلام في يوم الغدير والجمعة، فوصل خطابه على المنبر إلى خمس ساعات من نهار ذلك اليوم. ينظر : مستدرك نهج البلاغة ومداركه، الهادي كاشف الغطاء، الأندلس، بيروت : ٧٩.

[١] نهج البلاغة : كتاب٤٥، ص٤١٨.

الهيبة(٢)، فلم يكن الإمام **عليه السلام** يحمل إلا السيف ذاته الذي أنطق به الحق أقامه ونصر به الإسلام، وكان كلما انحنى من كثرة المبارزة فالتعديل سبيله لا الاستبدال.

أما ملابس الإمام فقد بقيت ملابسه البسيطة ذاتها التي كانت عليه قبل توليه الخلافة، لما اتّسم به من ورع وتقوى ولباس المتقين الاقتصاد (٣)، والإمام **عليه السلام** سيد المتقين، فلم يعمد إلى تغييرها لدى صعوده المنبر أو عند تسلمه لمنصب(٤)، بل كانت ملابسه جزء من الاقتداء الذي كان يدعوهم له.

وما ملابس الإمام **عليه السلام** البسيطة(٥)، إلا زهد دأب عليه في كل دقائق حياته، لا لقناعة يتحلّى باسمها أو زينةٍ يتزيّن بها ليكون من أهل الزهادة (٦)، فملابسه ملابس رسل الله عزّ وجل الذين جعلهم**(أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى وَخَصَاصَةٍ(٧) تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى)**(٨)، فلم يعتمد الإمام **عليه السلام** لدى صعوده منبر الإرسال على لباس في إضفاء هيبة (١)، ولم يهتم بمظهره لتقوية شخصية (٢) —والإمام **عليه السلام**

---

(٢) ان العصي والمخاصر التي خصّها الجاحظ بباب رأى انها لا تفارق يد الملوك في المجالس، وطعن الشعوبية للعرب بأخذها في خطبهم لم تكن إلا بعد الإمام عليه للسلام، محاولةً لإضفاء الهيبة على الخطيب. ينظر : البيان والتبيين: ١/٣٧٠-٣٨٨.

(٣) ينظر : نهج البلاغة : خ١٩٣، ص٣٠٣.

(٤) ينظر : تاريخ الأمم والملوك : ٣/٤٥١.

(٥) ينقل الشريف الرضي ما رواه نوف البكالي في وصف ملابس الإمام عليه السلام في إحدى خطبه الجهادية، إذ كان يخطب وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي (عَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ وَحَمَائِلُ سَيْفِهِ لِيفٌ وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ لِيفٍ وَكَأَنَّ جَبِينَهُ ثَفِنَةُ بَعِيرٍ). نهج البلاغة : خ١٨٢، ص٢٦٠.

(٦) ينظر : م.ن : خ٣٢، ص٧٥.

(٧) خصاصة : فقر وحاجة.

(٨) نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٢٩٢.

(١)ولذا ما نجد في كتاب الجاحظ وسواه من صفات وعوارض للخطاب والقائل به، إنما كان ذلك سمراً في مجالس العرب حتى خصوا في كتبهم أبواباً مطولة لنوادرهم وأخبارهم . ينظر : الخطبة كنثر فني : ١٤٢.

(٢) ينظر : فن الخطابة : ٣٤.

في غنى عن ذلك-، وزهد الإمام **عليه السلام** سابق لإطلاق صوته الرسالي -غير مقتصر عليه ليكون ذلك وسيلة لتقوية الخطاب-، فزهده طاعةً لله عزّ وجل تذكّرهم بالاقتداء بمن جعله الله تعالى علماً هادياً لهم قبل أن يدعوهم لنبذ شيء من حطام الدنيا الذي تتكالب عليه النفوس وتطمع في نيله، ولا سيما وان الإمام **عليه السلام** لا يدعوهم إلى طاعة الله تعالى إلا ويكون تطبيق تلك الدعوة في نفسه إذ يقول (**وَاللَّهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا**)[٣].

إلا أن صوت الإمام **عليه السلام** لم يكن صوت خطيب عادي، أو قائد عسكري أو سياسي أو واعظ ديني فحسب، بل كان صوت الإمام **عليه السلام**مزيجاً من أصوات عدة، وكان وقوفه على المنبر وصلاً بين تلك الأصوات، لكونه صوت الحجة الناطق بلسان الله جلّ وعلا والسبيل الهادي إليه.

وأول صوت خاطبهم به الإمام **عليه السلام** هو صوت القرآن الذي لا ينطق بلسان وجعله الله تعالى ترجماناً له [٤]، ولا سيما بعد أن تعلقت بالقرآن أحزاب تفرّقت لتسيّر الدين على وفق أهوائها، حتى أصبح القرآن عندها سلعة نافقة إن حرف عن مواضعه، وقد وصف أمرهم الإمام عليه السلام بقوله (**إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالًا وَيَمُوتُونَ ضُلَّالًا لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً وَلَا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ**)[٥]، فأصبحوا يحملون الكتاب على أهوائهم، ويجعلونه غطاءً واقياً لأفعالهم المنحرفة[١]، ولذا فصوته "صوت

---

[٣] نهج البلاغة : خ١٧٥، ص٢٥٠.

[٤] ينظر : م.ن : خ١٢٥، ص١٨٢.

[٥] ينظر : م.ن : خ١٧، ص٥٩.

[١] ينظر : نهج البلاغة : خ١٨، ص٦٠.

الإسلام الداعي للتضحية والجهاد إحلالاً للمبادئ والقيم والمثل العليا، وصوناً لوحدة الامة، وحفاظاً على الكرامة والعّزة" [٢].

ولذا كان صوت الإمام **عليه السلام** صوتاً حيّاً يظل على مّر الزمان يوضح كتاب الله تعالى من بعد ما رفضوا العمل بنسخة كتابه التي أودعها أسباب نزول آيات الله تبارك وتعالى وتأويلها والمناسبات النازلة فيها وأقوال السنة المؤيدة لها، وما تبع ذلك من إحراق عثمان للمصاحف وجمعها في مصحف واحد[٣].

وصوت الإمام **عليه السلام** هو صوت النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** الذي دعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة وهو المبلّغ عنه[٤]، والناطق الحق بسنته، المحيي لها بعد محاولات قتلها بمنع تداول أحاديث الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم** تارة، وجمعها وإحراقها تارة أخرى[٥] بحجّة الحفاظ على كتاب الله، وقتلها بالبدع الباطلة تارة ثالثة والتي يصفها الإمام **عليه السلام** بقوله **(وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ)**[٦]، وتحريفها إما عمداً بالكذب على رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** الذي كان على حياته حتى نزلت آيات الله عزّ وجل تنهاهم عن ذلك، أو بغير عمد[٧].

وصوت الإمام **عليه السلام** هو صوت الراعي المقترن بصوت الداعي إلى الإسلام رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، والمسؤول عن رعيته، الواجب الاتباع منها الذي يصفه الإمام بقوله **(دَاعٍ دَعَا وَرَاعٍ رَعَى فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي وَاتَّبِعُوا الرَّاعِيَ)**[١]، وصوت وّلي أمر الله الذي لا يصلح الأمر إلا به[٢]، وخليفته الحجة على

---

[٢] الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، حبيب يوسف مغنية، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٢ : ٣٧٥.

[٣] ينظر : الفتنة الكبرى : ١/١٨٢-١٨٣.

[٤] ينظر : نهج البلاغة : خ٩٥، ص١٤٠.

[٥] ينظر : الطبقات الكبرى : ٥/١٤٠.

[٦] نهج البلاغة : خ١٤٥، ص٢٠٢.

[٧] ينظر : م.ن : خ٢١٠، ص٣٢٥.

[١] نهج البلاغة : خ١٥٤، ص٢١٥.

العباد المستمر إلى آخر الزمان الذي لا تخلو الأرض منه ولولاه لساخت الأرض بأهلها المتصل بآخر الخلفاء من ولده **الحجة القائم (عجل الله فرجه وسهل مخرجه)**.

وصوته **عليه السلام** صوت الواعظ المتعظ الذي يستضاء بنوره فلا ينطق إلا علماً، لذا يدعوهم الإمام **عليه السلام** للاستضاءة بنوره **(اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وَامْتَاحُوا**[3] **مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ**[4] **مِنَ الْكَدَرِ)**[5]، والطبيب الذي يتتبع مواطن الغفلة والحيرة وما أصيبوا به من داء [6] ويصف الدواء الناجع لها، والعالم الرباني [7]، الذي لا يحيا العلم إلا به، ولا يمكن الانتفاع بعمل إلا بالسير في طريقه، وهو العالم بما يصلح مخا طبيه ويقيم أودهم [8].

فقد كان الإمام **عليه السلام** الوالد الشفيق الذي يتفقد أمور أولاده ولا يبخل عليهم بحاجة، والناصح الشفيق الذي لا تجر معصيته إلا ندماً [9]، ويمكننا استشعار هذا الحرص الأبوي من مرارة الصبر الذي تجّرعه طيلة السنين السابقة وهو يعلم ان لا مصلح لحالهم سوى هدي السنّة المتجسّد فيه، فقد حرص الإمام **عليه السلام** في الدور الرسالي الثالث على رد ما يواجه به من شكوك متوارثة، أو ما يحاول أعداؤه بثّها، كوالد حريص

---

[2] يقول الإمام عليه السلام في وصيته لمن يستعمل على الصدقات (تقول عباد الله، أرسلني ولي الله وخليفته، لآخذ منكم حق الله في أموالكم). م.ن : كتاب٢٥، ص٣٨٠.

[3] امتاحوا : استقوا وانزعوا الماء لريّ عطشكم من عينٍ صافية صفت من الكدر.

[4] روّقت : صفّيت.

[5] ينظر : نهج البلاغة : خ١٠٥، ص١٥٢.

[6] (طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَآذَانٍ صُمٍّ وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ). م.ن : خ١٠٨، ص١٥٦.

[7] ينظر : م.ن : خ١٠٨، ص١٥٧. والرباني هو المتأله العارف بالله سبحانه، ولذا فقد جاء في وصف الحسن لأمير المؤمنين بالقول (كان والله رباني هذه الأمة وذا فضلها، وذا قرابتها، وذا سابقتها). شرح ابن أبي حديد : مجلد ٢، ٣٨٩/٢. وقد شاع هذا اللفظ من بعده بمعنى عالم الأمة إذ يروى عن كعب الأحبار قوله بعد موت ابن عباس مات رباني هذه الأمة هو اعلم من مات ومن عاش. الطبقات الكبرى : ٣٧٠/١.

[8] ينظر : نهج البلاغة : خ٦٩، ص٩٩.

[9] ينظر : م.ن : خ٣٥، ص٧٩.

على عدم تأثر أبنائه بما يخل بقيادته بنظرهم أو ما يؤخرهم عن طاعته لما فيه صلاحهم وإصلاحهم، فلا يهمه **عليه السلام** تأخّر سامعيه وسلبيتهم في طاعته إلا لحرصه الأبوي على هدايتهم[1]، ذلك ان صوت الإمام **عليه السلام** هو "الصوت المنبعث منه هو صوت للإنسان، والقائد، والإمام الذي يعاني من ضلال اتباعه، وخذلانهم إيّاه، وعصيان أوامره، ومخالفة رأيه" [2].

ويتحول هذا الصوت الرسالي عند توجه الإمام **عليه السلام** لمخاطبيه إلى خطاب رسالي يوقظ ضمائرهم، وينبّه سرائرهم، لا ليدعوهم إلى ما لم يدعوهم إليه الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، ولا لينذرهم بما لم ينذرهم به، إذ يقول الإمام **عليه السلام** **(وَاللَّهِ مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمُوهُ)**[3]، فدعوة الإمام **عليه السلام** امتداد لدعوة الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، ليذكّرهم بصوته الرسالي الذي صار نتيجة الجهل والغفلة غريباً عليهم، ولينبههم إلى ما أوصاهم به الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم** من التزام طريق الحق[4]، وبهذا الصوت الرسالي توّجه الإمام **عليه السلام** إلى مخاطبيه.

---

[1] يروي الإمام علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله (أنا وأنت أبوا هذه الأمة، فلعن الله من عقّنا). صحيفة الأبرار : ١/١٤٤.

[2] الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي : ٣٧٥.

[3] نهج البلاغة : خ٨٩، ص١٢٢.

[4] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لولا علي ما بان حقٌ من باطل، ولا مؤمن من كافر، ولاعُبد الله لأنه ضرب على رؤوس المشركين حتى أسلموا وعبدوا الله، ولولا ذاك لما كان ثواب، ولا عقاب). صحيفة الأبرار : ١/١٤٥.

وصف المخاطبين

لم يكن تولي الإمام **عليه السلام** المنصب السياسي والرسمي للخلافة، بعد أفول شعاع النبوة الخالد مباشرة –كما أوصى بذلك النبي **محمد صلى الله عليه وآله وسلم** – بل كان ذلك بعد فاصلة زمنية تقدر بخمس وثلاثين عاماً، ولم تكن الخلافة يوماً بما آلت إليه بغية الإمام **عليه السلام** –على الرغم من كونها حقه السليب– ولو كانت كذلك لقبل بها عند أول طلب للناس بتولي الأمر، ولما ترك الأمر حتى أقبل الناس عليه إذ يصفهم (**أَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ**[1] **عَلَى أَوْلَادِهَا تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا وَنَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا**)[2]، فقامت الحجة عليه بحضور الحاضر ووجود الناصر[3].

لقد تسلم الإمام عليه السلام الخلافة، فكان حرصه على بلاد المسلمين من أن يليها سفهاؤها[4]، وسعيه للقضاء على البدع والشبهات التي أشبهت الحق بالباطل بخلطهما بما لا يمكن تمييز أحدهما عن الآخر، حتى أثقلت المجتمع بالفتن وجعلته يئن تحت وطأة ذلك، واندفاعه لنشر العدل وإقامة الحق بين الناس، لذا يقول الإمام (**اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ**)[5].

---

[1] العوذ : جمع عائذة وهي النتاج من الظباء والإبل، أو كل أنثى. والمطافيل : جمع طفل، وهي ذات الطفل من الأنس والوحش.

[2] نهج البلاغة : خ١٣٧، ص١٩٥.

[3] ينظر : م.ن : خ٣، ص٥٠.

[4] ينظر : م.ن : كتاب ٦٢، ص٤٥١-٤٥٢.

[5] م.ن : خ١٣١، ص١٨٩.

لقد كان مقتل عثمان أثر عاثورة وفتنة كبرى جمعت آراءً متشتّتة وأهواءً مختلفة وأخلاطاً من أحزاب متعددة وأمصار عديدة [1]، وقد حاول الإمام **عليه السلام** بتحذيراته المتكرّرة لعثمان الحيلولة دون قيامها، فقد نبّهه مسبقاً إلى ما أنبأ به رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** من قيام الفتنة [2]، وما أخبر الناس به عن موت السنّة من بعده بابتداع البدع [3]، وحذّره الإمام **عليه السلام** من مغبّة فتح باب قتل لا سبيل لإغلاقه إلى يوم القيامة قائلاً **(وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً)** [4].

ولم يكن دافع اتفاق تلك الآراء على قتل عثمان واحداً، ولم يكن منهم من يعرف الحق ويريد إرجاعه لأهله سوى قلة قليلة، فقد كان الطمع دافعاً لأكثرهم للثورة ضدّه وقتله، ولذا يصف ذلك الإمام **عليه السلام** رأيه في مقتل عثمان بقوله **(أَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ)** [5].

وقد كان الخطاب خير وسيلة تصل الإمام **عليه السلام** بمخاطبيه، ليكون امتداداً للخطاب النبوي الشريف ونهجه استتماماً لنهجه [6]، إلاّ ان خطاب الإمام **عليه السلام** لم

---

[1] فقد حاصره المصريون إلا انهم لم يقدموا على قتله إلا بعد ان وصلهم إمداد العراق والكوفة والبصرة والشام. ينظر : الطبقات الكبرى : ٣/٧١-٧٢.

[2] ينظر : نهج البلاغة : خ١٥٦، ص٢٢٠.

[3] قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم (من أحيا سنة من سنني قد أميتت من بعدي، فإن له أجراً مثل اجر من عمل بها من الناس، لا ينقص من أجور الناس شيئاً. ومن ابتدع بدعة لا يرضاها الله ورسوله، كان عليه مثل إثم من عمل بها من الناس، لا ينقص من آثام الناس شيئاً). سنن ابن ماجة : ١/٧٦.

[4] نهج البلاغة : خ١٦٤، ص٢٣٥.

[5] م.ن : خ٣٠، ص٧٣.

[6] م.ن : خ٨٩، ص١٢٢.

يكن بأكمله موّجهاً لمخاطبيه ممّن يجمعه معهم زمان واحد ومكان واحد فحسب، بل كان خطابه موجهاً للامة الإسلامية بأسرها، وفي كل زمان ومكان، فخطاب الإمام **عليه السلام** علوماً مكنونة ومعادن مخزونة، وهدفه الأساس إثارة مكامن عقولهم وتوجيهها لاستخراج كنوز القران، والإفادة من علومه التي خص الله تعالى بها العرب لتكون افضل الأمم، ولا سيما وان الأمم تحتذي نهج سابقاتها[1].

ولحرص الإمام **عليه السلام** على تطبيق العدل الإلهي ونشره، وإقامة الحق ودحض الباطل، ولخفاء الحق وقلّة القائلين به وامتزاجه بالباطل، ولان الفتنة التي نبه الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** عليها ستستمر إلى يوم القيامة [2]، فقد خص الإمام **عليه السلام** الجزء المتوّجه به لمخاطبيه من خطابه الرسالي لإصلاح الأوضاع بإعادة الحق إلى نصابه، وفصله عن الباطل بوصفه الإمام الوحيد –من سائر الأئمة من ولده **عليهم السلام**- الذي تهيأت له فرصة اعتلاء منبر الإرسال بصفة سياسية لا دينية فحسب، لذا لم يكن الإفهام هدف الإمام **عليه السلام** في كل خطابه، وبناء المجتمع على الأساس الذي وضعه رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** بعد تجليته وإزالة الصدأ.

لذا فقد توجه الإمام **عليه السلام** لمخاطبيه، نوراً هادياً، وسبيلاً منجياً من الفتن الظلماء التي أشبهت الحق بالباطل ومزجتهما معاً بما لا يمكن لأحد فصله إلا ممن خصّ به.

ويتوّجه الإمام **عليه السلام** في معظم خطابه لإفهام مخاطبيه، فالفهم أولى درجات الهداية، وهو الأساس الذي بني عليه العدل[3]، بوصفه سمة خصّ الله سبحانه بها أهل بيت النبي **صلى الله عليه وآله وسلم**، فكان توجه الإمام لإفهام مخاطبيه[1]حقيقة الوضع القائم في المجتمع، و إيضاح أسبابه، وما أصاب المجتمع من انحراف، وما ساده من مزج بين

---

[1] ينظر : نهج البلاغة : خ٨٣، ص١١١.

[2] ينظر : م.ن : خ١٦٤، ص٢٣٥.

[3] ينظر : م.ن : قول٣٠، ص٤٧٣.

[1] وقد كان إفهام الإمام عليه السلام لمخاطبيه –ولا يملك ذلك سواه وأهل بيته عليهم السلام- سبباً في جعل البلاغة عند الجاحظ مدارها عليه. "ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقاتهم، والحمل على أقدار منازلهم". البيان والتبيين : ٩٣/١.

الحق والباطل، وما ترتب على ذلك من آثار ونتائج تتصل تارة وتفترق أخرى وتتشابك مّرة ثالثة.

ويصف الإمام عليه السلام المجتمع الذي وقف مخاطباً إيّاه عودته إلى الجاهلية السابقة لبعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال الإمام عليه السلام في أول خطاب توجه به لمخاطبيه عند توليه الأمر (**أَلَا وَإِنَّ بَلِيّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله**)[٢]، إذ يصف الإمام عليه السلام حال العرب قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (**إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ مُنِيخُونَ**[٣] **بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَّاتٍ صُمٍّ تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ**[٤] **وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ**)[٥].

فقد أورثتهم الطبيعة القاسية التي كانوا يعيشون فيها خشونة في الطباع وقسوة في القيم والعادات والعلاقات الاجتماعية –عدا قلة منهم ممن تمسك بالقيم والأخلاق الحميدة، وكان مضرباً للأمثال كحاتم في كرمه– بفعل جدب الأرض وخلوها من الرزق الأمر الذي كان يدفعهم إلى التنقل والترحال والى السلب لتكون أرزاقهم في رماحهم، فيفتك قويّهم بضعيفهم[١]، حتى كان يوصلهم إلى شظف العيش إلى اللجوء إلى مذموم الطعام والشراب في أحيان كثيرة [٢].

والعرب لم يكونوا تجاراً ولا صنّاعاً ولا أطبّاء ولا حساباً، ولا أصحاب فلاحة فيكونون مهنة، ولا أصحاب زرع، لخوفهم من صغّار الجزية. ولم يكونوا أصحاب جمع

---

[٢] نهج البلاغة : خ١٦، ص٥٧.

[٣] منيخون : مقيمون.

[٤] الجشب : الطعام الغليظ أو ما يكون منه بغير أدم.

[٥] نهج البلاغة : خ٢٦، ص٦٨.

[١] ينظر : فكر ابن خلدون العصبية والدولة، محمد الجابري، دار الشؤون الثقافية، بغداد : ٢١٩-٢٢٠.

[٢] ينظر : شرح البحراني : ١/٢٣٥.

وكسب، ولا أصحاب احتكار لما في أيديهم وطلب ما عند غيرهم، ولا طلبوا المعاش من عند السنة الموازين ورؤوس المكاييل، ولا عرفوا الدوانيق والقراريط، ولم يفتقروا الفقر المدقع الذي يشغل عن المعرفة، ولم يستغنوا الغنى الذي يورث البُلدة، والثروة التي تحدث العزّة" [٣]، فحياة البادية حياة خارجة عن كل نظام تعيش مبدأ القصاص ودفع العدوان بالعدوان[٤].

وقد كان العرب قبل الإسلام يتخبّطون في حيرة وضلالة تسودهم الفتن وتستهويهم العصبية القبلية والضغائن والأحقاد، ويصفهم الإمام **عليه السلام** عند بعثة **محمد صلى الله عليه وآله وسلم** بقوله **عليه السلام** **(بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ)**[٥]، وليس المراد بالجاهلية مضمون زمني فحسب، بل انها اعتقادات وأحكام وصفات متغلغلة في النفوس منافية للإسلام[٦]، فكان الإفلاس الروحي والفكري سمتهم السائدة [٧].

وقد جاء الإسلام لاجتثاث تلك العادات وإبدالها بقيم مناقضة، ولذا يقول الإمام **عليه السلام** في وصف حالهم قبل البعثة لينبههم إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام[١]، وما أحدثه الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** فيهم **(أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْياً فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ يَحْسِرُ الْحَسِيرُ وَيَقِفُ الْكَسِيرُ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ**

---

[٣] رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٤ : ٦٩.

[٤] ينظر : حياة محمد، محمد حسين هيكل، مطبعة مصر، ط٥، د.ت : ٥٧.

[٥] نهج البلاغة : خ٩٥، ص١٤٠.

[٦] ينظر : حضارة العرب في عصر الجاهلية : ١٦-٢٠.

[٧] ينظر : حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية، بيروت، ط٤، ١٩٩٧ : ٨٧.

[١] ينظر : شرح البحراني : ١/٢٣٤.

غَايَتَهُ إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيهِ حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ)[2].

ويذكّرهم الإمام **عليه السلام** بالمنزلة التي أكرمهم الله تعالى بها بالإسلام، والنعمة التي أتمّ الله تعالى بها دينه، وما لذلك من فضل، وليفهمهم تغير الحال عما كان عليه زمن الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، والسبب الأساس لهذا التغيير، إذ لم يقصّر رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** عن تبليغه الرسالة وأدائها، ولم يترك الله عزّ وجل كتابه ناقصاً ليكونوا له شركاء في الرأي فيجتهدون بحسب ما يرونه مناسباً، ويصف ذلك الإمام عليه السلام بقوله (أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وآله عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ وَفِيهِ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)[3]، فقد تركهم رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** وقد بلغت بهم الكرامة مبلغاً يعظمهم فيه من لا فضل لهم عليه، ويهاب سطوتهم سائر الأمم، لولا تنكّرهم لنعمة الله عزّ وجل عليهم وتسليمهم الأمور في أيدي الظّلمة، ويصف ذلك الإمام عليه السلام بقوله (وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ فَمَكَّنْتُمُ

---

[2] نهج البلاغة : خ١٠٤، ص١٥٠.

[3] م.ن : خ١٨، ص٦١.

الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْـدِيهِمْ يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ)[١].

لذا فان المسؤولية تقع –من بين من تقع عليهم– على عاتق من تخاذل عن نصرة الحق، ومن سيظّل مصرّاً على ترك الحق، ولذلك يخاطبهم الإمام **عليه السلام** بقوله (**لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِـي إِسْـرَائِيلَ وَلَعَمْـرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ**)[٢]، فالإمام **عليه السلام** يصف لهم زمان سابق ثم يعيدهم إلى زمانهم ويحذّرهم من مستقبل لاحق مبني على أساس موقفهم بازاء الحق ونصرته.

فقد كان حال المجتمع عند تولي الإمام **عليـه السـلام** الخلافة، على العكس مما أوصلهم إليه رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**، ولذا فقد أنبأهم الإمام **عليه السلام** بما سيرون من بلبلة وغربلة لهذا المجتمع لتصفية ذلك الفساد بقوله (**وَالَّذِي بَعَثَهُ بِـالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ**[٣] **بَلْبَلَةً وَلَتُغَرْبَلُنَّ**[٤] **غَرْبَلَةً وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَ أَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ وَلَيَسْبِقَنَّ سَـابِقُونَ كَـانُوا قَصَّـرُوا وَلَيُقَصِّـرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا**)[١].

ويصف الإمام **عليه السلام** سيادة الفرقة والاختلاف سيادة الفرقة والاختلاف فيما بينهم كونها سمة دالّة على عودتهم إلى المجتمع الجاهلي بعد أن جمعهم الإسلام وأزال الفوارق المؤدية لهذه الفرقة، ولم يكن الاختلاف وليد عصر الإمام **عليـه السـلام** بين أفراد عاديين منهم، مثلما لم يكن هذا الاختلاف في أمر سياسي فحسب، بل كان الأمر سابقاً لذلك

---

[١] نهج البلاغة : خ١٠٦، ص١٥٤.

[٢] م.ن : خ١٦٦، ص٢٤١.

[٣] لتبلبلّن: لتخلطن، ومنه (تبلبلت الألسن) أي اختلطت.

[٤] لتغربلّنلتميّزنّ كما يميّز الدقيق عند الغربلة من نخالته.

[١] نهج البلاغة : خ١٦، ص٥٧.

بين قضاة وإمام يقّرهم على ذلك الاختلاف، وفي أمور ومسائل دينية إذ يقول الإمام عليه السلام (تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً وَإِلَهُهُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالِاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ)[2].

لقد كان الاختلاف في مسائل عقائدية وأحكام قضائية لم يعودوا فيها إلى الإمام الحق عليه السلام، ولذا فقد عم الاختلاف عموم المجتمع وعاد الجهل إليه بتعدد الرأي واختلاف الأهواء، حتى وصل الأمر إلى انقسامهم على فرقٍ علّة، تدلي بآرائها وتتعصب كل فرقة لقائدها، و يؤكد ذلك الإمام إذ يقول (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ أَحْزَاباً مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ وَ لَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ)[3].

ولذا فقد وقف الإمام عليه السلام ناصحاً (عِبَادَ اللَّهِ لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ ، وَ لَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ[1]، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ)[2].

وكان توجه تلك الفرق توجهاً عقائدياً يجتهد ويفنّد في أمور العقيدة نفسها، ولذا كان الإمام عليه السلام يعجب من أمر هذه الفرق قائلاً (فَيَا عَجَباً وَمَا لِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ يَعْمَلُونَ فِي

---

[2] م.ن : خ١٨، ص٦٠-٦١.

[3] م.ن : خ١٩٢،ص٢٩٩.

[1] الهار : المتهدّم أو المشرف على الانهدام.

[2] نهج البلاغة : خ١٠٥، ص١٥٢.

الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ)[٣].

قد سارت هذه الفرق في البدع، وحاولت القضاء على السنّة بابتداع أحاديث جديدة لرسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** تعظّم صغيراً أو تصغّر عظيماً [٤]، أما جهلاً و توهماً لبعدهم عن النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** أو نسياناً أو تعمد الكذب عليه بعد وفاته، كما تعمدوا في حياته[٥]، لتضليل ذوي العقول الساذجة والنفوس الضعيفة.

وقد وصل الأمر إلى كثرة الشبهات التي أشبهت الحق بالباطل، بتورط أهل الضلال في تحليل ما حرم الله عزّ وجل، حتى أصبحوا **(يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ)**[٦]، وهذا ما جمعهم مع أهل العصر السابق للإسلام ووضع مجتمعهم بميزان واحد يقول فيه الإمام **عليه السلام (أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ)**[١]، فقد عادت الشبهات التي أرسل الله تعالى رسوله **صلى الله عليه وآله وسلم** بالحق لإزاحتها.

ويضعهم الإمام **عليه السلام** أمام السبب الرئيس لهذا الاختلاف فقد **(بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ وَلِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ**

---

[٣] م.ن : خ٨٨، ص١٢١.

[٤] ينظر : الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي : ٦٠.

[٥] ينظر : نهج البلاغة : خ٢١٠، ص٣٢٥-٣٢٧.

[٦] م.ن : خ١٠٦، ص١٥٤.

[١] نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٢٩٨-٢٩٩.

قُدْرَتِهِ وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ[٢] وَاحْتَصَدَ مَـنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ)[٣]، وقد ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم القران وفيه تبيان كل شيء ويصدق بعضه بعضاً إذ لا اختلاف فيه، وهو الذي يمكن عدّه "أصدق مرجع"[٤] للسيرة النبوية الشريفة، إلا (إِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيـقٌ لَا تَفْنَـى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ)[٥]، وقد جعل معه الإمام عليه السلام ينطق به، ويفهم ما فيه، ويعلم تأويله وباطنه، ويقودهم مؤتّماً به، فالكتاب (قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ)[٦].

ولذا كان تشديد الإمام عليه السلام على القران والناطق به بقوله (ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَدَوَاءَ دَائِكُمْ وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ)[٧]، فالإمام عليه السـلام "هو لسان الكتاب والسنّة" [١]، ويصف الإمام عليه السلام ذلك بقوله (فَـالْقُرْآنُ آمِـرٌ زَاجِـرٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ وَارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ أَتَمَّ نُورَهُ وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ وَقَبَضَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله وَقَدْ فَـرَغَ إِلَـى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ)[٢].

وقد أظهرت الفرقة والاختلاف ما في نفوس المنافقين وفضحت ما كان بداخلهم من حسد وحقد وبغض لحامل راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم [٣]، وقاتل أعدائه

---

[٢] المثلات : العقوبات.

[٣] نهج البلاغة : خ١٤٧، ص٢٠٤.

[٤] حياة محمد : ٢٣.

[٥] نهج البلاغة : خ١٨، ص٦١.

[٦] م.ن : خ٨٧، ص١١٩.

[٧] م.ن : خ١٥٨، ص٢٢٣.

[١] شرح البحراني : ٦٤٣/١.

[٢] نهج البلاغة : خ١٨٣، ص٢٦٥.

[٣] ينظر : الإمام علي بن أبي طالب، عبد الفتاح عبد المقصود، مكتبة العرفان، بيروت، د.ت : ١٤٨/١.

(٤)، المتفّرد بالسمات والفضائل والكرامات، إذ ان " كل دم أراقه رسول الله بسيف علـي وبسيف غيره، فان العرب بعد وفاته عصبت تلك الدماء بعلي بن أبي طالـب وحده" (٥).

ولذا فقد كان الإمام عليه السلام يحذّرهم من التكبّر على طاعته بقوله (لَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ وَأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)(٦).

ويدعوهم لإطفاء نيران تلك العصبية قائلاً (فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ)(٧)، التي وضع أساسها إبليس (فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ وَنَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ)(١).

ومن هنا كان الإعلان عن وجود طريقين هما (حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَلِكُلٍّ أَهْلٌ)(٢)، وليس بينهما شيء (٣)، فإما حق واتباع شريعة أو باطل بابتداع بدعة ولذا يقول الإمام عليه السلام (وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُتَّبِعٌ شِرْعَةً وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ)(٤).

---

(٤) ينظر : نهج البلاغة : كتاب ٦٤، ص٤٥٤-٤٥٥.

(٥) شرح ابن أبي حديد : مجلد ٣، ١٣/٣٠.

(٦) نهج البلاغة : خ١٩١، ص٢٨٩.

(٧) م.ن : خ١٩٢، ص٢٨٨.

(١) نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٢٨٦.

(٢) م.ن : خ١٦، ص٥٨.

(٣) ينظر : م.ن : كتاب٦٥، ص٤٥٦.

(٤) م.ن : خ ١٧٦، ص٢٥٤.

فالحق شريعة نزل بها كتاب الله وسنّها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والباطل آراء اجتهدوا بها وأحكام ابتدعوها ولا يمكن معرفة الحق إلا بعد تشخيص الباطل وتزييف أباطيله وتفنيده، ولذلك يقول الإمام عليه السلام (اعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ)[٥].

والحق رفيق مصاحب للإمام عليه السلام [١]، وراية خلّفها الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بيد وصيه وخليفته (مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ دَلِيلُهَا مَكِيثُ [٢]الْكَلَامِ بَطِيءُ الْقِيَامِ سَرِيعٌ إِذَا قَامَ)[٣].

لقد وقف الإمام عليه السلام بازاء أوضاعهم يصف الحق ويعمل به، ويرفع رايته عالياً ليهتدي من يهتدي ويضل من ضلّ، يذكرهم ويحذرهم، يأمرهم وينهاهم لحملهم (عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ)[٤]، دون إجبار أو إكراه على بيعة أو طاعة أمر، إذ لم يترك الله سبحانه وتعالى الحرية لهم باختيار طريق الحق أو الباطل ونيل الجزاء عليه في الآخرة ليجبرهم الإمام عليه السلام على اختيار أحدهما وهو الذي لا يتحرك إلا بطاعة الله، ولذا تحمل

---

[٥] م.ن : خ١٤٦، ص٢٠٦.

[١] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (علي مع الحق والحق مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة). المناقب : ١٧٧.

[٢] مكيث ززين في قوله لا يبادر به من غير رويّة.

[٣] نهج البلاغة : خ١٠٠، ص١٤٦.

[٤] م.ن : خ١١٩، ص١٧٦.

اللوم الذي واجهه منهم لكونه لم يجبرهم على أمر الحكومة وترك لهم الخيار فيها فيصف الأمر بقوله **عليه السلام** (**أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ لَكَانَتِ الْوُثْقَى**)(٥)، حتى كانت مخالفتهم لأوامره ندماً تجّرعوا مراراته في حياة الإمام **عليه السلام**، ونتائج حصدوها بعد وفاته وخلو مكانه(٦).

ولذا فقد كان تولي الإمام **عليه السلام** زمام هذا الأمر وعمله بالحق والعدل تغيير جذري وثورة شبيهة بثورة النبي **محمد صلى** الله **عليه وآله وسلم**إن لم تكن امتداداً لها، فالتكذيب الذي واجهه النبي **محمد صلى** الله **عليه وآله وسلم** عند أول دعوته، واجهه الإمام **عليه السلام** ولكن بعد إعلان سياسته(١).

كذلك فالشك الذي واجهه النبي **محمد صلى** الله **عليه وآله وسلم** واجهه الإمام **عليه السلام** بعد تخاذلهم(٢)، واتهام الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم** بالسحر والكهانة (٣)، واجهه الإمام **عليه السلام** (٤)، والإجحاف الذي لاقاه النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** منهم لاقاه الإمام **عليه السلام** (٥).

وعلى الرغم مما وفره تسلّمه لزمام الأمور -بتوليه الخلافة بشكل رسمي- من إطلاق صوته لإعلان الحق و الدعوة إليه، فإنه لم يكن قوة جذب إليه، بل العكس لأنه لم يكن

---

(٥) م.ن : خ١٢١، ص١٧٧.

(٦) ينظر : م.ن : خ١٤٩، ص٢٠٨.

(١) ينظر : نهج البلاغة : خ٧١، ص١٠٠.

(٢) ينظر : م.ن : خ٥٥، ص٩١.

(٣) ينظر : م.ن : خ١٩٢، ص٣٠١.

(٤) ينظر : أصول الكافي : ١/٣٨٦-٣٨٧.

(٥) عند تقاضي الحكمين رفض عمرو بن العاص كتابة أمير المؤمنين مع اسمه، فقال الإمام عليه السلام (الله اكبر، سنّة بسنّة، ومثل بمثل، والله إني لكاتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوم الحديبية، إذ قالوا : لست رسول الله، ولا نشهد لك به، ولكن اكتب اسمك واسم ابيك، فكتبه). الجمل وصفين والنهروان : ٣٧٩.

يريد جذبهم إليه وطاعتهم له، فالجذب للحق و الطاعة لله تعالى، ولذا فقد كان سير الإمام عليه السلام بالحق وحكمه بالعدل كان سلاحاً ذا حدين فهو نصرة للحق و فرز للباطل عنه وتثبيت للإسلام من جانب، إلا انه كان سبباً في تأليب الناس من أهل الباطل عليه وذهابهم إلى التزام صف معاوية من جانب آخر، ولذلك فان "آكد الأسباب في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال، فانه لم يكن يفضل شريفاً على مشروف، ولا عربياً على أعجمي، ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحداً إلى نفسه، وكان معاوية بخلاف ذلك فترك الناس علياً والتحقوا بمعاوية" [٦].

وقد كان سيره بالحق كشفاً للمنافقين والذين في قلوبهم مرض، ممن كانوا خطراً على الإسلام، وأرادوا الغدر به في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فنبه إلى ذلك القران في سورة كاملة نزلت فيهم وهي سورة المنافقين، وكشفهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للخاصة من أصحابه دون العامة عند تآمرهم عليه إلا انه لم يقض عليهم لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون العداء [١]، فكان تشديد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على محبة الإمام عليه السلام [٢] بوصفها فرزاً للمؤمن من المنافق[٣].

---

[٦] شرح ابن أبي حديد : مجلد١، ٢ /١٩٧.

[١] يجيب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حذيفة بن اليمان الذي أراه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم المنافقين الذين أرادوا تنفير ناقة رسول الله بعد عودته من آخر حجة له فسأله عن سبب سكوته عنهم مع علمه بهم، فقال صلى الله عليه واله وسلم (ان الله امرني ان اعرض عنهم فأكره ان يقول الناس انه دعا أناساً من قومه وأصحابه إلى دينه، فاستجابوا له ، فقاتل بهم حتى إذا ظهر على عدوه اقبل عليهم فقتلهم). معادن الحكمة : ٧٨/١-٧٩.

[٢] شرح ابن أبي حديد : مجلد ١، ٨٣/٤.

[٣] قال الإمام عليه السلام (لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما ابغضني، ولو صببت الدنيا بجمّاتها على المنافق أن يحبني ما احبني، وذلك انه قضي فانقضى على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم، انه قال : يا علي، لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق). نهج البلاغة : قول٤٥، ص٤٧٧.

ولذا فقد حذّر رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** الإمام **عليه السلام** من المنافقين [٤]، وأنبأه بغدرهم به، وكان يبكي للضغائن لحال أهل بيته **عليهم السلام** لما يراه من ضغائن كامنة في صدور المنافقين.

أما بعد وفاة النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** فقد زاد عددهم واستفحل خطرهم فكانت عدالة الإمام **عليه السلام** بقراً للباطل وتخليصاً للحق منه[٥]، وإظهاراً للمنافقين وكشفاً لنياتهم ، فكان ناكثو بيعة الإمام **عليه السلام** الفئة الأولى، والمارقون عن الدين الخارج عن القيّم به الفئة الثانية، والفئة الباغية من القاسطين بخدعة المصاحف ثم قضية التحكيم الفئة الثالثة [١]، فيقطع الإمام **عليه السلام** بقتالهم دابر الفتنة ويقضي عليها بقوله **(أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكْثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ)**[٢].

لقد كان الإمام **عليه السلام** ينصحهم ويعظهم دون أن يكل أو يتعب ويترك لهم حرية السير، ولم يكن ليسبق العدو بحرب ولا يباغته بأمر، بل كان يحاول السير بكل طريق هداية حتى وإن أثّر ذلك في طاعتهم له، وأدى إلى الشك في شجاعته، رجاء أن يعود عائد أو يهتدي مهتد فيقول **(فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَتَعْشُوَ**[٣]**إِلَى ضَوْئِي وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا)**[٤]، ولذا يرد على من شكّ فيه بالقول **(لِلَّهِ**

---

[٤] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً، أما المؤمن فيمنعه الله بلسانه، وأما المشرك فيمنعه الله بشركه، ولكني أخاف عليكم كل منافق الجنان عالم اللسان يقولون ما يعرفون ويعملون ما تنكرون). م.ن : كتاب ٢٧، ص٣٨٥.

[٥] م.ن : خ١٠٤، ص١٥٠.

[١] ينظر : الطبقات الكبرى : ٣/٣١-٣٣.

[٢] نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٣٠٠.

[٣] تعشو إلى ضوئي : تستدل عليه ببصر ضعيف.

[٤] نهج البلاغة : خ٥٥، ص٩١.

أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ[٥] عَلَى السِّتِّينَ وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ)[٦]، ولذا يرد على من شكّ في شجاعته بالقول (لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ)[٧].

وهو الذي أعجز بسيفه وشجاعته أهل الباطل قبل ان يعجزهم بفصاحته، "وإنما قال أعداؤه : لا رأي له، لأنه كان متقيد بالشريعة لا يرى خلافها، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه" [١]، ويكثر تأليبهم وتأنيبهم وجمعهم وتحريضهم يحدوه أمل بهدايتهم إلى طريق الحق والصواب[٢]، فإن لم يجد (فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ)[٣]، ومن هنا نرى المرارة التي ترد في خطب الإمام عندما يراهم منكرين للحق غير سائرين في طريقه تحت رايته، لان هدايتهم للحق مراده وضلالتهم عنه سبب حزنه، فقد كانت الفتنة منزلةً في وصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا رِّدة [٤].

ومن هنا فقد كانت حروب الإمام عليه السلام حروباً عقائدية [٥]، إذ لم تكن بين مسلمين ومشركين -كما كانت زمن النبي صلى الله عليه وآله و سلم- بل داخل

---

[٥] ذّرفت : زدت عليها.

[٦] نهج البلاغة : خ٢٧، ص٧١.

[٧] م.ن : خ٢٧، ص٧١.

[١] شرح ابن أبي حديد : مجلد١، ٢٠/١.

[٢] ينظر : نهج البلاغة : كتاب ٦٢، ص٤٥٢.

[٣] م.ن : خ١٦٨، ص٢٤٣.

[٤] ينظر : شرح البحراني : ٦٣٨/١-٦٣٩.

[٥] يروى انه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل فقال له كبّر القوم وكبرنا وهلّل القوم وهللنا وصلى القوم وصلينا فعلام تقاتلهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام على ما انزل الله جل ذكره في كتابه فقال يا أمير المؤمنين ليس كل ما انزل الله في كتابه اعلمه فعلّمنيه، فقال علي عليه السلام ما انزل الله في سورة البقرة فقال يا أمير المؤمنين ليس كل ما انزل الله في سورة البقرة اعلمه فعلّمنيه، فقال علي عليه السلام هذه الآية ((تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما

الإسلام نفسه، ولا سيما الخوارج الذين أنبأ عنهم رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** مسبقاً [٦]، ويسميهم الإمام **عليهم السلام** بـ (أهل القبلة)[٧]، فهذه الفئات التي قاتلها الإمام **عليه السلام** يجمعها الإسلام بقول لا اله إلا الله والاعتراف بنبوة **محمد صلى** الله **عليه وآله وسلم** ظاهراً.

ولم يكن وصف مخاطبي الإمام **عليه السلام**أو نقد مجتمعهم هدفاً لخطاب الإمام **عليه السلام**، بل كان توجهه الرئيس لإصلاح المجتمع بأسره، فكان خطابه مرآة ناطقة لذلك المجتمع، ولاسيما ان اغلب خطاب الإمام لمخاطبيه في زمن تالٍ لوقوع الأحداث لا سابق له، ولم تكن اغلب السمات الواردة في خطاب الإمام **عليه السلام** خاصة بفئة معيّنة أو وليدة سنوات حكمه الخمس، بل كانت إرثاً ثقيلاً خلّفته العهود السابقة وسمة عامة لا يخرج عنها إلا القليل من خاصّة أنصاره، فكان الابتلاء بطاعة الإمام **عليه السلام** تمحيصاً وفرزاً للحق من الباطل.

اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد)) فنحن الذين آمنا وهم الذين كفروا فقال الرجل كفر القوم ورب الكعبة ثم حمل فقاتل حتى قتل). الاحتجاج، الطبرسي، الأعلمي، بيروت، د.ت : ١/١٠٤، (سورة البقرة/٢٥٣).

[٦] ينظر : الكامل في التاريخ : ٢/١٦٢.

[٧] ينظر : نهج البلاغة : خ١٧٣، ص٢٤٨. وأهل القبلة : (من يعتقد بالله وصدق ما جاء به محمد صلى الله عليه واله وسلم ويصلي معنا إلى قبلة واحدة).

الفصل الثاني

الخطاب الرسالي

مدخل:الإمامة نظام محكم

المبحث الأول:أجزاء الخطاب

المبحث الثاني :أنواع الخطاب

مدخل: الإمامة نظام محكم

لقد خص الله سبحانه وتعالى الإمامة بجعلها نظاماً محكماً يجمع الخلق ويزيل الاختلاف بينهم ويوحد كلمتهم بتثبيت أركان التوحيد ليبقي راية الإسلام عالية.

فقد استطاع الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** أن يشيد بناء الإسلام ويجعل صرحه عالياً يهابه كل ذي صولة ويخضع له كل ذي سلطان، فالإسلام (**لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ وَلَا انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ وَلَا عَفَاءَ**[1] **لِشَرَائِعِهِ وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ وَلَا وُعُوثَةَ**[2] **لِسُهُولَتِهِ وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ وَلَا عَصَلَ**[3] **فِي عُودِهِ وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا**[4] **وَثَبَّتَ لَهَا آسَاسَهَا وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا وَمَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا. جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ وَ ذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ وَ سَنَامَ طَاعَتِهِ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ رَفِيعُ الْبُنْيَانِ**)[5].

وكان الإمام **عليه السلام** الأساس الذي شُيِّد عليه الإسلام وبسيفه قام وبنصرته لرسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** انتشر وعم حتى علت رايته فلولا سيف علي **عليه السلام** وثباته في حروب الجهاد (**مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ وَلَا اخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ**)[6].

وقد كان تعيين الإمام **علي عليه السلام** خليفة لرسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** تثبيتاً لنظام يجمع المسلمين في جماعة واحدة [1]، ولان الرسالة هي الخاتمة والاختلاف

---

[1] عفاء: اضمحلال ودروس.

[2] وُعوثة: رخاوة في السهل بها تغوص الأقدام عند السير فيعسر المشي فيها.

[3] عَصَل: اعوجاج يصعب تقويمه.

[4] أسناخها: أصولها.

[5] نهج البلاغة: خ١٩٨، ص٣١٤.

[6] م.ن: خ٥٦، ص٩٢.

سنة قائمة بين الناس إلى نهاية العالم لاختلاف المنشأ والطينة [٢]، ولذا فقد أوصى رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** بلزوم الجماعة قائلاً (اعلموا أن القلوب لا تغل على ثلاث: إخلاص العمل لله، ومناصحة أولي الامر، وعلى لزوم جماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من ورائهم) [٣]، مثلما أوصى بالتمسك بأهل بيته إذ قال النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** (إنما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق) [٤].

فالإمام **عليه السلام** يجمع المسلمين كسلك ناظم يجمع حبات الخرز وينظمها في عقد واحد، ولذا يصف الإمام **عليه السلام** مقام الإمام بالقول (**مَكَانُ الْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ مَكَانُ النِّظَامِ مِنَ الْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ فَإِنِ انْقَطَعَ النِّظَامُ تَفَرَّقَ الْخَرَزُ وَ ذَهَبَ ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً**) [٥].

ولأهمية ذلك للأمة الإسلامية لم يترك النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** أمته في اختلاف ولم يفارقها إلا بعد أخذ البيعة بحضور الجميع بعد توثقهم أن لا أحد ينفع لقيادة الأمة إلا من كان سبّاقاً للمكارم فيها، فقد جعل الله تعالى الإمامة (**نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ**) [١]؛ ولذا فقد كان سلب حق الإمام تنكراً لحق الأمة بأسرها بنقل البناء عن

---

[١] لا يراد بالجماعة هنا الكثرة، فما اتباع الكثرة إلا مورد للمهالك، ولذا قال تعالى ((وإن تطع اكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن إن هم إلا يخرصون))(سورة الأنعام/١١٦)، ولذلك أوصى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم باتباعها قائلاً (إن بني إسرائيل افترقت إلى إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنين وسبعون فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)، وإنما المراد بالجماعة جماعة أهل البيت عليهم السلام، وهم أهل العلم. ينظر : دليل المتحيرين في بيان الناجين، علي آل محسن، دار الصفوة، بيروت، ط١، ١٩٩٤ : ١٨١.

[٢] ينظر : نهج البلاغة : خ٢٣٤، ص٣٥٤.

[٣] سنن الدارمي : ٧٤/١.

[٤] تاريخ بغداد، احمد ابن الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت : ١٩/١٢.

[٥] نهج البلاغة : خ١٤٦، ص٢٠٣.

[١] نهج البلاغة : خ٢١٦، ص٣٣٣.

أساسه الذي أقيم عليه، وهو الإمام ومن بعده أهل بيت العصمة **عليهم السلام** وإخلالاً بالنظام الجامع لهم.

ولذا يصف الإمام **عليه السلام** ما جرى للقوم بعد وفاة رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** (**حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وآله رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ**[٢] **وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ**)[٣]، فالرحم أهل بيت رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** الذين خلّفهم مع كتاب الله تعالى قائلاً (خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض)[٤]، ومن هنا تأتي أهمية بناء الخطاب عند الإمام **علي عليه السلام**.

ولذا فان بناء خطاب الإمام **عليه السلام** بناء خطابه الرسالي بأقسامه وموضوعاته دليل على ذلك النظام المحكم الذي جعله الله حبلاً متيناً لتوحيد الجماعة بالتمسك بطاعة الإمام **عليه السلام**[٥]؛ فالمتعلّق بالحبل ينجو مما يحذره ويخافه[٦]، وكذلك المتمسك بالإمام وأهل بيته **عليهم السلام**، ولذلك جعل الله الإمام وأهل بيته **عليهم السلام** وأساساً تبنى عليه أركان الطاعة، فهم (**الحجة البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى**)[١]، ومن هنا يتوجه الإمام **عليه السلام** بدعوتهم لالتزام الجماعة بالقول (**خَيْرُ**

---

[٢] الولائج : جمع وليجة، وهي البطانة وخاصة الرجل من أهله وعشيرته ويراد بها دخائل المكر والخديعة.

[٣] نهج البلاغة : خ١٥٠، ص٢٠٩.

[٤] شرح ابن أبي حديد : مجلد ٣، ٩/٦٠.

[٥] إذ قال تعالى ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)) (سورة آل عمران/١٠٣).

[٦] ينظر : تلخيص البيان في مجازات القران : ١٢٤.

[١] أصول الكافي : ١/٢٢١.

النَّاسِ فِيَّ حَالًا النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ وَالْزَمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّـهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ)[٢].

---

[٢] نهج البلاغة : خ١٢٧، ص١٨٤.

أجزاء الخطاب

عند دراسة خطاب الإمام **عليه السلام** [1]–ولا سيما ما ورد منه خطباً كاملة– نجد انه ينقسم على ثلاثة أقسام وهي (**الابتداء، الغرض، الخاتمة**)، مع **المحاججة**، التي نجدها مقتطعة في كلام أو مقترنة بالغرض الموجب للخطاب.

ولم يكن الإمام **عليه السلام** يقصد في خطابه هذا التجزئة ولا يريد به التقسيم، ولم يكن مراده أن يسنّ للخطباء من بعده نهجاً يسيرون عليه، فقد كان خطاب الإمام **عليه السلام** خطاباً ارتجالياً إلا أنه كان فيضاً من بحر علم الإمام **عليه السلام** ونظامه المتفرد.

إلاّ اننا لا نعجب إذا ما كان التقسيم للخطاب مراد الإمام **عليه السلام**، ففي خطابه تقسيمات علّة، فقد خلق الله سبحانه وتعالى الخلق جميعاً، وقسّم بينهم (**مَعَايِشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ**)[2]، كما انه سبحانه وتعالى (**قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَعَدَدَ أَنْفُسِهِمْ وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ**)[3]،وجعل كل خلق فيه مكّوناً من أجزاء، فالطاووس مثلاً (**أَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ**)[4]، وفي كل ذلك فجميع مخلوقاته يسيّرها في نظام واحد من (**لَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ**)[5]، ينظمها ويجمعها كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

---

[1] حاولنا أن نستثني هنا ما كان تحت عنوان (كلام) عند دراسة ابتداء الخطاب وخاتمته.

[2] نهج البلاغة : خ١٩٣، ص٣٠٣.

[3] م.ن : خ٩٠، ص١٢٣.

[4] م.ن : خ١٦٥، ص٢٣٨.

[5] م.ن : خ١٨٦، ص٢٧٤.

ولذا يمكننا اتخاذ تلك التقسيمات في خطاب الإمام **عليه السلام** دليلاً على أجزاء خطابه التي يسودها نظام واحد، ويجمعها الطابع الديني الذي يوّحد أجزاء الخطاب، ويضعها في نسق واحد يجعل خطابه نَفَساً واحداً لا يخّل به اقتطاع[1]، لان الإمام **عليه السلام** هو القطب المنظّم لأجزاء الخطاب[2].

---

[1] ان اقتطاعات الشريف الرضي من خطب الإمام، وجعل بعضها معنوناً بكلام لم تخل بخطاب الإمام عليه السلام، إلا أننا حاولنا ان نستعين في دراسة أجزاء الخطاب بما ورد من خطابه معنوناً بـ (خطبة).

[2] اتخذ الخطباء من بعد الإمام عليه السلام تقسيمات خطابه نهجاً، إذ لم يصل من خطب الجاهلية إلا شذرات متفرقة –لو سلّمنا بوجود خطب فيها–، ولم يجمع الخطابة في فقرات أو يوجد بناءها إلا النبي صلى الله عليه واله وسلم الذي كان خطابه مفتتحاً للخطابة بوجهها الصحيح، فكان خطابه صلى الله عليه واله وسلم يرد بلغة تشريعية، وفي أسلوبه تبسيط يتلاءم مع عقول مخاطبيه التي يحاول ان يرتقي بها إلى الإيمان بالله تعالى. ينظر : فن الخطابة وتطوره عند العرب : ٨٧.

أما من جاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان خطابه تكرارا لبعض ما جاء في خطب النبي صلى الله عليه واله وسلم ومحاولة للسير على منوال خطابه. ولذا كان خطاب الإمام عليه السلام مفتتحاً لنهج أدبي سار عليه الخطبء من بعده وسنن اتبعها الأدباء لكونه الأكثر تأثيراً والأقرب عهداً من انتشار التدوين، وإن لم تشير الكتب إلى ذلك لأغراض معروفة. بل ان الأدباء أنفسهم لم يكونوا يبدون ذلك إلا ما ندر خوفاً من السلطة، فغن ذكر كان مكيفاً بحسب أهوائهم. كما قال عبد الحميد عن كونه حفظ سبعين خطبة للإمام عليه السلام ولكن بلفظ –يتحرج من ذكره– ملائم لما كانت تطلقه السلطة الأموية. ينظر : شرح ابن أبي حديد : مجلد١، ١٩/١.

ابتداء الخطاب

ويمثل مقدمة الخطاب وما يفتتح به الإمام **عليه السلام** خطابه الرسالي، فالمقدمة "بمثابة الأساس من البناء والرأس من الأعضاء"[1]. وقد خصّ الإمام **عليه السلام** ابتداء خطابه بذكر الله والاستعانة به، فقد شدّد الإمام **عليه السلام** على الابتداء بالاستعانة بالله[2]، الذي **(أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً)**[3]، وهو العالم بالأشياء **(قَبْلَ ابْتِدَائِهَا مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا[4] وَأَحْنَائِهَا[5])**[6].

لذا كان الإمام **عليه السلام** يفتتح خطابه بحمد الله والثناء عليه، الذي **(جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ وَدَلِيلًا عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ)**[7]، وسيراً على نهج النبي **صلى الله عليه وآله وسلم**[8]، الذي كان يفتتح خطابه "بالحمدلة والصلاة والاستغفار والشكر" [9].

وإذا ما استثنينا ما كان من خطاب الإمام **عليه السلام** كلاماً [10]، نجد أن هذا المفتتح قد ساد في اغلب خطب الإمام **عليه السلام** إفراداً لله تعالى بالتوحيد الخالص،

---

[1] علم الخطابة : ٢/٨٦.

[2] يبدأ الإمام بتعليم ابنه الحسن عليهما السلام بتعليمه كتاب الله عز وجل، ويحثه على ابتداء المسألة بالاستعانة بالله والرغبة إليه في توفيقه. ينظر : نهج البلاغة : كتاب٣١، ص٣٩٥-٣٩٦.

[3] م.ن : خ١، ص٤٠.

[4] قرائنها : جمع قرون وهي النفس.

[5] أحنائها : جمع حنو وهو الجانب.

[6] نهج البلاغة : خ١، ص٤٠.

[7] م.ن : خ١٥٧، ص٢٢١.

[8] ينظر : البيان والتبيين: ١/٣٠٢.

[9] فن الخطابة وتطوره عند العرب : ٨٨.

[10] لم نذكر في ابتداء الخطاب ما ذكره الشريف الرضي معنوناً بكلام، حرصاً على انتقاء ما كان موجهاً إلى جمهور مخاطبيه، ولو عدنا إلى هذا الكلام لوجدنا فيه افتتاحاً بآيات قرانية، ثم يبدأ بتوضيحها. ينظر : نهج البلاغة : خ(٢٢١-٢٢٢-٢٢٣)، ص٣٣٨ وما بعدها.

وإظهاراً للعبودية المطلقة لله عز وجل، والإيمان بانه عز وجل الأول قبل خلق الخلق، والعظيم الذي لا يمكن إدراك كنهه، والمتفرد بصفات يعجز عن إدراكها الخلق جميعاً.

لقد بلغ الإمام **عليه السلام** بإيمانه بالله تعالى أعلى درجات اليقين واستشعاره بنعمة الله عز وجل وتفرده بالعطاء لخلقه حتى صار يعدل بمدح الخالق والثناء عليه عن مدح المربوبين [1].

وقد كان افتتاح الإمام **عليه السلام** خطابه بحمد الله والثناء عليه إبعاداً للغلو الذي كان يقابله به بعض محا طبيه بازاء علمه الغزير ومنطقه المعجز من جانب، وإبعاداً للتجاهل الذي كان يقابله به بعضهم فيساويه بمناوئيه من جانب آخر، تشديداً على كونه لا ينطق إلا بطاعة الله تعالى، ولحثّهم على طاعة الله تعالى المتجسّدة بطاعته.

ولذلك نجد الإمام **عليه السلام** يثّني في خطابه بالصلاة على النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** بعد توحيد الله جلّ ذكره والثناء عليه، وقبل كلام الإمام **عليه السلام** تشديداً على المرتبة من جانب، وإبعاداً للغلّو الذي كان يقابل به من بعضهم بازاء علمه الغزير بما يرفعه إلى رتبة النبوة[2]، فالإمامة تالية للنبوة، وامتداداً لها، ونهلاً منها[3]، وفي هذا المفتتح تشديد على المهمة الرسالية وإزالة لجهل بعضهم لها وتذكير لمتجاهليها.

وقد يكون لهذا الافتتاح عند الإمام بعد آخر يتصل بمن يرسل إليهم الخطاب، فالإمام يحاول تبصرة القلوب بذكر الله سبحانه لتطمئن، وتهدئة ثورة النفوس وكبح جماحها بتذكيرها بالخالق والعبودية له، لتلين تلك القلوب لتقبل وعظ الإمام **عليه السلام**، و لإنبات بذور الإيمان التي زرعها النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** بسقيها بماء الولاية، بعد أن اختلفت مياه السقيا إذ لا يمكن غرس تلك البذور في ارض قاسية، لان القلب هو مكان الغرس ومنبت الإيمان ومستقّره[1].

---

(1) ينظر : نهج البلاغة : خ٩١، ص١٣٦.

(2) ينظر : أصول الكافي : ١١٢/١.

(3) ينظر : نهج البلاغة : خ١٢٨، ص١٨٦.

(1) يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (واعلم أنّ لكلّ عمل نباتاً وكلّ نبات لا غنى به عن الماء والمياه مختلفة فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته وما خبث سقيه خبث غرسه وأمرّت ثمرته). نهج البلاغة : خ١٥٤، ص٢١٦.

ومن هنا نجد تنويع الإمام عليه السلام في مفتتح خطاباته تثبيتاً لعقيدتهم التي زعزعتها في قلوبهم الشكوك التي أثارها أهل الديانات الأخرى، بتساؤلات قوبلت بجهل العرب وابتعادهم عن مصدر العلم الحقيقي وغذّتها سياسات معيّنة، وتفنيداً للعقائد الباطلة التي إشاعتها مزاعمهم.

وقد كان هذا الافتتاح هو الأنسب للطابع الديني الذي يسود خطابات الإمام عليه السلام وهو دليل يشهد للإمام بعلمه المتفرد الذي لا يدانيه فيه أحد وحجته التي لا ترد، وعلمه الإلهي الدال على معرفته بالخالق وطاعته المطلقة له[٢].

وعلى الرغم من كون اغلب خطابات الإمام عليه السلام مفتتحة بحمد الله، إلا انه كان ينوع ذلك الحمد، بما يتصل بالموضوع نفسه، لا لإبعاد الملل عن مخا طبيه، بل لتهيئة قلوبهم لسماع ما يريد قوله، وتكييف ذلك الابتداء بحسب الموضوع الذي يريد طرقه من جانب -وإن كان الهدف والطابع موحداً لها-، وبحسب صفاء نفوس مخا طبيه من جانب آخر.

يستوحي الإمام عليه السلام ابتداءات خطابه من حال مخاطبيه والظروف المحيطة بهم، ولذلك اثر كبير في هداية نفوسهم، فكلما كانت مقدمة الخطاب مستوحاة من حال الحفل وظروف الجمع أحدثت أثراً عميقاً في النفس [٣].

ويمتد مثل هذا التنويع في الخطاب وتكييفه ليتناسب مع طول مقدمات الخطاب وقصرها، بحسب طول خطابه عليه السلام وقصره، على أن ذلك لا يلتزم عند الإمام عليه السلام لان الهدف الذي يدفعه للقول والذي يستمده من أحوال مخاطبيه وما يجده فيهم هو الذي يتحكم أيضاً في طول الابتداء وقصره.

فقد يطيل في خطبة طويلة كخطبة الأشباح[١]، حين يرى السائل جاهلاً بربه ويطلب منه وصفه، فيطيل في حمد الله وينوع في وصف قدرته قبل توجيه الخطاب لمخاطبه

---

[٢] ينظر : م.ن : خ١٠٩، ص١٥٨.

[٣] ينظر : فن الخطابة : ١٢٨.

[١] ينظر : نهج البلاغة : خ٩١، ص١٢٤-١٣٦.

للتعمق في الجواب ورد وتفنيد العقائد الباطلة التي أثرت فيهم وتثبيت عقيدة التوحيد ، في حين انه يجعل ابتداء خطاب آخر قصيراً في خطاب ينّزه فيه الخالق عزّ وجل عن سائر خلقه، ولينبّـه مخاطبيه في صدر الخطاب بإجمال ما سيقول فيه[٢]، ثم الدخول في غرض الخطاب الأساس وهو معالجة سمة الكبر التي كانت معصيتهم للإمام **عليه السلام** وابتعادهم عن طاعته دليلاً عليها [٣].

ويطيل الإمام **عليه السلام** ويقصّر في خطاباته بحسب حال مخاطبيه وما يرى من قلوبهم، فإن رأى منهم إقبالاً أطال في الابتداء محاولاً تجلية تلك القلوب لسماع ما في الخطاب، فإن رأى منهم إدباراً اكتفى بكلمات يفتتح بها خطابه، فلا مجال لإطالة الحمد مع ما يجد في قلوبهم من إعراض[٤] –وإن كان إعراضهم عن سماع خطاب الإمام **عليه السلام** إعراضاً عن سماع بيان الله ومواعظه ونصحه–.

ويطيل الإمام **عليه السلام** في مقدمته ويقصّرها بحسب الموضوع الذي يريد أن يتحدث به فيقصر في الخطب الجلل[٥]، وكذلك عند المواقف المحرجة في سوح الجهاد أو عند التوجه لها [٦]؛ حيث يكون الإسراع همّه فيها.

وقد يبدأ الإمام عليه السلام خطابه بافتتاح بسيط دال على ما سيحويه الخطاب من معصية مخاطبيه[١]، أو اختصار لذلك الافتتاح عند ذكر الفتن التي لم يجر إليها سوى معصيتهم للخالق [٢].

---

[٢] ينظر : شرح البحراني : ٢/٢٣٢.

[٣] ينظر : نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٢٨٥-٣٠٢.

[٤] يقول الإمام عليه السلام إن للقلوب شهوة وإقبالاً وادباراً ، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها، فإن القلب إذا اكره عمي). م.ن : قول ١٩٣، ص٥٠٣.

[٥] ينظر : م.ن : خ٣٥، ص٧٩.

[٦] ينظر : م.ن : خ٤٨، ص٨٧.

[١] ينظر : نهج البلاغة : خ١٨٠، ص٢٥٨.

[٢] ينظر : م.ن : خ٩٣، ص١٣٧.

وغالباً ما يكون مفتتح خطاب الإمام **عليه السلام** إيجازاً للموضوع الذي يريد أن يطرقه ليدل صدر الخطبة عليه[٣]، فيكون بمثابة "الإشارة والإيذان بالغرض المقصود"[٤] من جانب، ومرتبطاً به من جانب آخر[٥].

وقد نجد عند الإمام **عليه السلام** خطباً مقتطعة من الافتتاح[٦]، إذ يبتدئ فيها خطابه مباشرة [٧]، إلا أن ما لم يذكر له افتتاح، يمكن معرفته من المدخل الذي يستهل به خطابه، إما بقاعدة توجز الموضوع الذي يريد الخوض فيه، أو المقصد الذي يروم الوصول إليه[٨]، فيبدأ بما يبني عليه غرضه [٩].

وغالباً ما يكون استهلال الخطاب بأداة دالة على ما بعده مثل **(ألا)** الاستفتاحية[١]، أو **(أما بعد)**[٢] جرياً على ما كان رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** يستهل به خطابه[٣].

---

[٣] ومن هنا جرى تأكيد بعض الكتّاب على حسن الابتداء وعدّه دليلاً على البيان. ينظر : كتاب الصناعتين : ٤٥١.

[٤] المنطق، محمد رضا المظفر، إسماعيليان، قم، ط١١، ١٣٨٣هـ : ٣٦٥.

[٥] ينظر : البيان والتبيين : ١/١١٦.

[٦] نجد بعض خطابات الإمام عليه السلام يوردها الشريف الرضي مقتطعة جرياً على عادته في قوله "ابي أورد النكت واللمع، ولا اقصد التتالي والنسق). ينظر : مقدمة نهج البلاغة، ٣٥.

[٧] ينظر : م.ن : خ٣٤، ص١٧٨.

[٨] ينظر : م.ن : خ٢٣، ص٦٤.

[٩] ينظر : شرح البحراني : ١/٢٢٢.

[١] ينظر : نهج البلاغة : خ٥٢، ص٨٩.

[٢] ينظر : م.ن : خ٢٨، ص٧١.

وقد يستهل الإمام **عليه السلام** خطابه بخطاب تنبيهي (**أيّها الناس**)[٤]، أو يجمع بينهما كما في قوله (**أما بعد يا أهل العراق**)[٥]، أو قوله (**عباد الله...**)[٦]، وأمّا عند اقتطاع الخطاب من الاستهلال فسبق الكلام بالفاء دال على تقديم الكلام بما يسبقه[٧]، أو قد نجد فيه ضمير غائب عائد على كلام مسبق ممهد له[٨].

وقد يفتتح الإمام **عليه السلام** خطابه بحمد الله والثناء عليه، دون ذكر النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** والصلاة عليه إن كان خطابه في التوحيد وبيان خلق الله سبحانه للعالم واختيار الأنبياء **عليهم السلام** غرض الخطاب وفيه توسع في ذكر النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** والحديث عن بعثته ونبوته الخاتمة للنبوات.

وقد يبدأ الإمام **عليه السلام** خطابه مباشرة تنزيهاً لله عز وجل عما يحويه خطابه من ذكر أفعال العاصين لله تعالى الجاحدين بإمامته وانقطاع صلتهم بالله عز وجل، وإشارة إلى تبرئته سبحانه من أعمالهم التي ستجد العقاب الأليم عنده سبحانه[٩]، وقد يقطع الإمام **عليه السلام** عادته في ابتداء الخطاب لسأمه من مخاطبيه وضجره من أفعالهم وغضبه الذي لا يثار لغير خالقه، يقطع عادته ويبدأ خطابه بشكل مباشر دالاً على فداحة الأمر، تنزيهاً للخالق منها وتشديداً على فراغ صبره معهم[١]، أو عندما يرى حيرتهم وضلالهم مع ما يأمرهم به وينهاهم عنه [٢].

---

[٣] ينظر : سنن أبي داود، سليمان السجستاني (٢٧٥هـ)، تحقيق : سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٠ : ٤٧١/٢.

[٤] ينظر : نهج البلاغة : خ٤١، ص٨٣.

[٥] ينظر : م.ن : خ٧١، ص١٠٠.

[٦] ينظر : م.ن : خ٨٧، ص١١٨.

[٧] ينظر : م.ن : خ٩٤، ص١٣٨.

[٨] ينظر : م.ن : خ١١٦، ص١٧٣.

[٩] ينظر : م.ن : خ٣، ص٤٨.

[١] ينظر : نهج البلاغة : خ٢٥، ص٦٦.

[٢] ينظر : م.ن : خ١٢١، ص١٧٧.

على ان انتظام خطاب الإمام **عليه السلام** في بناء محكم وابتداءه بذكر الله تعالى كان هدفه الأساس منه -وبالأخص الابتداء- هداية الناس لتقوى الله، ولذلك كانت الدعوة سابقة للخطاب في اغلب الأحيان فقد روي انه "قلما اعتدل به المنبر إلا قال إمام الخطبة **(أيّها الناس، اتقوا الله، فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو، وما ترك سدىً فيلغو، وما دنياه التي تحسنت له بخلف من الآخرة التي قبّحها سوء النظر عنده، وما المغرور الذي ظفر من الدنيا بأعلى همته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بأدنى سهمته)**" [3]،ولذا غالباً ما يجعل استهلال خطابه الديني الداعي إلى تقوى الله تعالى وطاعته بغنى الله تعالى عن طاعة الخلق وعدم انتفاعه بطاعتهم أو ضرره من معصيتهم[4].

وخير مثال على ذلك خطابه في ذكر المنافقين إذ يوجز الإمام **عليه السلام** في حمد الله عز وجل والثناء عليه ولكنه يطيل في الشهادة لرسوله **صلى الله عليه وآله وسلم**، ثم يصل خطاب النبوة بخطاب الولاية بامتداد دال على استمرار خط المنافقين وبألفاظ ومعانٍ متصلة قائلاً في المقدمة **(وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ)**[5].

ثم ينتقل إلى غرض الخطبة فيأتي على وصف المنافقين بأفعال مأخوذة مما كان في زمن النبي لفظاً ومعنى، إلا انه يوجزها في الابتداء و يتوسع بها في الغرض دالاً من جانب آخر على خفاء المنافقين زمن الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** ووضوحهم في زمن الإمام **عليه السلام** بعد إعلان ذلك العداء و مجاهرتهم به.

وقد كان وصفه للمنافقين من جانب آخر دالاً على تعاظم خطرهم عما كان عليه زمن الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم**، ولذا يختم خطابه بكونهم حزب الشيطان

---

[3] م.ن : قول ٣٧٠، ص٥٤٠.

[4] ينظر : م.ن : خ١٩٣، ص٣٠٣.

[5] م.ن : خ١٩٤، ص٣٠٧.

الخاسرين، فينساب الكلام في خطاب الإمام **عليه السلام** –وفي جميع خطاباته– من الابتداء إلى الغرض ثم إلى الخاتمة دون أن نشعر باقتطاع.

غرض الخطاب

ويمثل موضوع الخطاب، والجامع لمقاصده، ويراد به " عرض القضية التي يريد الخطيب إثباتها"[١]، فيوضّح لمخاطبيه غايته من الخطاب، ولغرض الخطاب عند الإمام **عليه السلام** أهمية كبيرة عند الإمام **عليه السلام** لا يُستغنى عنه لكونه يمثل مقاصده [٢]، فربما وردت خطب الإمام **عليه السلام** دون مقدمة أو خاتمة [٣]، ولا سيما ما كان منها جواباً عن سؤال[٤]، أو تفنيداً لكلام[٥]، إلا أن غرض الخطبة هو الأساس الذي تقوم عليه [٦].

ويتوجّه الإمام **عليه السلام** في اكثر أغراض خطابه لمخاطبيه محاولاً إفهامهم حقيقة الدار التي نزلوا فيها، وحالة الغفلة التي تشغلهم عن التفكير في ذلك، فإنما أهل الدنيا فيها **(أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا)**[٧].

وخطاب الإمام **عليه السلام** وسيلة لتهذيب الناس وتربيتهم وتعليمهم –كما هو وسيلة لإظهار الحق- لذا فمن خطابه ما يكون حكمة معبرة عن عميق ما يجول بخلده يتوجه بها لمخاطبيه لإعمال فكرهم بقدرة الله تعالى وعظمته وجسيم نعمته لأنهم **(لَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)**[٨].

---

[١] علم الخطابة : ٩٦/٢.

[٢] يقسم الشريف الّرضي خطاب الإمام عليه السلام على اجزاء، فيضع على كل جزء منها المقصد الذي أراده، وإن كانت مشتملة على مضامين عدّة جمعها الّرضي بقوله "وله مقاصد أخرى". نهج البلاغة : خ٢٣٠، ص٣٥١.

[٣] ينظر : م.ن : خ٣، ص٤٨-٥٠.

[٤] ينظر : م.ن : خ١٦٢، ص٢٣١.

[٥] ينظر : م.ن : خ٨٤، ص١١٥.

[٦] ينظر : الأسلوب : ١١٧.

[٧] نهج البلاغة : خ٢٢٦، ص٣٤٨.

[٨] م.ن : خ١٨٥ : ص٢٧٠.

ولذا يحثهم الإمام **عليه السلام** على التفكير فيما خلق الله عزّ وجل من آيات دالة على عظمته حتى (**صَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ**)[١]، ليوصلهم إلى استشعار عجزهم عن وصفه تعالى بقرائح عقولهم وحلّة تفكيرهم (**فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ**)[٢].

ومن خطابه ما يكون موعظة حسنة يدعو بها مخاطبيه إلى إشغال قلوبهم بذكر الله تعالى لتجلية فطرتهم ومعرفة الخالق حقّ المعرفة وذلك بتحذيرهم من الدنيا وتنفيرهم عنها، وحثّهم على العمل فيها لأنها دار عمل وفناء، وترغيبهم في ثواب الآخرة وترهيبهم من عقابها لأنها دار جزاء وبقاء، ووعظهم بالسابقين من أنبياء أو أناس عاديين لينتهي في وعظهم إلى حثهم على العمل للآخرة **بقوله** (**وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ**)[٣].

ومن خطابه ما يكون نصحاً بأداء الفرائض لكونها وسائل موصلة إلى الله تعالى[٤]، ودعوتهم للعمل بما أوجبه الله تعالى من فرائض ولا سيما فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٥] المرتبطة بوجود الإمام **عليه السلام**.

ومن خطابه ما يكون دعاء يتوجه به إلى الله تعالى، وهو جزء حيوي من العبادة التي خلق لأجلها الإنسان ففيه تشديد على العبودية المطلقة بازاء الّربوبية للخالق، ففي الدعاء بث الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى، وإظهار لضعف الإنسان وعجزه أمام إرادة الله تعالى[٦]، وحاجته المطلقة إلى الله عز وجل في كل حال، سواء كانت حاجة عقلية لاستكناه

---

[١] نهج البلاغة : خ٩١ : ص١٢٦.

[٢] م.ن : خ١٦٥ : ص٢٣٨.

[٣] م.ن : خ١٣٢ : ص١٩٠.

[٤] ينظر : م.ن : خ١١٠، ص١٦٣.

[٥] ينظر : م.ن : خ١٥٦، ص٢١٩.

[٦] ينظر : علوم نهج البلاغة : ٣٨٧.

الحقائق [١]، أو حاجة نفسية يختم بها خطابه لتنقية أرواحهم[٢]، أو حاجة اجتماعية يتوقف عليها إصلاح أحوالهم وأحوال مجتمعهم باستنزال ما شحّ نتيجة اقتراف قبائح الأعمال، كما في ادعيته في الاستسقاء [٣].

والدعاء وسيلة لتربية الإنسان على التحلي بالفضائل التي دعا إليها الإسلام واجتناب الرذائل من جانب، والتقرب إلى الله عزّ وجل من جانب آخر بتحميده وتقديسه، فالدعاء عند أهل البيت **عليهم السلام** أسلوب صحيح للسير في الحياة، فهو سلوك عملي لمن أراد السير مؤتّماً بقائله، ونهج قويم لمن أكثر منه بلسانه ليكون طريقاً لاستقامة قلبه، فنلاحظ امتزاج هذه الأغراض من (حكمة، موعظة، نصح، دعاء) في خطب عديدة وتداخلها، ولكن بما لا يتنافى مع وضوحها التام، إذ يجمعها طابع ديني واحد ينظم أجزاءها ويسلم قياد كل جزء إلى الآخر ويوحدها ولكن بترتيب محكم ووضوح تام حتى يمكن عدّ بعض خطابه "كلمة جامعة" [٤].

وتتوحّد أغراض الخطاب جميعها لتقود إلى نتيجة حتمية [٥]، إذ تعضد الحكمة بالموعظة الحسنة، ويكون النصح دليلاً لمن لم ينتفع بهما، والدعاء طريق للوصول إلى ذلك الانتفاع، والإمام طريق الحق الذي جعله الله تعالى هادياً إلى طاعته، وهدايتهم بما سبقهم إليه.

ويعتمد الإمام **عليه السلام** في خطابه على المناهج الثلاثة (الروحي، والعقلي، والطبيعي) التي سلكها القران في خطابه للناس[٦]. ففي المنهج الروحي يخاطب به أرواحهم

---

[١] ينظر : الإسلام والفن، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٢ : ١٧١.

[٢] ينظر : نهج البلاغة : خ٩١، ص١٣٦.

[٣] ينظر : م.ن : خ١٥، ص١٧١.

[٤] يصف الشريف الرضي بعض خطابات الإمام عليه السلام بكونه كلمة جامعة، ومنها قوله (فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ). م.ن : خ٢١، ص٦٢-٦٣. ومثلها خ٢٤، ص٦٦.

[٥] لذا فمن شروط جودة الموضوع (الوحدة، الترتيب، الوضوح). ينظر : فن الخطابة : ١٢٩.

[٦] ينظر : في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، دار العلم، بيروت، ط٢، ١٩٧٨: ٣٨٣/٣.

ليجلي به فطرتهم ويصلح به نفوسهم ويهذب أخلاقهم ويحيي به قلوبهم للاهتداء إلى طريق الحق، مثل وصفه للمتقين[1]، وحثهم على العمل الصالح الذي فيه رضا الله سبحانه وتعالى[2].

وفي المنهج العقلي يسعى الإمام **عليه السلام** لمخاطبة عقولهم ومحاججتهم بأقوالهم وإفهامهم حقيقة الوضع للسير في طريق الحق بوعي وإدراك[3]. أما في المنهج الطبيعي فيضع الإمام **عليه السلام** لمخاطبيه حجج الله تعالى التي جعلها آيات دالة عليه، ويحاول بها إثارة دفائن عقولهم وحثها على الإيمان بالغيب من جانب والعمل بطاعة الله من جانب آخر، ومنه وصفه لخلق الله من السماوات والأرض والملائكة، وتقريب ذلك بوصف ما تحت أعينهم من خلق يظهر لطائف صنعته وعجائب خلقته.

فيصف بديع خلقة الخفاش بدقّة متناهية ليصل بهم إلى تنزيه الله سبحانه عما حاول الجاهلون وصفه[4]؛ أو يصف لهم الطاووس محاولاً غرس الإيمان بالغيب في نفوسهم، الأمر الذي أنستهم الفتوحات إياه، وذلك بعد أن رأوا جناناً في الدنيا، وقصوراً استغنوا بها عما وعدهم الله جلّ وعلا به في كتابه، فيصف ما هو بعيد عن أعينهم فلا يراه إلا القلّة منهم، فيذكر لهم الحيتان والفيلة محاولاً دفعهم عن العزوف عما في أيديهم لما يوعدون به في الغيب قائلاً (**فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا**)[5].

---

[1] ينظر : نهج البلاغة : خ ١٩٣، ص٣٠٣.

[2] ينظر : م.ن : خ١٨٢، ص٢٦٠-٢٦٤.

[3] ينظر : م.ن : خ١٦٨، ص٣٤٣.

[4] ينظر : م.ن : خ١٥٥ : ص٢١٧.

[5] م.ن : خ١٦٥، ص٢٣٩.

وقد يصف لهم طاعة خلق الله تعالى مما هو اكبر من الإنسان من سماء وملائكة ليوصلهم إلى طاعته[١]، أو يصف ابتداء خلقه، مدققاً في خلق الملائكة وآدم، ليوصلهم إلى توحيده وعدم الإشراك به [٢].

ويعد المنهج الروحي عند الإمام **عليه السلام** اكثر المناهج التي يتبعها لكونه الأساس في الوصول إلى طاعة الله تعالى، فالهداية مصدرها القلب السليم.

---

(١) ينظر : نهج البلاغة : خ٩١، ص١٢٤-١٣٦.

(٢) ينظر : م.ن : خ١، ص٣٩-٤٥.

المحاججة

تحتل المحاججة جزءاً كبيراً من الخطاب، وتتداخل مع أجزائه، فللمحاججة أهمية كبيرة، حيث ان "لكل كلام جزءان جوهريان، هما عرض الحالة ثم البرهنة عليها" [1]، إلا أنها لا تلتزم دائماً كالعرض، فهي تسند غرض الخطاب وتدعمه، وتجبر المخاطبين على الانصياع للخطاب تدليلاً وتفنيداً، ولذا فقد حث الإمام أصحابه على اتباع ذلك[2].

والإمام هو حجة الله الناطقة على الأرض التي يهوي كل من وقف بازائها، و العلم الهادي بنور العلم الذي جعله الله سبحانه حجة على الخلق أجمعين، لذا كان خطاب الإمام **عليه السلام** حجة لا ترد و أدلته لا تفند، فهو المتكلم **(بِعِدَةِ اللَّهِ وَحُجَّتِهِ)**[3]، ولا حجة لأحد عليه [4].

على اننا نرى كثرة محاججات الإمام **عليه السلام** لمخاطبيه، فقد كان تولي الإمام **عليه السلام** زمام الأمور في زمن شاعت فيه العقائد الباطلة وكثرت فيه الفرق التي تروّج للبدع والشبهات، بعد أول خلاف جرى بينهم بعد وفاة الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم** [5].

ولم يكن ذلك إرثاً ماضياً فحسب، بل كانت مستجدات الأحداث تغذّيه، ولذا كان وقوف الإمام **عليه السلام** بازاء الخصوم ومحاججته لهم، فإن لم ينصاعوا فالحرب التي لا هوادة فيها ولا سبيل سواها لإعلان الحق، ولذا يقول الإمام **عليه السلام (أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ وَخَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرْتَابِينَ)**[6].

---

(1) النقد الأدبي الحديث : ١٣٦.

(2) ينظر : نهج البلاغة : خ٦٧، ص٩٧-٩٨.

(3) م.ن : خ١٧٦، ص٢٥١.

(4) يقول الإمام عليه السلام (اعْلَمُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَهُوَ أَنَا). م.ن : خ٨٧، ص١٢٠.

(5) ينظر : الفتنة الكبرى : ١/١٠-١٩.

(6) نهج البلاغة : خ٧٥، ص١٠٣.

ولم تقتصر محاججات الإمام **عليه السلام** على أمور سياسية فحسب، بل كانت في مسائل دينية عقائدية، إذ لا يمكن فصل السياسة عن الدين، فالدين هو الذي أوجدها، لذا نجد أن "فتنة الكلام ومنازعة العقائد قد مهدت للفتن السياسية، تولدها وتتولد منها" [(1)]، وعلى الرغم من كون الإمام عليه السلام لم يرد ولم يفند إلا ما له مساس بعقيدة المسلمين – والإمامة أمر عقائدي– لم يكد يخلو منها أي نوع من أنواع خطابه، محاولاً بمحاججاته زرع الوعي فيهم واجتثاث أصول الجاهلية.

ففي خطابه الديني يحاجج الإمام **عليه السلام** ردّاً على الشك الذي سرى في الأمور العقائدية وتعزز بجهلهم وتجاهلهم في الاستعانة بمن خصّ بمحاججتهم، وذلك نتيجة اختلاط سكان البلاد العربية مع البلدان المفتوحة، ومحاولة أهل الديانات السابقة إثارة الشكوك في عقيدة المسلمين، مما أدى إلى إثارة أسئلة حول ماهية الله سبحانه وتعالى (كيف، لماذا، وماذا) الأمر الذي يثبته خطاب الإمام الرسالي في تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل التقولات، وافتقار الإنسان وحاجته لله تبارك وتعالى.

فيحاجج الإمام **عليه السلام** من كان يسأل عن ابتداء الخلق أو يحاول وصف الله تبارك وتعالى بحجة لا ترد، وقول لا يفند يثير تفكيرهم وينزّه الله عز وجل عن أي وصف نحو قوله (**أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ. بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ وَوُضِعْتَ فِي قَرارٍ مَكِينٍ إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لَا تُحِيرُ دُعَاءً وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَ إِرَادَتِكَ هَيْهَاتَ إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ**)[(2)].

---

(1) فن الخطابة وتطوره عند العرب : ١٢٧.

(2) نهج البلاغة : خ١٦٣، ص٢٣٣-٢٣٤.

ومثل ذلك خطبة الأشباح فهي خير مثال على ذلك الشك المتمثل بسؤال السائل عن وصف الله سبحانه، فكان جواب الإمام في الخطبة خير دليل على هذا النوع من الحجج[1]، محاولاً تنزيه الله سبحانه وتعالى والاستدلال على وحدانيته بما استدل الله تعالى به في كتابه من آيات بينات وضعها أمام الخلق، ولا سيما خلق السماء وما فيها من شهب وشمس وقمر ثم خلق الأرض وما فيها من ماء ونبات، ثم خلق الملائكة محاولاً من ذلك محاججة عقل الإنسان ليوقظه من غفلته وسباته ويضع أمامه شواهد ذكرها القران ونسوها، فيتعّق فيها، وهنا تتجلى نعمة الإمامة في التذكير بما جاء في كتاب الله جلّ وعلا وتكييفه وتعميقه بما يتوافق مع عقولهم.

أما في الخطاب السياسي فتأتي محاججات الإمام **عليه السلام** رداً على شكوك أعدائه وتفنيداً لمزاعمهم وادعاءاتهم التي تمس مقام الإمامة منصباً وقائداً بشكل مباشر حتى تصل إلى بيعته **عليه السلام**[2]، طمعاً في الاستيلاء على المنصب وللتقليل من طاعة الناس للإمام **عليه السلام** التي لم يقسرهم عليها.

وإثارة الشك في الإمام عليه السلام متصل بزلزلة عقيدة المسلمين، فالإمامة أمر عقائدي وهي اصل من أصول الدين، وركن أساس يتجسد فيه التوحيد، ولذا يكون ردّه بشكل مباشر محاولاً به قطع دابر المتكبرين وفضح المنافقين، كما في ردّه على الأشعث الذي قاطعه ليشكك مخاطبيه في قيادته الحق، فردّ عليه الإمام **عليه السلام** بقوة تستجلي الحق وتعلنه واضحاً بما لا يسمح للنفاق بتضليله [3]، في الوقت الذي يتحير فيه الإمام **عليه السلام** بين الرد على أحد الخوارج والعفو عنه عندما لا يكون لذلك الكلام مساس مباشر بالعقيدة[4]، لا لكون الطعن الذي وجهه الأول في فضيلة امتاز بها الإمام **عليه السلام**، بل لكون هذه الفضيلة حجة عليهم مما له مساس بالعقيدة [5].

---

[1] ينظر : نهج البلاغة : خ٩١، ص١٢٤-١٣٦.

[2] ينظر : م.ن : خ١٧٣، ص٢٤٨.

[3] ينظر : م.ن : خ١٩، ص٦١.

[4] ينظر : م.ن : قول٤٢٠، ص٥٥٠.

[5] ينظر : شرح ابن أبي حديد : مجلد٥،٢٠/٤٥٠.

وتأتي محاججات الإمام **عليه السلام** وتفنيده إما لمواقف سابقة اتخذها الناس عذراً لهم للمطالبة بدم من سبقوا إلى خذلانه[1]، أو تهديده بتسليم قاتليه [2]، أو لمواقف صادرة عن أعدائه[3]، أو لما يبلغه من اتهامهم إياه بما كان سابقة له على حياة رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** مما يحاولون إنكاره.

ويأتي رّد الإمام **عليه السلام** على ما نسبوا له من أقوال وما أثاروه من شكوك لتفيدها تدليلاً على صدق موقفه وكونه الحق في حروبه العقائدية، حتى بعد انتهاء تلك الحروب وانتصار سيفه فيها [4].

وفي الخطاب الجهادي فتأتي محاججات الإمام **عليه السلام** رداً على شكوكهم بازائه كما حدث عندما استبطأه أصحابه القتال في صفين وسرى الشك في كراهيته للموت أو كونه شاكاً في أهل الشام عندما حاججهم بقوله (**أَمَّا قَوْلُكُمْ أَ كُلَّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ فَوَاللَّهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا**)[5].

ويأتي تفنيد الإمام **عليه السلام** لأقوالهم السابقة وموقفه منها لتذكيرهم بها فتكون حجة عليهم عسى أن يهتدي مهتد، ولذا يحاججهم بالقول (**أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً وَمَكْراً وَخَدِيعَةً إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ فَقُلْتُ لَكُمْ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَآخِرُهُ**

---

(1) ينظر : نهج البلاغة : خ٣٠، ص٧٣.

(2) ينظر : م.ن : خ١٧٤، ص٢٤٩.

(3) ينظر : م.ن : خ٢٦، ص٦٨.

(4) ينظر : م.ن : خ١٥٦، ص٢١٨.

(5) م.ن : خ٥٥، ص٩١.

نَدَامَةٌ)[1]، وترد محاججات الإمام **عليه السلام** للخوارج دليلاً على قوة حجته بما لا يمكن لأحد ردّها[2].

وعلى الرغم من كون خطاب الإمام **عليه السلام** نفسه كافياً لإقناعهم دون حاجة إلى دليل أو وسيلة أو حجة، إلا ان الحجج التي يوردها الإمام **عليه السلام** لا تقتصر على مواضع التفنيد فحسب، بل تتجاوزها إلى ما كان يقوله إثباتاً وتدليلاً.

فقد كان الإمام **عليه السلام** يخاطب عقولهم محاولاً حثها على التفكير، وعدم القبول بكل قول –إن لم يكن صادراً ممن خصّ بالعلم الرسالي– وهو ما اعتمده الأسلوب القرآني حيث " كان يلجأ إلى البرهنة العقلية والاستدلال المنطقي"[3]، فيجعل خطابه مقاييس منطقية تبدأ بمقدمات وتنتهي بنتائج منطقية نحو قوله **(إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ)**[4]، فإن كان حرث الدنيا حقير قياساً إلى حرث الآخرة وهو العمل الصالح، ينتج أن المال والبنين حقيران بالنسبة إلى العمل الصالح[5].

ويحاول الإمام **عليه السلام** تثبيت عقيدتهم على أساس قوي يثبت أمام الهزات التي تحاول تقويض الإسلام من أساسه، فلا يأتي بما يهيج عواطفهم لترتفع في لحظة ثم تعود بعدها، بل يحاول بناءها على أساس متين من الوعي إن لم يكن تأثيره في زمان قريب، فإنه يترك أثره لمدًى بعيد، وبهذا يبقي الإسلام قائماً على عرًى وأصول متينة ويثير مكامن عقولهم مستقبلاً[6].

---

[1] نهج البلاغة : خ١٢٢، ص١٧٨-١٧٩.

[2] ينظر : الكامل في اللغة والأدب، المبرد (٢٨٥هـ)، المعارف، بيروت : ٢/١٣٥-١٣٦.

[3] الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٤٦.

[4] نهج البلاغة : خ٢٣، ص٦٤.

[5] ينظر : شرح البحراني : ١/٢٢٥.

[6] "هذه الأدلة ضرورية للتأثير في الخطابة وقد تحدث عنها أرسطو واقتضاها في منهجه المنطقي". فن الخطابة وتطوره عند العرب : ١٣٨.

وقد ينقل الإمام عليه السلام لمخاطبيه حواراً معبراً عن وقائع أو قصصاً واقعية مستمدة من وقائع آنية -لا أدلة زائفة تثير عواطفهم وتهيجها- وذلك في خطابه السياسي ليعلن موقفاً صريحاً يخرس به تقولات السنة من لم يشهد الحدث ويفند مزاعم المتقّولين، ولتكون دليل عمله السياسي المقترن بعدله المتفرد.

كوصفه لمن تقدم إليه بهدية بالقول (**وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا فَقُلْتُ أَ صِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَقَالَ لَا ذَا وَلَا ذَاكَ وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ فَقُلْتُ هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ أَعَنْ دِينِ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي أَ مُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وَقُبْحِ الزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ**)[1]، مثلما ينقل حواراً سابقاً لتوليه الخلافة[2]، قرع به الحاضرين بالحجة ليكون دليلاً على عدم جهل أعدائه بحقه الذي ينكرون بل تجاهلهم، وحجة ناطقة على الباطل الذي يمثله ناكثوا بيعته، فيقول (**وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ**)[3].

---

[1] نهج البلاغة : خ٢٢٤، ص٣٤٧.

[2] ينظر : شرح البحراني : ٢/٩.

[3] نهج البلاغة : خ١٧٢، ص٢٤٦.

ويوضّح الإمام **عليه السلام** في خطابه الجهادي ما حدث جراء تخاذلهم وتوانيهم محاولاً تغيير مواقفهم المترددة بمنهج منطقي، فإن لم يكن الإيمان بالله تعالى دافعاً لهم للجهاد في سبيله، فلعل الغيرة الخلقية والحميّة العربية تدفعهم للتوجه لسوح الجهاد [1].

فيذكر لهم –على سبيل المثال– قتل عامله على الأنبار وما فعله اتباع معاوية ويقابل فعلهم هذا مع انصرافهم دون أذى يمسهم لينتهي إلى نتيجة هي الأجدر بالفعل عند الإمام **عليه السلام** إذ يقول الإمام **عليه السلام** (**وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلُبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً**)[2]، وبذكره للمرأة يحاول إثارة النخوة في نفوس مخاطبيه للدفاع عنها [3]، فكان استخدامه للتدليل المنطقي والخطابي إمعاناً في الإقناع بالعقل والمنطق وبلاغاً في التأثير، فهذه الأدلة ضرورية لأنها تضع المخاطب "أمام واقع يشاهده ويتلمسه بحواسه وتسهم في إقناعه عن طريق العقل والمنطق"[4].

وعلى الرغم من كون الإمام **عليه السلام** حجة الله تعالى عليهم بأقواله وأفعاله وأخلاقه الناطقة بالعلم الإلهي المجّسدة للعصمة، فقد كان الإمام **عليه السلام** يتمثل في خطابه بالآيات القرآنية وأحاديث السنة النبوية والشواهد الشعرية والنثرية، ليزيد في إقناع مخاطبيه ولتقوية حجته، ودحض وإبطال حجج معاديه.

---

(1) ولهذا ينكر الإمام عليه السلام عليهم مواقفهم على اختلاف فرقهم (لَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ). نهج البلاغة : خ٨٨، ص١٢١.

(2) م.ن : خ٢٧، ص٦٩–٧٠.

(3) ينظر : الخطابة وفن الإلقاء، أشرف محمد موسى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨ : ٣٥.

(4) في النقد والأدب، إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٥، ١٩٨٦ : ١٠٥/٢.

فقد كان خطاب الإمام **عليه السلام** يشع بآيات القران التي حفظها وتشربها في نفسه، ولا سيما "ان القران الكريم هو المصدر لكل بيان وشاهد صدق عليه" [(١)]، فكان يدعوهم بها ناصحاً كدعوتهم للعمل بطاعة الله جلّ وعلا وتذكيرهم بآيات الله تعالى **(فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ وَقَالَ تَعَالَى مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)**[(٢)].

فالإمام **عليه السلام** هو المحاجج لهم بما نزل من حقه في القرآن، والحاكم بشرائعه، المحل لما أحل الله فيه والمحّرم لما حّرم الله سبحانه فيه، فكان يأمرهم بما أمر الله تعالى به وينهاهم عّما نهى الله تعالى عنه، تذكيراً بآياته وتثبيتاً لمعانيها الصحيحة، لا لكي يورث خطابه وقاراً وبهاء [(٣)].

ومثلها أحاديث الرسالة الخالدة فالسنّة هي مصدر التشريع الثاني في الإسلام بعد القران[(٤)]، ولذا يذكرهم الإمام **عليه السلام** بالسنة النبوية مستشهداً بأحاديث الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** تارةً، نحو قوله في نصحهم بالابتعاد عن النفاق **(وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَا ذَا لَهُ وَمَا ذَا عَلَيْهِ وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا**

---

(١) الأمثال في نهج البلاغة، محمد الغروي، فيروز آبادي، قم، ١٤٠١هـ : ٥.

(٢) نهج البلاغة : خ١٨٣، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٣) وهي ما أفاده الخطباء ممن جاء بعده، إذ يقول الجاحظ "انهم كانوا يستحسنون ان يكون في الخطب يوم الحفل، والكلام يوم الجمع آيي من الفرقان فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار وتسلسل الموقع". البيان والتبيين : ٦٠/٢.

(٤) يقول الإمام عليه السلام لابن عباس عندما بعثه للاحتجاج على الخوارج لا تخاصمهم بالقران، فإن القران حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون ولكن حاججهم بالسنة، فانهم لن يجدوا عنها محيصاً. نهج البلاغة : كتاب ٧٧، ص٤٦٥.

يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ)[1]، أو بأفعاله وأحكامه ليوضح لهم ان ما يصدر عنه امتداد لما صدر عن الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** وان مخالفته مخالفة لسنته كقوله للخوارج وهو يكشف لهم الشبهة بقوله **عليه السلام** (**وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ**)[2].

وقد كان السعي لإماتة السنة لا لتغيير معانيها كالقران بل لنقض حقّه[3]، ومن هنا كان تشديد الإمام **عليه السلام** على السنة لإحيائها، وذلك بتبليغهم عن رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** نحو قوله (**أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صلى الله عليه وآله إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ**)[4]، وتذكيرهم بما أوصاهم به من حق الإمام **عليه السلام** ولا سيما في حجة الوداع وحديث الثقلين، ولذا يقول الإمام **عليه السلام** (**اعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَهُوَ أَنَا أَ لَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ**)[5].

ويحتج الإمام **عليه السلام** عليهم بموضعه من رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** بكونه الأقرب إليه قرابةً ومنزلةً وتصديقاً تارة [6]، والمجاهد معه تارة [7]، والمطيع له تارة

---

[1] نهج البلاغة : خ١٧٦، ص٢٥٣-٢٥٤.

[2] م.ن : خ١٢٧، ص١٨٤.

[3] ويتضح فيما وصف به الإمام الجائر (فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً)، ومثله ما أنكر على الوالي انه (الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ) ، وما جعل من صفات الإمام عليه السلام (الْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ). م.ن : خ(١٦٤-١٣١-١٠٥)، ص(٢٣٥-١٨٩-١٢٥) على التوالي.

[4] م.ن : خ٨٧، ص١٢٠.

[5] م.ن : خ٨٧، ص١٢٠.

[6] ينظر : م.ن : خ١٩٢، ص٣٠٠-٣٠٢.

[7] ينظر : م.ن : خ١٢٢، ص١٧٩.

أخرى[1]، فإن كلا الحكم بكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فالإمام عليه السلام أولى بالحكم بينهم وحل التنازع القائم [2].

وكان تشديده على الجمع بين السنّة وبين كتاب الله عز وجل وموقع الإمام عليه السلام منها بوصفه حلقة الوصل التي تجمع بينها لكونه المصدق بآيات الله تعالى الحافظ لها، والعالم بتأويلها، والمستفسر الأول عن معانيها، والمخصوص بما أنبأه به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، نحو قوله عن الفتنة (إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ أَلم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا فَقَالَ يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي)[3].

وقد يستخدم الإمام عليه السلام الأمثال الشائعة التي ألفوها وفهموا معانيها لإفهامهم و تثبيت ما يريد قوله في عقولهم، للتأثير في قلوبهم "للمعنى الذي يتركه في النفس من الشبه الحاصل بين المناسبتين" [4]، نحو قوله (لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ)[5]، وكان مثلاً شائعاً في الجاهلية لكل ناصح يعصى ورأيه هو الأصوب[6]، فالأمثال "سرد حالات أو حوادث واقعية أو فرضية، حصلت لبعض الناس، فكانت نتائجها أحياناً حسنة، وأحياناً سيئة" [7].

---

[1] ينظر : نهج البلاغة : خ١٩٧، ص٣١١.

[2] ينظر : م.ن : خ١٢٥، ص١٨٢.

[3] م.ن : خ١٥٦، ص٢٢٠.

[4] أمثال القران وأمثال الحديث، ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق : موسى بياي العليل، مطبعة الجاحظ، بغداد : ١٢.

[5] نهج البلاغة : خ٣٥، ص٨٠.

[6] ينظر : شرح البحراني : ٢٧٣/١.

[7] الإمام علي ومشكلة نظام الحكم، محمد طي، مركز الغدير، إيران، ط٢، ١٩٩٧ : ٢١٣.

وقد يستخدم المثل القرآني القريب إلى عقولهم ونفوسهم لتقريب المعنى لأذهانهم ولتقوية حجته في الخطاب، ولا سيما عند وصفه لمن أضلّ الأمة (**فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالَاتٍ**)[١]؛ فالشبهات كنسج العنكبوت الذي يضرب مثلاً للأمور الواهية [٢].

ومثل ذلك استخدام الإمام **عليه السلام** للقصص القرآني لتقوية حجته في الخطاب، وإن كان أسلوباً غير مباشر لتربية مخاطبيه بالربط بين النبوات واخذ العبرة والدرس منها كما في ذكره لقصة موسى **عليه السلام** للاعتبار بتواضع الأنبياء **عليهم السلام**[٣]، فلا يكتفي بذكر القصص، وإنما يكمل بما يقيم الحجة عليهم بخطابه الرسالي.

وقد يسند خطابه بالشاهد الشعري[٤]، "ومدار العلم على الشاهد والمثل" [٥]، لإقناعهم وليكون خطابه اكثر تأثيراً فيهم من الكلام، وليكون لمخاطبيه انتفاع به ولا سيما في ختام خطاب يقطر أسفاً وحسرة عليهم ليتردد صداه في أذهانهم.

ومع ان كل قول نطق به دليل لهم وحجة عليهم، إلا أنه لا يترك باباً إلا طرقه وخاض فيه ليكون ابلغ في الإيصال واكثر تأثيراً فيهم[٦]، إذ لا ينتقي من الحجج إلا ما كان مؤثراً فيهم بما لا يمكنهم إنكاره، ولذا يحتج الإمام **عليه السلام** عليهم بالإجماع على بيعته لا بالنص عليها –وإن كان هو الحق–لأنه يأتي بما لا ينكرونه ليكون دليلاً على ما ينكرون [٧].

---

[١] نهج البلاغة : خ١٧، ص٥٩.

[٢] ينظر : شرح البحراني : ٢٠٨/١.

[٣] نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٢٩١-٢٩٢.

[٤] ينظر : م.ن : خ٣٥، ص٨٠.

[٥] البيان والتبيين : ٢٧١/١.

[٦] ومن خطاب الإمام عليه السلام وقدرته الإيصالية فيه اتخذت آيات القران الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه واله وسلم والشاهد الشعري والنثري، وخطابه الذي اصبح حكماً وأمثالاً...وسائل اتصال للبلاغة العربية. ينظر : البلاغة العربية ووسائل الاتصال، محمد بركات، الآفاق العربية، الأردن، ع٦، س٢، ٢٠٠٢ : ٤٣.

[٧] ينظر : نهج البلاغة : خ١٧٣، ص٢٤٨.

خاتمة الخطاب

وهي آخر ما ينهي الإمام **عليه السلام** به خطابه، ويهتم الإمام **عليه السلام** بخاتمة الخطاب بما لا يقل عن اهتمامه بافتتاحه، وذلك لما يتركه ختام الخطاب في نفوس مخاطبيه من أثر، فخاتمة الخطاب "آخر ما يتردد صداه في قلوبهم وبه تتم الفائدة"[(١)].

ويتصل ما يختم به الإمام **عليه السلام** خطابه بابتداء ذلك الخطاب، والغرض المراد منه، مع تكييف ذلك تبعاً لمخاطبيه.

وعلى غرار الافتتاح يجعل الإمام **عليه السلام** ذكر الله خاتمة عامة لخطابه، مثلما جعل حمد الله والثناء عليه مفتتحاً لها، وينّوع الإمام **عليه السلام** في ذلك الذكر.

وغالباً ما يختم الإمام **عليه السلام** خطابه بآية قرآنية تناسب ما وصل إليه من كلام نحو قوله في ختام وصفه لتقاعس مخاطبيه **(وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْأَدْبَرِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)**[(٢)]، أو بخاتمة تشهد له بصدق المقال، نحو قوله في ختام وصيتهم بالزهد لزوال الدنيا وتغير حالها **(هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)**[(٣)]، وليتردد صدى ذلك الخطاب في أذهانهم دالاً على عدم خروج الإمام **عليه السلام** فيه عن آيات الله تعالى، تفعيلاً لتلك الآيات بتجديد الاستشهاد بها على حال مخاطبيه، فلا تخص عصراً نزلت فيه ولا تقف عنده.

ولذا يختتم وصفه للمنافقين مثلاً بكونهم حزب الشيطان **(فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ وَحُمَةُ النِّيرَانِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)**[(٤)].

---

(١) علم الخطابة : ١٣٤/٢.

(٢) نهج البلاغة : خ٣٩، ص٨٢.

(٣) م.ن : خ١٩١، ص٢٨٥.

(٤) م.ن : خ١٩٤، ص٣٠٨.

وأكثر ما يختم به الإمام **عليه السلام** خطابه آيات من كتاب الله عزّ وجل توجز ما أراده من ذكر خطابه، فيختتم خطاباً له في توحيد الله الذي يشدّد فيه على خلق الله جلّ وعلا ليوجز فيه ما أراده من عبرة بالخطاب بقوله تعالى (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى**)[1]، أو يختتم خطابه بآيات قرآنية يمكن عدها "مثلية" [2] أي تذهب مذهب الأمثال نحو قوله (**وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ**)[3]، فيكون تمثله بالآية القرآنية دليلاً على عفوه عن ظلم الناس له، وتذكيرهم بعفو الله تعالى وصفحه عمّن تاب.

وقد يكون الاختتام بآية قرآنية يتبعها بما يدل على استعانته وإياهم بالله عز وجل نحو قوله (**أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**)[4]، فالاستعانة بالله مشتركة بين طرفي الإرسال.

وقد ينهي الإمام **عليه السلام** خطابه بدعاء يوضح الحاجة لله تعالى، وعبوديته المطلقة التي تجمعه بمخاطبيه وتدفع الغلو في تقديرهم لمنزلته نحو قوله (**أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ**)[5]، بوصف الدعاء وسيلة لتربيتهم وتهذيبهم على الخلق القويم والآداب الرسالية، وقد يجمع بين الآية القرآنية والدعاء [6].

ويؤكد الإمام صفة العبودية لله تعالى عند ختامه لخطاب أثنى فيه عليه بعدم الاكتفاء بالدعاء بل يجمعه بالقول (**فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى**)[1]، فيجعل الخاتمة

---

(1) نهج البلاغة : خ٢١١، ص٣٢٩، (سورة النازعات/٢٦).

(2) الأمثال في نهج البلاغة : ٧.

(3) نهج البلاغة : خ١٠٠، ص١٤٦.

(4) م.ن : خ١٨٣، ص٢٦٨.

(5) م.ن : خ٢٠٥، ص٣٢٢.

(6) ينظر : م.ن : خ٩١، ص١٣٦.

(1) نهج البلاغة : خ٢١٦، ص٣٣٥.

تعبيراً عن المسؤولية المشتركة التي تجمعه بمخاطبيه وتوضيحاً لسيره في الخط نفسه الذي يدعوهم إليه وهي طاعة الله عز وجل وعبادته.

وقد يختتم الإمام **عليه السلام** خطابه بما هو حجة عليهم إما بذكره منزلة **آل محمد عليهم السلام** نحو قوله **(أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ)**[٢]، ليذكّرهم بامتداد صنائع الله فيهم، وكونهم الأئمة من بعده، وفي محبتهم النجاة **بقوله (نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ)**[٣].

وقد يختتم الإمام **عليه السلام** خطابه بذكر منزلته التي خبروها مسبقاً نحو **قوله (أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا)**[٤]، أو لكونه الحق الذي انتصر به الإسلام وسيكون بقر الباطل على يديه بقوله **(وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا وَاسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ وَأَيْمُ اللَّهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ)**[٥]، ليكون كلامه هادياً لمن لم يهتد بهديه.

وقد يختم الإمام **عليه السلام** خطابه بإيجاز الصفة التي دعاهم للتمسك بها والتي تعد أساساً للسير في نهجه، ولا سيما خطابه الديني ودعوتهم لتقوى الله وطاعته فيجعل وصف الزهاد ختاماً يلخص في وصفهم العمل الذي دعاهم له وحثّهم للإسراع والجد فيه،

---

[٢] م.ن : خ١٠٠، ص١٤٦.

[٣] م.ن : خ١٠٩، ص١٦٢-١٦٣.

[٤] م.ن : خ١٢٨، ص١٨٦.

[٥] م.ن : خ١٠٤، ص١٥٠.

ويضع أمامهم أنموذجاً حياً ومثالاً للطاعة يحتذونه[1]، أو يوجز فيها الموعظة التي وعظهم بها [2].

وقد يختم خطابه بالتشديد على الاتعاظ بمواعظه والانتفاع بعبره التي ذكرها في خطابه الديني نحو (**فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ**)[3]، والاعتبار يكون بالحال التي يتوصل بها الإنسان من معرفة ما يراه ويشاهده الى ما لا يراه[4]، أو يذكّرهم بالسبب الذي يدعوه لذلك الإسراع والتنفير من الدنيا، إذ يحاول الإمام حثهم على التقوى لقصر عمر الإنسان فيها وسرعة مرور الوقت[5]، وتنبيه حواس القلب الذي يمثل الجهة التي يتوجه لها الإمام في خطابه بعد ذكر دوره الرسالي الذي يريد تثبيتهم عليه ليعقد صلة بينه وبين قلوبهم وينبههم أن لا هداية إلا بقلب سليم[6]، ويريهم سمات من لا يستمع خطابه بقلب سليم[7]، بالتحذير عما نهاهم عنه لكونهم بعين الله مرة[8]، ولأن ما يحذرهم منه واضح لا غبار عليه[9].

و قد يختم الإمام **عليه السلام** خطابه بوصف موجز لسمات المؤمنين يلامس شغاف القلب وتطمئن له النفس بقوله (**إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ**)[10].

ان الطابع الديني لخطاب الإمام **عليه السلام** جعل خطابه جسداً واحداً بحسن تخلص من الابتداء إلى الغرض ومنه لخاتمة الخطاب.

---

(1) ينظر : نهج البلاغة : خ٢٣٠، ص٣٥٣.

(2) ينظر : م.ن : خ٩٤، ص١٤٠.

(3) م.ن : خ١٥٧، ص٢٢٣.

(4) ينظر : الإمام علي ومشكلة نظام الحكم : ٢١٣.

(5) ينظر : نهج البلاغة : خ١٨٨، ص٢٧٩.

(6) ينظر : م.ن : خ١٨٧، ص٢٧٨.

(7) ينظر : م.ن : خ١٦٥، ص٢٣٩.

(8) ينظر : م.ن : خ١٥١، ص٢١١.

(9) ينظر : م.ن : خ١٦١، ص٢٣١.

(10) م.ن : خ١٥٣، ص٢١٥.

أما في خطاب الجهاد فيختم الإمامعليه السلام خطابه بحثّهم على الجهاد بدعوة تلهب مشاعرهم وتحثهم على سرعة إجابة دعوة قائدهم (**الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَومِي هَذَا فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللَّـهِ فَلْيَخْـرُجْ**)[1]، ولا سيما مع تخاذلهم وحسرة الإمام **عليه السلام** عليهم وأسفه على فقد الاتباع والأخيار.

وإذا رأى الإمام **عليه السلام** الخذلان واضحاً في مخاطبيه، والشك في بطولته سارياً، ولا جدوى من الخطاب،فيقيم الحجة عليهم ويكون الختام بعدم الطاعة (**لَا رَأْيَ لِمَنْ لَـا يُطَـاعُ**)[2]، بعد أن كان يختم خطابه بدعوتهم لطاعة الله تعالى[3]، واتّباع الإمام **عليه السلام** [4].

وعلى الرغم من تجانس خواتم الإمام **عليه السلام** مع العرض والابتداء وتناسبها في الطول، نجد أن الإمام **عليه السلام** غالباً ما يختم خطابه بخاتمة قصيرة، تشديداً على إيصال معاني الخطاب بإيجاز ما ورد ذكره[5]، ويمكن عدّها دليلاً على بلاغة ذلك الختام، فيحاول تلخيص المعاني البارزة في الخطاب بألفاظ أخرى غير ما ذكرها في الخطاب وبعبارة قوية ليردد صداها في أذهانهم فتجعل لهم من أنفسهم واعظاً وزاجراً.

ولم يرد عن الإمام **عليه السلام** اختتام خطابه السياسي والجهادي بأوامر عسكرية أو خطاب تهديدي لإكراههم على الطاعة، على الرغم من موقع الإمام **عليه السلام** القيادي و صعوبة القضايا التي واجهته.

ويكيّف الإمام **عليه السلام** خواتم خطابه تبعاً للظروف التي أحاطت به لتواكب الأحداث، فعند خروجه إلى حرب الجمل التي حدثت بعد اشهر قليلة من توليه الحكم، يختتم الإمام **عليه السلام** خطابه بتعهده لمخاطبيه بالعمل بكتاب الله عزّ وجل وسنّة رسوله

---

[1] نهج البلاغة : خ١٨٢، ص٢٦٤.

[2] ينظر : م.ن : خ٦٤، ص٩٥.

[3] ينظر : م.ن : خ١٧٦، ص٢٥٥.

[4] ينظر : م.ن : خ١٦٦، ص٢٤١.

[5] ينظر: م.ن : خ٦٤، ص٩٥.

صلى الله عليه وآله وسلمانطلاقاً من موقعه القيادي بقوله (وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ)[1]، وما يمكن عدّمربطاً لخطابه السياسي بالخطاب الجهادي، وتشديداً على الطابع الديني السائد فيها الجامع لأنواعها.

وقد يجعل اختتام خطابه ببيت شعري في خطابه الجهادي والسياسي ولا سيما عند مخالفتهم كلامه محاولة منه في التأثير فيهم، فيختتم خطاباً سأم فيه من تثاقلهم للجهاد بقوله (أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ)[2].

ومن هنا فقد تعددت خواتم خطاب الإمام عليه السلام بتعدّد خطاباته، إلا ان ذكر الله تعالى يجمعها والطابع الديني السائد في الخطاب كله بجعلها متقاربة في أنواع خطابه.

وقد يقتطع الإمام عليه السلام خطابه دون خاتمة عندما يجد أن السكوت ابلغ من الكلام بما لا يجهله مخاطبيه، وعدم إكمال للخطبة الشقشقية خير مثال، وذلك عندما اقتطعه سائل وطلب منه ابن عباس إتمامه، فلم يعد لما بدأ به وأجابه (تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ)[3].

وقد يترك خطابه دون ختام في خطاب أجاب فيه من سأله عن وصف المتقين عندما يرى تأثر السئل الذي صعقت روحه شوقاً لوصف الإمام عليه السلام وهو ما كان يخافه عليه فلم يجبيه أول الأمر لعلمه بنفس السائل ومدى استعدادها لتلقي ذلك الخطاب، معجود شخص آخر يحدث فيه الوصف أثراً مخالفاً فيتسائل متأثراً ليكون السؤال نفسه

---

(1) نهج البلاغة : خ١٦٩، ص٢٤٤.

(2) م.ن : خ٢٥، ص٦٧.

(3) م.ن : خ٣، ص٥٠.

جواباً وتوضيحاً لموقف المخاطبين، واستجابتيهما المتناقضتين بقوله (**أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا**)[1].

وغالباً ما تكون خاتمة الخطاب تلخيصاً لموضوعه أو إيجازاً لأهم عناصره[2]، ولذا نجد خاتمة خطاب الإمام **عليه السلام** قصيرة موجزة، بما يتناسب مع طول الخطاب وموضوعه وحال سامعيه، وبما يتناسب مع طول الابتداء فان كان مبتدأ الخطاب بكلمات كانت خاتمته كلمات تشكل قاعدة يقرها الإمام **عليه السلام** بقوله (**أَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ**)[3]، وقد يوجز في الخاتمة ما يمكن عدّه قاعدة في تعامله مع مخاطبيه[4].

وتتناسب الخاتمة مع بقية أجزاء خطاب الإمام **عليه السلام** فيكون هذا التناسب ربطاً لأجزاء الخطاب، إذ ترتبط فيما بينها"ارتباطاً عضوياً يوفّر للموضوع وحدته" [5]، ولا سيما في خطابه الجهادي [6].

وفي معالجة الإمام **عليه السلام** لسمة الكبر –على سبيل المثال- يتّضح تناسب أجزاء الخطاب، حيث نجد مبتدأ خطابه قصيراً يشير فيه إلى تفرد الله عزّ وجل بالعزة والكبرياء، ثم يأتي بخطاب طويل تكثر فيه العبر والدروس والأمثال، فمن تكبر إبليس عن الطاعة إلى التحذير منه، ومن طاعة الملائكة والأنبياء لله سبحانه إلى طاعته لله عزّ وجل ورسوله، ومن معصية إلى نعمة، حتى يختم خطابه بوصف الصّديقين وهو أولهم (**سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ يُحْيُونَ سُنَنَ اللَّهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ وَلَا**

---

[1] نهج البلاغة : خ١٩٣، ص٣٠٦.

[2] ينظر : الأسلوب : ١١٧.

[3] نهج البلاغة : خ١٨٠، ص٢٥٩.

[4] ينظر : م.ن : خ١٦٨، ص٢٤٣.

[5] الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي : ٣٧٣.

[6] ينظر : م.ن : خ٢٧، ص٦٩.

يَغُلُّونَ وَلَا يُفْسِدُونَ قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ)[1]، وبهذا يكون نفي الاستكبار الذي نهى عنه في خطابه واختصّ به الله تعالى عند ابتداء الخطاب خير ما يختم به خطابه ليكون نموذجاً للاحتذاء به، فيكون الكبر سمة تجمع أجزاء الخطاب وتوضح مواقف عديدة بازاء هذه السمة.

ومثلها سمة الزهد حيث يبدأ الإمام **عليه السلام** خطابه بحمد الله وتعظيمه بما لا يمكن إدراكه حتى بإفراغ قلب وإعمال فكر، ثم ينتقل لتهوين الدنيا التي يرون ما فيها عظيماً في أعينهم، إذ يضع الإمام **عليه السلام** أمامهم الأنبياء الذين ذّموا الدنيا ونبذوها مبتدئاً برسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** ومختتماً به ليصل إلى زهده بالدنيا، وموقفه منها فهو امتداد لموقف الأنبياء وتأسياً برسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** فيقول **(وَاللَّهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَ لَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى)**[2].

فيكون المثل خير ما يختتم به الإمام **عليه السلام** خطابه، ويدل على ارتباط الخاتمة ببقية أجزاء الخطابة، مثلما كان دليلاً وحجّة تقّوي ذلك الخطاب.

---

[1] نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٣٠٢.

[2] م.ن : خ١٦٠، ص٢٢٩.

أنواع الخطاب الرسالي

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم وجعله دستوراً لشريعة متكاملة شاملاً جميع نواحي الحياة ومناسباً لكل زمان ومكان، ولكون النبوة المحمدية هي الخاتمة، فقد اصطفى الله سبحانه وتعالى من أهل بيت النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** قرآناً ناطقاً عن القران الصامت حافظاً للذكر بحفظ المعاني الحقيقية التي نزلت فيه مزيلاً للاختلاف.

إلا أن فترة التنكر لحقه بعد وفاة الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم**، جعلت أمام الإمام مهام كثيرة، فخصّ جزءاً كبيراً من خطابه لإصلاح المجتمع وبناء الجماعة الصالحة، التي تتمسك بأهل البيت قوة وتتبعهم قيادة، ولذا يتوجه الإمام في معظم خطبه لمخاطبيه[1] مشيراً ناصحاً هادياً حتى فيما كان يأمر به[2]، فليس على الإمام إكراههم بما جعله الله سبحانه وتعالى اختياراً.

ومن هنا فقد تنوع خطاب الإمام **عليه السلام** بحسب تنوع الموضوعات التي يطرقها[3]، فخطاب الإمام **عليه السلام** على ثلاثة أنواع وهي (**ديني، وسياسي، وجهادي**) إلا أنها جميعاً تتداخل فيما بينها ويوجهها هدف الإمام **عليه السلام** في إصلاح الجمع وهدايتهم للحق، و يجمعها الطابع الديني، ويحد من الفواصل بين كل نوع، فالدين هو الأساس المنظم للمجتمع العربي وهو الدستور الشامل للحياة ومنه تستمد الأحكام والتعليمات المنظمة لحياة الجماعة الإسلامية.

---

(1) يقسم البحراني أنواع الخطاب بحسب أغراضها إلى ثلاثة أقسام -معتمداً على تقسيم أرسطو- إلى (مشاورة، مفاخرة، مشاجرة) ، ويضع جلّ خطاب الإمام عليه السلام ضمن المشورة، لكونه المقرر للشريعة والمثبت لها والموضح لمقاصد سنن الرسول صلى الله عليه واله وسلم والمفرع لأحكامها. ينظر : شرح البحراني : ١/٥٥-٦٠.

(2) إنّ(الله أمر عباده تحذيراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً). نهج البلاغة : قول٧٧، ص٤٨٠.

(3) وهو ما قام عليه التقسيم الحديث للخطابة بحسب الموضوع، لا بحسب الزمن أو الغرض كما ساد عليه تقسيم أرسطو. ينظر : فن الخطابة : ص٦٦.

الخطاب الديني

احتّل الخطاب الديني الجزء الأكبر من خطاب الإمام **عليه السلام**، لكون الدين هو العقد الناظم للمجتمع والسبيل الأقوم لمعالجة الانحراف من جانب، ولارتباط الخطاب بخطب الجمع والأعياد، التي استمرت بعد وفاة النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** مما جعل الخطابة "تتمتع بقدسية خاصة" [1] من جانب آخر، ولذا كان خطاب الإمام **عليه السلام** دينياً في الأساس قبل أن ينحى منحًى آخر فالإمامة قوام الشريعة [2]، وأصل من أصول الدين، ويعد الإيمان بها ومعرفة حقها فرضاً واجباً تعظيماً لمنزلة مستحقها من جانب، وما يترتب عليه من الجزاءلأخروي من جانب آخر، لأنها هداية ربانية بأوامر ونواهٍ جعلها الله سبحانه كسلّم يرتقي الإنسان باتباعها إلى ما يوصله للكمال الإنساني الذي تتناسب درجته مع العلم والصلة الروحية بمصدره[3]، فالإمامة ليست اقتداء وائتمام فحسب، بل هي رئاسة في أمور الدين والدنيا [4].

وقد كان الخطاب الديني عند الإمام **عليه السلام** تثبيتاً لما جاء في كتاب الله شرحاً وتفصيلاً لآيات الله تعالى، وتعمقاً في معانيها، وبياناً لأحكامه، وتذكيراً بها[5]، وإحياءً للسنة بتذكيرهم بأقوال الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم**، ودور النبوة الخالد في بناء

---

(1) الخطبة كنثر فني : ٩١.

(2) خلق الله تعالى الإنسان وزوده بثلاث مقومات وهي (العقل، النفس، والبدن)، وجعل بالمقابل لهذه المقومات حاجات، تلبي كل واحدة منها نداء أحد المقومات وتغذيها وتحقق الغرض الذي خلقت لأجله وترمز إلى إنسانيته المتكاملة، وتوصله إلى الكمال والرشد الذي خص الإنسان بالوصول إليه وهي (الأفكار، الصفات، الملكات، والأعمال) على التوالي. وفي هذه الحاجات نزلت الشرائع والأديان لاستيعاب مكونات الإنسان وتغذية حاجاته، وأعطاه حرية الاختيار والسعي لتكميله من النواقص المادية والمعنوية، فكانت العقائد تهذب الإنسان فكراً وعقلاً وتبعده عن الجهل وتنير أمامه ضياء الحكمة والمعرفة، والأخلاق تهذب نفسه وتهديها إلى الصفات والملكات الفاضلة، والأحكام تهذبه في علاقاته ومعاملاته وتنظم تعامله مع نفسه ومجتمعه وربه. ينظر : المظاهر الإلهية : ١٥-١٧. ومن هنا فقد كان الخطاب الديني للإمام عليه السلام يدور حول هذه الأقطاب الثلاثة.

(3) ينظر : نهج البلاغة : خ١٥٤، ص٢١٥-٢١٦.

(4) ينظر : المظاهر الإلهية : ٢٧/١.

(5) ينظر : نهج البلاغة : خ٨٥، ص١١٦.

الأمة الإسلامية، ولذا فقد كان الخطاب الديني للإمام **عليه السلام** دعوةً إلى سبيل الله عزّ وجل، وهداية الناس بوعظهم ودعوتهم للعبادة الحق وللعمل بأحكام الشريعة وتبصيرهم بأمور الدين، محاولاً بها خلق الوازع الديني في نفس الإنسان ليكون له منها واعظ وزاجر، فلا يجد الشيطان له سبيلاً ، لأن **(مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ)**(1).

وفي خطاب الإمام الديني دعوة عامة مستمرة إلى آخر الزمان للإيمان الحق الذي لا يقتصر على النطق بالشهادتين، بل يتجاوزها إلى تقوى الله وطاعته، وأداء الفرائض الواجبة(2) ، فالإسلام لم يأتِ لأقوام دون سواهم ولا خصّ بالقران قوم دون غيرهم(3)، ودعوة الإمام **عليه السلام** دعوة لكافة الازمان، فالامم تحتذي مثال سابقاتها(4).

كانت موضوعات الخطاب الديني متشابكة ومتداخلة فيما بينها ومترابطة بما لا يمكن الفصل بينها –إلا لأجل الدرس–، ولذا فقد تناول الخطاب الديني للإمام **عليه السلام** الموضوعات التالية:

وصف الدنيا والآخرة:-

خلق الله تعالى الإنسان **(مَعْجُوناً بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ)**(5)، وهو الأعلم بخلقه وبما سيكون عليه كل إنسان.

إلا ان الله تعالى بعدله أراد أن يلقي الحجة إلى الخلق، فجعل الدنيا دار اختبار لهم لا دار مستقر وبقاء، لتأدية المهمة العبا دية التي خلقوا لها(1)، والآخرة هي دار الحيوان(2)،

---

(1) نهج البلاغة : خ٩٠، ص١٢٣.

(2) أصول الكافي : ٥٩/٢.

(3) ينظر : م.ن : ٢١٥/١.

(4) يخاطبهم الإمام عليه السلام بالقول (أَوَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالآبَاءَ وَإِخْوَانَهُمْ وَالأَقْرِبَاءَ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ وَتَطَؤُونَ جَادَّتَهُمْ). نهج البلاغة : خ٨٣، ص١١١.

(5) م.ن : خ١، ص٤٢.

ودار القرار[٣] ، وفيها المستقر والمقام والبقاء والدوام والجزاء والخلود، فإما طاعة لله جلّ وعز في الدنيا وجنة في الآخرة، وإما معصية في الدنيا ونار جديدها لا يبلى في الآخرة.

والدنيا والآخرة سبيلان مختلفان وعدوان متفاوتان [٤]، فالدنيا كما يصفها الإمام عليه السلام بقوله (**إِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ[٥] مَشْرَبُهَا رَدِغٌ مَشْرَعُهَا [٦]يُونِقُ مَنْظَرُهَا وَيُوبِقُ[٧]مَخْبَرُهَا غُرُورٌ حَائِلٌ وَضَوْءٌ آفِلٌ وَظِلٌّ زَائِلٌ وَسِنَادٌ مَائِلٌ حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ وَ ثَوَابِ الْعَمَلِ**)[٨]، ويحذّرهم الإمام عليه السلام منها لاختلاط الأمور فيها مخاطباً إيّاهم بالقول (**وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا لَمْ يُصْفِهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ**)[٩].

فما وجد في الدنيا من أموال وبنين لا يعدو كونه فتنة وابتلاء[١]، فالمال والبنون حرث لها (**وَلَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ**

---

[١] في قوله تعالى ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) (سورة الذاريات/٥٦).

[٢] في قوله تعالى ((وما هذه الحياة الدنيا إلا لهْو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)) (سورة العنكبوت/٦٤).

[٣] في قوله تعالى ((يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وإن الآخرة هي دار القرار)) (سورة المؤمن/٣٩).

[٤] ينظر : نهج البلاغة : قول ١٠٣، ص٤٨٦.

[٥] رنق : كدر.

[٦] رِدغ : كثير الوطن والوحل، والمشرع : مورد الشاربة للشرب.

[٧] يوبق : يهلك.

[٨] نهج البلاغة : خ٨٣، ص١٠٨.

[٩] م.ن : خ١١٣، ص١٦٧.

[١] ينظر : نهج البلاغة : قول ٩٣، ص٤٨٣-٤٨٤.

عوضاً)[2]، وأما الآخرة فحرثها العمل الصالح، **(وقد يجمعهما الله تعالى لأقوام)**[3]، فالمضادة بين الدارين "نوع من المضادة بين الناقص والكامل" [4].

ولذا يحذّرهم الإمام بتذكيرهم بآيات الله سبحانه [5]، فان الدنيا دار ابتلاء **(فما أخذوه منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه وما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه وأقاموا فيه فإنها عند ذوي العقول كفيء الظل بينا تراه سابغاً حتى قلص وزائداً حتى نقص)**[6]، فهذا التحذير "هو القدر الجامع والقاسم المشترك بين خطبة كلها أو جلّها، فقد نظر الإمام إلى الدنيا من خلال الموت، وبه قاس بهجتها وزينتها" [7].

ولم يكن تحذير الإمام **عليه السلام** لأمر غير قائم، فقد تحول الناس عن زمن النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** إلى الرغبة في الدنيا و الرضا بها داراً ومنزلاً، وقد نهى الله سبحانه عن الرضا بهذه الدنيا داراً، فقد أيقظت الفتوحات نفوس المسلمين بمظاهر الترف التي اطّلعوا عليها[8]، من زينة وقصور وجنان، شغلت تفكيرهم وحوّلتهم عمّا وعدهم الله تعالى به من جنان في الآخرة إلى حصر تفكيرهم في الدنيا، ولذا فقد تأثرت مصالحهم بسياسة الإمام **عليه السلام** وبدا منهم السخط بازائها لذا كان يقول الإمام **عليه السلام** **(إنَّ هذه الدُّنيا الَّتي أصبحتم تتمنَّونها وترغبون فيها وأصبحت تُغضبكم و ترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الَّذي خلقتم له ولا الَّذي دعيتم إليه ألا**

---

[2] م.ن : خ٣٢، ص٧٥.

[3] م.ن : خ٢٣، ص٦٥.

[4] في رحاب نهج البلاغة، مرتضى المطهري، الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٢: ١٨٤.

[5] نهج البلاغة : قول٩٣، ص٤٨٣-٤٨٤.

[6] م.ن : خ٦٣، ص٩٤.

[7] في ظلال نهج البلاغة : ٤١٦/١.

[8] ينظر : الفتنة الكبرى : ١٥٧/٢.

وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا وَأَطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا)[1].

والدنيا كما وصفها الإمام (حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ)[2]، فالدنيا دار عمل واعتدادوليست بدار جزاء ينظر إليها الإنسان ويجعلها هدفاً وغاية يسعى إليها، ومن جعلها كذلك كان من أهل الدنيا [3]، وما الدنيا إلاّ وسيلة توصل الإنسان إلى الآخرة.

ولذا يحذّر الإمام عليه السلام من الدنيا بذمها، ويسعى إلى تنفيرهم منها[4]، ويوصيهم بالقول (أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ وَأَمُّوا عَلَماً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ وَطَالِبٌ حَثِيثٌ مِنَ الْمَوْتِ يَحْدُوهُ وَمُزْعِجٌ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا رَغْماً)[5].

ومن هنا فالدنيا دار يبتلي فيها الله خلقه ليقيم الحجة عليهم، ويكشف ما هو اعلم به منهم، ويصف ذلك الإمام بقوله (أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً وَالْعِقَابُ بَوَاءً)[1].

---

[1] نهج البلاغة : خ١٧٣، ص٢٤٨.

[2] ينظر : م.ن : خ١١١، ص١٦٤-١٦٥.

[3] وقد وصفهم الإمام عليه السلام بقوله (أهل الدنيا كركبٍ يسار بهم وهم نيام). م.ن : قول٦٤، ص٤٧٩.

[4] ينظر : م.ن : خ١١٣، ص١٦٧.

[5] م.ن : خ٩٩، ص١٤٤.

[1] نهج البلاغة : خ١٤٤، ص٢٠٠-٢٠١.

أما الآخرة فإنها الغاية التي تقابل ما عمل الإنسان بالجنة والنار جزاءً (**فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ**)[٢]، فإن كان ترك الشهوات والأهواء والعمل بطاعة الله حاله في الدنيا فالجزاء هو الجنة [٣]، أما النار فهي مثوى المتكبرين، فالمتقون هم من (**أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا**)[٤].

ومن هنا يأتي خطاب الإمام **عليه السلام** تشويقاً لما أعدّ الله تعالى من ثواب وتخويفاً من عقابه بذكر ما بعد الموت والبعث وتحذيرهم من هول الصراط ومزالقه وما ينتظر الإنسان في الآخرة من جزاء، ولذا قال الإمام **عليه السلام** في وصف الدنيا والآخرة (**إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً وَلَا تُخْلِفُوا كُلًّا فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُمْ**)[٥].

وللآخرة مواقف كثيرة لا موقف واحد عليهم تذكرها والتفكير بها، والعمل لأجلها لا للدنيا، ولذا كان الإمام **عليه السلام** يأمرهم بالتجهّز للآخرة بقوله (**تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَئُوداً وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا**)[١]، لا سيما البعث بعد الموت حيث يخرجهم الله تعالى (**مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلًا صُمُوتاً قِيَاماً صُفُوفاً**

---

[٢] م.ن : خ١٥٧، ص٢٢١.

[٣] ينظر : م.ن : خ١٧٦، ص٢٥١.

[٤] م.ن : خ١٩٣، ص٣٠٤.

[٥] م.ن : خ٢٠٣، ص٣٢٠-٣٢١.

[١] نهج البلاغة : خ٢٠٤، ص٣٢١.

يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الِاسْتِكَانَةِ وَضَرَعُ الِاسْتِسْلَامِ وَالذِّلَّةِ قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ وَ انْقَطَعَ الْأَمَلُ وَهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً[2])[3]، فالجميع يخرجون في الآخرة حينذاك لموافاة الجزاء ثواباً كان أم عقاباً.

وتختلف موازين الآخرة عن موازين الدنيا، فإن (مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ)[4]، ولذا يحذرهم الإمام عليه السلام من اتخاذ ما يرونه في الدنيا ميزاناً للحكم على الإنسان بقوله (لَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ)[5]، ومثلها موازين الآخرة، فجنة الآخرة ليست كجنة الدنيا ولا نارها كذلك[6]، إذ يقول الإمام عليه السلام (الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى وَلَا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذَلِكَ مَعَهُ)[7].

ويحاول الإمام عليه السلام بخطابه الارتقاء بتفكير الخلق عما يرونه من أسباب النعم الدنيوية التي شغلتهم عن التفكر والشوق إلى نعيم الآخرة، فجعلتهم يأمنون عقاب الله تعالى، ويمنون عليه بطاعتهم، وهو ما أنبأ عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديثه عن الفتنة [1]، حيث انهم نسوا ما ذكروا به، وأمنوا ما حذروا منه من عذاب الله بما أمهلهم في الدنيا، فتاه عنهم الرأي وتشتت عليهم الأمر، حتى نسوا الآخرة.

---

[2] مهينمة : متخافية، والهينمة : الكلام الخفي.

[3] نهج البلاغة : خ٨٣، ص١٠٨-١٠٩.

[4] م.ن : خ١١٤، ص١٧٤.

[5] م.ن : خ١٩١، ص٢٨٤-٢٨٥.

[6] ينظر : م.ن : خ١٨٣، ص٢٦٧.

[7] م.ن : خ١٧٦، ص٢٥٥.

[1] ينظر : نهج البلاغة : خ١٥٦، ص٢٢٠.

ولذا يحاول الإمام **عليه السلام** لفت أنظار مخاطبيه وإثارة انتباههم للتبصّر في خلق جميل واحد من خلق الله تعالى وهو الطاووس مما لا يملكه إلا الملوك وعجزهم عن وصف جماله لينقلهم إلى معرفة ما لا تراه أعينهم في الجنان، ويحاول الإمام **عليه السلام** توصيل ذلك للارتقاء بهم إلى تخيل عالم آخر(٢)، وذلك التخيل للتقليل من هيمنة العالم المادي عليهم وما يرونه فيه، والى التفكر بما اعدّ الله للمطيعين مما لا تصل إليه الأذهان، وللارتفاع عن وصف الله سبحانه وتعالى وتصويره بأذهانهم فهو الذي صور كل شيء فأحسن تصويره(٣)، لذا يقول الإمام **عليه السلام** (**لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الْأَحْوَالِ وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ**)(٤).

توضيح العلاقة الصحيحة للإنسان بالدنيا :-

سعى الإمام **عليه السلام** إلى ترغيبهم في عمل الدنيا وحثهم على الإسراع فيه والتزود منها بزاد التقوى، إلا انه في الوقت نفسه عمل على تنفيرهم من الدنيا وتحذيرهم من عواقبها وترغيبهم في خير الآخرة وجزائها الذي يترتب على سعي الإنسان في الدنيا، فدعاهم الإمام **عليه السلام** إلى الزهد بالدنيا، فالدنيا دار ممر لا مقر(٥)، وحال الإنسان فيها كمن كان على سفر إذ لا بد له من العودة إلى دار البقاء والإقامة، ولكن بناءً على ما قدمه في سفره لا بمعزل عنه.

ولم تكن بغية الإمام **عليه السلام** منع الإنسان من نعم الله عز و جل، أو حرمانه من الطيبات فيها(١)، بل أراد صرفهم عن الاغترار بالدنيا والتشديد على نظرة الإنسان للدنيا والعلاقة التي تربطه بها، فالدنيا (**سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ وَجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا**

(٢) ينظر : م.ن : خ١٦٥، ص٢٣٨.

(٣) ينظر : م.ن : خ١٦٣، ص٢٣٣.

(٤) م.ن : خ١٨٦، ص٢٧٤.

(٥) ينظر : م.ن : قول ١٣٣، ص٤٩٣.

(١) في قوله تعالى ((قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق)) (الأعراف/٣٢).

إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا)[2]، فذمّ الإمام **عليه السلام** للدنيا هو "ذم العلاقة القلبية الموجبة لأسر الإنسان بيد الدنيا ومن في يده شيء منها" [3]، لا ذم الدنيا نفسها، فالدنيا محل تكريم الله عزّ وجل، وهي مسجد أحبائه ومصلى ملائكته ومهبط وحيه، ومتجر أوليائه، وهي دار صدق وعافية وغنى وموعظة، ولكن لمن نظر إلى حقائقها ولم يخدع بأباطيلها[4].

فمن اغترّ بالدنيا وهو يرى مصارع أهله فيها فلم يتذكر ولم يتعظ، ولم يذكره بلاؤها ببلاء الآخرة، ولم يشوقه سرورها إلى سرور الآخرة [5]، فأنه سيتحول إلى عبد مملوك للدنيا يعشق مباهجها بعد أن خلقه الله حراً طليقاً من القيود وأخلص طاعته وعبادته لله تعالى، ولذا يحذّر الإمام **عليه السلام** من ذلك بقوله **(وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ)**[1]، ولذا ورد قول الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** (الهوى أبغض إلهٍ عُبد على وجه الأرض)[2].

والدنيا لا تكذب على الإنسان ولا تغرّه، فله فيها من المواعظ ما يكفي ليراها على حقيقتها، ولكن الإنسان هو المغترّ بها المتغافل عن عظاتها، المتناسي لتذكيرها، ولذا يقول الإمام **عليه السلام (وَحَقّاً أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتِ وَآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ**

---

(2) نهج البلاغة : خ١٠٣، ص١٤٨-١٤٩.

(3) في رحاب نهج البلاغة : ١٧٤.

(4) ينظر : نهج البلاغة : قول١٣١، ص٤٩٢-٤٩٣.

(5) ينظر : م.ن : قول١٣١، ص٤٩٢-٤٩٣.

(1) نهج البلاغة : خ١٠٩، ص١٥٩-١٦٠.

(2) ينظر : شرح البحراني : ٤٣٢/١، وفي ذلك قوله تعالى ((أفرأيت من اتخذ إلهه هواه)) (الجاثية/٢٣).

بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلًّا)[٣].

وفي تزهيد الإمام **عليه السلام** لمخاطبيه بالدنيا "دعوة إلى مواجهة الحياة بواقعية وصدق" [٤]، وحثهم على التقوى والعمل الصالح فيها دون اللهاث وراء أحلام كاذبة وأباطيل زائفة فيها لا واقع لها، وذلك بغية تقويتهم على مواجهة الحياة بعد أن اصبح المجتمع متغافلاً عما ينتظره من مصير ومقبلاً على الثراء والطمع والاستزادة، واتباع الأهواء والشهوات التي عدّها القران الكريم مداخل للشيطان[٥]، ففي دعوته للزهد تغليب للنزعة الروحية عند الإنسان على النزعة المادية [٦].

ولذا يحاول الإمام **عليه السلام** تزهيدهم في الدنيا بالنظر إليها (**نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا الصَّادِفِينَ عَنْهَا**)[١]، على ان يكون ذلك الزهد نية قلبية لا لباساً يتزين به[٢]، فالزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة (**تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا**)[٣].

---

[٣] نهج البلاغة : خ٢٢٣، ص٣٤٥.

[٤] حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام : ٤٧.

[٥] ينظر : البيان في مداخل الشيطان، عبد الحميد البلالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٩٨٦ : ٥٠-٥١.

[٦] ينظر : فلسفات إسلامية، محمد جواد مغنية، دار التعارف، بيروت، ١٩٧٨ : ٣٤٣.

[١] نهج البلاغة : خ١٠٣، ص١٤٨.

[٢] ينظر : م.ن : خ٣٢، ص٧٥.

[٣] م.ن : خ١١٣، ص١٦٨.

ولذلك فقد جمع الإمام **عليه السلام** الزهد كله بين كلمتين من القرآن [٤] تحثان الإنسان على العمل في الدنيا، وانتظار الجزاء في الآخرة، لذا يذكرهم الإمام **عليه السلام** بآثار الأولين ويبصّرهم بآبائهم الماضين ليعتبروا بهم في الدنيا بعد ان يزهدهم بها قائلاً **(لَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا وَلَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ)**[٥]، فدعوة الإمام **عليه السلام** للزهد دعوة إلى سلامة القلب بإفراغه لعمل الآخرة[٦]، والى خلق حالة من التوازن عند الإنسان بين الدنيا والآخرة[٧]، كي لا تكون الدنيا قيداً يكبل الإنسان فيكون عبداً لها [٨].

الدعوة إلى عبادة الله:-

العبادة سلوك ينهجه الإنسان في الدنيا لتأدية المهمة التي خلق من اجلها الإنسان[١]، وهي "سلسلة من المراسم والطقوس والتقاليد والعادات والآداب والتعاليم"[٢]، التي يقوم الإنسان بتأديتها في الدنيا لنيل الجزاء عليها في الآخرة، الا انها وإن كانت أفعالاً جسدية، فهي كمالات روحية تطهر القلب من الأمراض التي تصيبه من نفاق وحسد...،

---

(٤) يقول الإمام علي عليه السلام (الزهد كله بين كلمتين من القران : قال الله سبحانه ((لكيلا تأسوا على ما فاتكم. ولا تفرحوا بما أتاكم)) ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي، فقد اخذ الزهد بطرفيه). نهج البلاغة : قول٤٣٩، ص٥٥٣-٥٥٤، (سورة الحديد/٢٣).

(٥) م.ن : خ٩٩، ص١٤٤-١٤٥.

(٦) ينظر : أصول الكافي : ١/٤٠.

(٧) ينظر : دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية، بيروت، ط٤، ٢٠٠١ : ٣٨٥.

(٨) الزهد في الدنيا صفة مدحها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من زهد في الدنيا أثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصّره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه سالماً إلى دار القرار). تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : ٥٨.

(١) في قوله تعالى ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)) (سورة الذاريات/٥٦).

(٢) في رحاب نهج البلاغة : ٦٣.

وتخلق لدى الإنسان القدرة على مواجهة الذنوب والتخلص من الرذائل ولكن على قدر معرفته ببواطن تلك العبادات وصلته الروحية بها، فالعبادة علاقة الفرد بخالقه عزّ وجل "لانها علاقة العبودية المطلقة، من حيث الطاعة والامتثال" [٣] بازاء الربوبية.

والعبادة يقظة للإنسان وانتباهة له، وسلوك له في دار الدنيا يبعده عن الغفلة فيها من خلال الاشتغال بطاعة الله تعالى، وذلك بذكر الله وتناسي ما سواه والعمل للآخرة، فقد جعل الله تعالى الذكر (**جِلاَءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ**[٤]**وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ**[٥]**وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ**)[٦]، فذكر الله تعالى يجلي القلب وينقي السريرة ويجعلها تصفو لربها، فلا تتشاغل عن موعظة.

أما الانقطاع عن عبادة الله عز وجل فإنه ينسي الإنسان نفسه [٧]، فالعبادة تجعل الإنسان ينتبه إلى نفسه ويشعر بنقصها وافتقارها فيعرف فيها معنى العبودية لله عزّ وجل، ومن عرف تمام العبودية والنقص في نفسه عرف الربوبية ، ووصل إلى معرفة الله تعالى معرفة قلبية، ومن ثم ستكون عبادة الإنسان خالصة لله عز وجل فيتحرر من كل ما سواها من مصائد الشرك بالله، "فالعبودية له هي الحرية، وفقدان الشخصية فيه هو وجدان للشخصية الواقعية"[١].

وقد اختار الله سبحانه وتعالى من خلقه أئمة عبدوا الله تعالى حق عبادته فجعلهم قّوامه على خلقه وعرفاء ُه على عباده[٢]، بعد ان علم منهم العبودية المطلقة التي كانوا يتفاضلون بها [٣]، وبمعرفتهم معرفة كاملة يتم إيمان المرء وتكون عبادته صادرة عن قلب

---

[٣] ظاهرة القسم في القران الكريم، فارس علي، أنوار الهدى، قم، ط١، ١٤١٤هـ : ٤٦.

[٤] الوقْرة : ثقل في السمع.

[٥] العشْوة : ضعف البصر.

[٦] نهج البلاغة : خ٢٢٢، ص٣٤٢.

[٧] في قوله تعالى ((نسوا الله فأنساهم أنفسهم)) (سورة الحشر/١٩).

[١] في رحاب نهج البلاغة : ١٩٥.

[٢] ينظر : نهج البلاغة : خ١٥٢، ٢١٢.

[٣] يقول الإمام زين العابدين (علي بن الحسين) عليه السلام (عبادتي عند جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه واله وسلم). شرح ابن أبي حديد : مجلد١، ٢٠/١.

سليم، ويمكن تلمس تلك العبودية عندهم من خلال الأدعية والمناجاة التي يتوجهون بها إلى الله سبحانه وتعالى لا بقصد تعليم الناس وتوجيههم فحسب –وإن كان هذا يشكل جانباً أساس– بل كانت تلك الأدعية تعبيراً عن المدى الذي وصلوا إليه في معرفتهم لله عزّ وجل.

وقد دلّ الله عز وجل عباده على عبادته بفرائض جعلها سبحانه وسائل موصلة للعبادة الحق[٤]، وأمر بتأديتها في مهمته العبادية لما لتلك العبادة من اثر تربوي وروحي في الهداية إلى الإيمان بالله تعالى، ولذا يذكرهم الإمام **عليه السلام** بها بالقول **(إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ[٥] الذَّنْبَ وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ)**[١].

ومثلها الدعاء الذي أمر تعالى به ففيه إشعار للإنسان بعبوديته وافتقاره في كل أمر لله عزّ وجل وتقوية ارتباطه به وتوجهه إلى الله تعالى بسد ذلك النقص من فيض جوده وعطائه وما يغمر به العبد عند توجهه للسؤال وعلى قدر توجهه[٢]، ولذا فقد كان الإمام **عليه السلام** يختم بعض خطبه بالدعاء [٣]، أو يكون جلّ خطابه دعاء يتوجه به لخالقه كما في خطاب الاستسقاء[٤].

---

[٤] قال أمير المؤمنين عليه السلام (ولا عبادة كأداء الفرائض). نهج البلاغة : قول١١٣، ص٤٨٨.

[٥] يرَحضان : يغسلان.

[١] نهج البلاغة : خ١١٠، ص١٦٣.

[٢] قال تعالى ((ادعوني استجب لكم)) (سورة غافر/٦٠)، وقال تعالى ((وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي)) (سورة البقرة/١٨٦).

[٣] ينظر : نهج البلاغة : خ٩١، ص١٣٥-١٣٦.

[٤] ينظر : م.ن : خ١٤٣، ص١٩٩-٢٠٠.

الدعوة إلى تقوى الله:-

إن تقوى الله تباك وتعالى "قوة روحية تتولد للإنسان من التمرين العملي الذي يحصل من الحذر المعقول من الذنوب"[٥]، وتبدأ بإشعار القلب بها [٦]، وتكرار الحذر بالتمرين والممارسة لتحويل تلك القوة إلى ملكة أصيلة تمكن الإنسان من امتلاك زمام نفسه، ولذا غالباً ما تكون تقوى الله عزّ وجل أول ما يدعوهم إليه الإمام **عليه السلام** عند اعتلائه المنبر[٧]، فالتقوى أقوى موجه للإنسان بسيطرته على ذاته ومراقبتها واجتناب الذنوب والمعاصي والحذر من تبعاتها الدنيوية والأخروية، إذ (**أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى**)[٨].

ولذا يوصي الإمام **عليه السلام** بالتقوى (**فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ**)[١]، وبالتقوى تستقيم الأقوال والأفعال، وبها تقبل الأعمال، ومن هنا يحث الإمام على العمل بجد[٢]، والسعي في الدنيا والابتعاد عن اللهو واللعب[٣].

ولكن على الإنسان أن ينتبه قبل العمل (**يَعْلَمَ أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ**)[٤]،

---

[٥] في رحاب نهج البلاغة : ١٣٦.

[٦] ينظر : نهج البلاغة : خ١٣٢، ص١٩٠.

[٧] ينظر : م.ن : قول ٣٧٠، ص٥٤٠.

[٨] م.ن : خ١٥٧، ص٢٢١.

[١] نهج البلاغة : خ١٩١، ص٢٨٤.

[٢] ينظر : م.ن : خ١٧٦، ص٢٠٢.

[٣] ينظر : م.ن : خ٨٦، ص١١٦.

[٤] م.ن : خ١٥٤، ص٢١٦.

فالعمل لا يقبل إلا بعد العلم بصحته، ولا يعرف ذلك إلا بالتمسك بالسبيل الموصل للتقوى وهو الإمام **عليه السلام**، فان التقوى (**لَهَا حَبْلًا وَثِيقاً عُرْوَتُهُ وَمَعْقِلًا مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ**)[٥]، وتقوى الله تجمع الخير كله فهي ما تميّز به أولياء الله تعالى ذكره، وبها النجاة في الدنيا والآخرة ونيل الدرجات، وعلى أساسها تقوم المفاضلة عند الله جل وعلا، والتقوى هي الزاد الوحيد الذي أمر الله تعالى بالتزود به للوصول إلى حسن العاقبة في الآخرة فهي (**الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ**)[٦]، ولا خير في زادٍ سواها.

ولذا يحثهم الإمام **عليه السلام** على التقوى بوصفها وبوصف من أراد التخلق بها تارةً [٧]، وبوصف من لازموها فأصبحوا من المتقين تارةً أخرى[٨]، ففي تقوى الله شفاء من كل داء [١]، ومنها يستمد الإنسان قوته للعمل بطاعة الله تعالى وإقامة الفرائض واتباع السنّة [٢]، ولذا تقترن دعوتهم لتقوى الله بالعمل بطاعته، فلا سبيل للتزود بها إلا بالزهد في الدنيا، ولذا نجد تشديد الإمام **عليه السلام** على دعوة مخاطبيه إلى الزهد بالدنيا فـ (**الزَّهَادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ وَالتَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ**)[٣]، بحثهم على العمل بما أمر الله تعالى به والانتهاء عما نهى عنه، ففي اجتماع ذلك الوصول إلى الحكمة التي تعد ضالّة المؤمن[٤]؛ إذ لا يمكن اتخاذها دليلاً على تقوى الإنسان، ولذا يوصيهم الإمام **عليه السلام** بالقول (**لَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا**)[٥].

---

[٥] م.ن : خ١٩٠، ص٢٨١.

[٦] م.ن : خ١١٤، ص١٦٩.

[٧] ينظر : م.ن : خ٨٣، ص١١١.

[٨] ينظر : م.ن : خ١٩٣، ص٣٠٣.

[١] ينظر : نهج البلاغة : خ١٩٨، ص٣١٢.

[٢] ينظر : السياسة الإدارية في فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بين الأصالة والمعاصرة، خضير كاظم، ١٩٩٩ : ١٣.

[٣] نهج البلاغة : خ٨١، ص١٠٦.

[٤] ينظر : شرح البحراني : ٤٥/٢.

[٥] ينظر : نهج البلاغة : خ١٩١، ص٢٨٤.

الدعوة إلى طاعة الله :-

طاعة الله هي الخضوع لله عز وجل، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه للخروج من ذلّ المعاصي إلى عزّ الطاعة، ولذا فقد قال الإمام **عليه السلام** **(من أراد عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، وغنى بلا مال، فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته)**[٦].

ولذا ينبّه الإمام **عليه السلام** الإنسان إلى ما خلق الله تعالى له من جوارح وأعضاء وأدوات يستخدمها في شبابه قبل هرمه وفي حياته قبل مماته[٧]، وهي في الوقت نفسه تنطق شاهدة على عمل الإنسان في يوم الحساب الذي تفحص فيه الأعمال وتجازى به الأفعال، ليؤدي حقّ هذه النّعم في العمل بطاعة الله سبحانه، فالدنيا عمل والآخرة جزاء، ولذا يذكّرهم الإمام **عليه السلام** **(اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ وَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ)**[١]، ولا سبيل إلى طاعة الله جل وعلا إلا بطاعة رسوله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** والوصي **عليه السلام** الذي قرن الله طاعته بطاعته[٢]، لكونه طريق الحق الذي لا يخرج من هدى ولا يقود إلى ضلالة.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى الولاية فرضاً واجباً على العباد لتعريفهم بمنزلة المطيعين لله تعالى حق طاعته، وهم ولاة الأمر **عليهم السلام** من جانب، وللإنعام على الخلق بدليل يجسّد صفات الحق ويسير بطريقه ليوصلهم إلى الكمال الذي خلقوا له من جانب آخر، فان الله سبحانه قد **(بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ**

---

[٦] انساب الأشراف : ١١٣. يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله من نقله الله من ذل المعاصي إلى عز الطاعة أغناه بلا مال أعزّه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس). تحف العقول عن آل الرسول : ٥٧.

[٧] نهج البلاغة : خ٨٣، ١١٠.

[١] نهج البلاغة : خ١٥٧، ص٢٢٢.

[٢] في قوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم)) (سورة النساء/٥٩).

مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ)[3] ، لذا فإن الطاعة كما قال رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** (ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن)[4].

وتتجسد طاعة الله عزّ وجل في التسليم له، فالإسلام الحق هو التسليم لأمر الله عز وجل بعدم إصدار حكم مع حكم الله تعالى ذكره[5]، أو سبقه بحكم[6]، أو التعقيب على حكمه[7]، ولذلك فقد جعل الله تعالى طاعة الإمام **عليه السلام** تجسيداً لطاعة الله عزّ وجل وتعبيراً عنها، فالإمام **عليه السلام** حجّة الله تعالى ذكره التي احتج بها على عباده، وما مروق الخوارج إلا دليلاً حياً على عدم الطاعة لله بمحاولة سبق الإمام برأيهم –وإن ندموا عليها فيما بعد– ظناً منهم انهم اعلم منه، واسبق إلى معرفة كلام الله، وتطبيق آياته وأحكامه، الأمر الذي جّرهم إلى الابتعاد عن الكوفة، وما تبع ذلك من مبتدعات تشديداً "على مروقهم النفسي عن التمسك بمحاسن التجمع السياسي والتظافر العسكري والاجتماعي بين المسلمين" [1]، على الرغم من محاججات الإمام **عليه السلام** لهم ومحاولاته لإرجاعهم[2].

ومن هنا نجد تشديد الإمام **عليه السلام** على الطاعة ونهيهم عن الكبر[3]، وتكراره في خطابه التنبيهي (**عباد** الله) لتذكيرهم انهم عباد لله محاولاً إلغاء الكبر في نفوسهم، وعندما لا يجدي ذلك نفعاً يحثهم على ترك التكبر عن عبادة الله بخطب كاملة يحاول بها استئصال هذه السمة منهم، ويذكرهم بما قابلت قريش به رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** فما نهجهم إلا امتداد لنهج سابقيهم، وما التكبر عن طاعة الإمام **عليه السلام** إلا

---

[3] نهج البلاغة : خ١٥٢، ص٢١٢.

[4] أصول الكافي : ٤٣/٢.

[5] في قوله تعالى ((لا يشرك في حكمه أحداً (سورة الكهف/٢٦).

[6] في قوله تعالى ((أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون)) (سورة العنكبوت/٤).

[7] في قوله تعالى ((لا معقّب لحكمه)) (سورة الرعد/٤١).

[1] صحائف من نهج البلاغة، محمد جعفر الكرباسي، الجاحظ، بغداد، ط١، ١٩٩١ : ١٧٨.

[2] الجمل وصفين والنهروان : ٣٩٧-٤٠١.

[3] وقد قال الإمام الصادق عليه السلام (أدنى الإلحاد الكبر). أصول الكافي : ٣٠٩/٢.

امتداد للتكبر عن طاعة الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم** انقياداً لإمام المتكبرين إبليس[٤].

ولذا فقد نهى الإمام **عليه السلام** المسلمين عن القول بالرأي[٥] -فقد كان أول الفتن كلاماً- الأمر الذي كان سبباً رئيس في اختلاف الناس[٦]، فلم تكن آراؤهم قليلة أو في مسائل عامة، بل كانت آراء عدة تجمعها مجالس[٧]، وتتناقلها أفواه تدعي المعروف وتضمر المنكر، ممّا له مساس بأمور العقيدة التي لا علم لأحد بها سوى من عيّنه الله تعالى ولياً لأمور المسلمين بعد النبي **محمد صلى** الله **عليه وآله وسلم**، ولذا كان الإمام **عليه السلام** يحاجج الفرق و يفند أقوالها وافتراءاتها التي تصل إلى وصف الله جلّ وعز وإثارة الشكوك حوله.

فقد تعامل القران مع وجود الله تعالى كأمر ثابت مودع في فطرة الإنسان[١]، أما بعد لانحراف العقائدي فكانت الحاجة شديدة لتصحيح أمور العقيدة ممّن تميّز بقوة العقيدة، ولذا كان الإمام **عليه السلام** يحاجج الفرق ويفند أقوالها وافتراءاتها التي تصل إلى وصف الله جل وعز وإثارة الشكوك حوله -وكانت إحدى مرتكزاته الرسالية-.

ومن هنا فقد كان الإمام **عليه السلام** يدعوهم لأخذ العلم من مصدره ، وهو القران الذي (**لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ**)[٢]، صامتاً وناطقاً[٣]، اللذين جعلهما الله ورسوله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** ثقلين لا ضلالة لمن جمعهما وتمسك بهما، فالإمام يأمر بما أمر به الله ورسوله، و ينهى عما نهى عنه الله ورسوله **صلى** الله **عليه**

---

[٤] ينظر : نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٢٨٥-٣٠٢.

[٥] ينظر : م.ن : خ٨٧، ص١٢٠.

[٦] ينظر : م.ن : خ١٨، ص٦٠.

[٧] ينظر : م.ن : خ٢٩، ص٧٣.

[١] ينظر : التوحيد، كمال الحيدري، جواد علي الكسار، دار فرقد، إيران، ط٣، ١٤٢٤هـ : ١/٤٠.

[٢] نهج البلاغة : خ١٥٢، ص٢١٢-٢١٣.

[٣] ينظر : م.ن : خ١٥٨، ص٢٢٣.

وآله وسلم ولذا فقد جعل الله الإمام **عليه السلام** مع أهل بيته سبيلاً لطاعة الله وركناً لتوحيده وآياته، فالكتاب وأهله (**صَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ**)[٤].

الدعوة إلى توحيد الله وعدم الشرك به:-

التوحيد أول أصول الدين ومرتكزاً لها، مثلما الولاية أساس دعائم الإسلام[٥]، فالتوحيد قوام الدين وأساسه الذي قام عليه "وهو نقطة التوازن التي إذا ما احتلت موقعها الصحيح فستكتسب جميع الأمور مواقعها الطبيعية، وإلا سيصاب كل شيء بالخلل" [٦].

وأساس عقيدة التوحيد هي التحرر من كل قيد إلا من طاعة الله، فكلمة الإسلام (لا اله إلا الله) نفي وإثبات، بإثبات الله ونفي ما سواه[١]، فالإسلام دين التوحيد في اشد معانيه صفاء وقوة وبساطة ووضوحاً[٢].

لقد فطر الله تعالى الخلق جميعاً على وجوده [٣]، ولذا لم يحتج الأنبياء في مهمتهم إلى إثبات وجود الله، بل إلى توحيده ونفي الشرك به.

والإمامة هي الشرط الرئيس للتوحيد، والإمامة هي الطريق الموصل إلى التوحيد الحق[٤]، ولذا فقد كان ابتعاد الناس عن خط الإمامة إيذاناً بانحراف عقائدي بدأ باتباع

---

[٤] م.ن : خ١٤٧، ص٢٠٤.

[٥] ينظر : أصول الكافي : ٤٢/٢.

[٦] التوحيد : ٤٥٣/١.

[١] في رحاب نهج البلاغة : ١٩٠.

[٢] ينظر : حياة محمد : ١٧.

[٣] يروى عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى ((فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون)) (سورة الروم/٣٠)، انه قال (فطرهم جميعاً على التوحيد) ويروى أيضاً انه قال عن الفطرة : (هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال ((ألست بربكم)) وفيه المؤمن والكافر). وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله (كل مولود يولد على الفطرة، يعني المعرفة بأن الله عز وجل خالقه). ينظر : أصول الكافي : ٣٥/٢-٣٦.

[٤] التوحيد : ٤٥٩/١. ويروى عن الإمام الرضا عليه السلام انه روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)، ثم تبعها بالقول (إن للا إله إلا الله شروطاً، وإني من شروطها).

أهواء وآراء وابتداع أحكام واجتهادات في دين الله [٥] – إلا ما كان ينقل إلى **أمير المؤمنين عليه السلام** فيجلي الأمر ويحفظ للإسلام هيبته-، ثم انتهى الأمر بتفرق وتحزب وتشتت في دين الله تعالى، وانحراف عنه، بعد ان كانت الفتوحات ومستجدات الأحداث، والاختلاط مع أهل الديانات السابقة ولا سيما اليهود، ومحاولاتهم العديدة لتشكيك الجهلة بأمور العقيدة، وتضليلهم لإبعادهم عن الحق، وذلك لإضعاف هيمنة الإسلام على الديانات الأخرى؛ دافعاً لتلك الفرقة.

ولذا كانت حروب الإمام **عليه السلام** عند توليه الحكم حروباً عقائدية تثبيتاً لعقيدة التوحيد بطاعة الإمام **عليه السلام** وقتال الخارجين عنها [١] بتثبيت حقّ الإمامة.

ويتصل تنفير الناس من الدنيا في خطاب الإمام **عليه السلام** بدعوتهم لتوحيد الله سبحانه لتحويلهم من عبادة المال وطاعة الآراء والسير بالأهواء، وجميعها شرك بالله إلى توحيده، فالتوحيد والشرك يصاحبان الإنسان في كل تصور يخطر في ذهنه ويصاحبان حركته في الحياة، ولا سيما ان الشرك بالله منه ما هو ظاهر ومنه ما خفي[٢].

وقد كانت بعض خطب الإمام **عليه السلام** في التوحيد بحوثا عقائدية "تقرب من حد الإعجاز" [٣]، لتصحيح أمور العقيدة التي خص الإمام **عليه السلام** بالعلم بها، حتى ككلت دليلاً ناطقاً حياً وحجة ثابتة على المنصب الإلهي الذي خص به، وعلمه الذي لا

---

[٥] ينظر : الفتنة الكبرى : ٤٤.

[١] يرد عن الإمام علي عليه السلام وهو في لجة المعركة من يوم الجمل، وإذا برجل يسأله : يا أمير المؤمنين، أتقول ان الله واحد؟ فما كان من الناس إلا حملوا عليه، متذرعين بان الساحة ساحة معركة، والساعة ساعة حرب واحتدام سيوف لا سؤال ولا معرفة، وقالوا :يا أعرابي، أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم النفس؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : دعوه، فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم، علام نحاربهم؟ نحاربهم على التوحيد الحق بمكوناته ولوازمه). بحار الأنوار : ٣/٢٠٦، نقلاً عن التوحيد : ٧/١.

[٢] قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام (الإشراك في الناس أخفى من دبيب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة). تحف العقول عن آل الرسول : ٤٧٨.

[٣] في رحاب نهج البلاغة : ٣٥.

يدانيه علم، وحفظه للشريعة و تثبيته للعقيدة بحفظ القران الذي خصّ وأهل بيته من بعده **عليهم السلام** بحفظه[٤].

والإمام **عليه السلام** هو المخصوص بشرح حقائق التوحيد التي لا تخالطها الشّبه، فقد جاءت بحوثه في التوحيد بحوثاً علمية تفنيداً للعقائد المحّرمة وما حاولوا نحله وهو الواضح في تنزيهه سبحانه عنها بقوله (**كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ**[٥] **حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ وَجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ**)[١]، مثلما كان بعضها تصحيحاً للاعتقادات الخاطئة من سحر وكهانة وسواها[٢].

وفي خطابه التوحيدي لفت لأنظار مخاطبيه إلى تأمل العالم المحسوس، والنظام الذي خلق الله سبحانه وتعالى به الكون والقدرة التي تسيّره، وما أودع الله سبحانه مخلوقاته من آثار الحكمة الإلهية، فكل ما في الكون مرآة تظهر كمال الخالق وحكمته وتدبيره، وهو سبحانه (**الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ وَالْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ**)[٣]، ولا مدبر سواه (**فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ**)[٤]، مثلما في الخطاب إثارة لدفائن العقول وحثها على التفكير لتثبيت العقيدة، وتقوية الإيمان بالغيب، ببحوث إلهية يحثهم فيها على التفكير في الخالق، وفي القرآن الذي أمر بتدبره[٥]، لتفعيل آياته والإيغال في مسائله، ولا سيما بعد نضج العقل البشري واستعداده لتقبل تلك العلوم، وحثهم على عدم

---

[٤] في قوله تعالى ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)) (سورة الحجر/٩).

[٥] نحلوك : أعطوك صفاتهم الخاصة.

[١] نهج البلاغة : خ٩١، ص١٢٦.

[٢] ينظر : م.ن : خ٧٩، ص١٠٥.

[٣] م.ن : خ٢١٣، ص٣٢٩-٣٣٠.

[٤] م.ن : خ٩١، ص١٢٦.

[٥] قال تعالى ((أفلا يتدبرون القران أم على قلوبٍ أقفالها)) (سورة محمد/٢٤).

الاكتفاء بظاهره الأنيق، فالقرآن **(ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ)**(٦).

فكان أول واضع لأصول التوحيد، وعلم الكلام الذي اشتهر به المعتزلة بعد ان استنبطوا أدلتهم بعقولهم من خطاب الإمام **عليه السلام**(٧)، مثلما وضع أصول النحو(٨)، وسواه من العلوم التي عرفها العرب في العصور التالية (٩).

---

(٦) نهج البلاغة : خ١٨، ص٦١.

(٧) بهج الصباغة : ٢٣٢/٢.

(٨) مصادر نهج البلاغة : ١٠٢.

(٩) ينظر : شرح ابن أبي حديد : مجلد١، ١٦/١-١٧.

الخطاب السياسي

لم يكن للعرب كيان سياسي سابق للدين، فالسياسة نشأت وترعرعت في كنف الدين وعليه أقيم أساسها [١]، ولا يمكن فصل امتزاجهما معاً، إذ تشكل الخلافة في شكلها الخارجي "سلطة سياسية، ومنصباً دنيوياً"[٢]، إلا أن الخلاف على الإمامة بعد وفاة الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، وكان أعظم خلاف في الأمة الإسلامية [٣] قد جرّ إلى الفصل بينهما.

وقد حاول الإمام **عليه السلام** منذ توليه زمام الأمور إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح، بعدما لعبت الأهواء السياسية دوراً خطيراً في الحياة الدينية نفسها"[٤]، فالإمامة قيادة سياسية روحية للأمة الإسلامية[٥]، للسير بها في طريق الحق الذي لا ضلالة بعده والحكم بالعدل بين المسلمين وإزالة ما اختلفوا فيه، وقد تضمّن خطاب الإمام السياسي الموضوعات الآتية:

نظرته للخلافة:-

يشدد الإمام **عليه السلام** على الخلافة بوصفها قيادة للمسلمين، إلا أننا نجد في خطاب الإمام **عليه السلام** نظرتين للخلافة، يشدد الإمام **عليه السلام** في إحداهما على حقّه في الخلافة [٦]؛ لأنها منصباً إلهياً خصّ به بوصفه خليفة لرسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** وولياً لأمور المسلمين من بعده ووصياً يحمل علمه، ويطالبهم بأداء ما عليهم من حقّه[٧].

---

[١] ينظر : فن الخطابة وتطوره عند العرب، ١٣٠.

[٢] خلفاء الرسول : ٤١٦.

[٣] ينظر : الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق : محمد بدران، مصر، ١٩٥٦: ١/٣٠.

[٤] حياة محمد : ٤٧.

[٥] ينظر : دولة الإمام علي ع، محسن الموسوي، دار البيان العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣ : ٢٨٩.

[٦] ينظر : نهج البلاغة : خ٧٤، ص١٠٢.

[٧] ينظر : م.ن : خ٣٤، ص٧٩.

ويزهد الإمام **عليه السلام** بهذه الخلافة في الأخرى حتى لا تصل قيمتها عنده إلى نعلٍ يخصفه لا قيمة له، ولذا يقول الإمام **عليه السلام** لابن عباس (**وَاللَّهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلاً**)[1]، وذلك بعد أن أصبحت الخلافة دنيا يتكالبون عليها، ولذا قال الإمام عليه السلام (**أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ**)[2].

ولولا منصب الإمام الرسالي للقيام بالحق لكان أول الرافضين لها، ومن هنا لم تكن الخلافة للإمام مطلباً إلا لاختلاف أمور المسلمين (**اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِالصَّلَاةِ**)[3].

التشديد على شكل البيعة: -

على الرغم من حق الإمام **عليه السلام** في الحكم السياسي لنص النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** عليه خليفة من بعده[4]، إلا ان علم الإمام **عليه السلام** بنوايا نفوسهم دفعه إلى اشتراط البيعة في المسجد بعد تردّده في قبولها، لتكون بحضور الجميع، فلا تكن لناكث عليه حجة، ولم يمض اكثر من اشهر حتى نكثت البيعة أول يدٍ مدت لتصافح يد الإمام **عليه السلام**.

---

(1) نهج البلاغة : خ٣٣، ص٧٦.

(2) م.ن : خ٣، ص٥٠.

(3) م.ن : خ١٣١، ص١٨٩.

(4) ينظر : أصول الكافي : ١/٣٢٤-٣٣٠.

فقد كانت بيعة الإمام عليه السلام إقبالاً لم يسبق له فيصفه الإمام عليه السلام بالقول (وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَ سَقَطَ الرِّدَاءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ[1] إِلَيْهَا الْكَبِيرُ وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ)[2]، فلم يجبر على بيعته أحداً، ولم يضغط على أحد أو يكره أحداً، بل كانت بيعتهم له بيعة جماعية بحماس واندفاع، لم يتخلف عنها إلا قلة من الناس، ويصفها بقوله (فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا وَنَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا)[3]، ولذا فقد كان الإجماع على بيعة الإمام حجة يحتج بها على من خالفه من أهل البغي، إذ يقول الإمام (لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ)[4].

ولذا لم يقبل الإمام عليه السلام بعودة ناكث لأنه يعلم الغدر الكامن وراء عودته بعد إلقاء الحجة عليه، إذ يصف الإمام كف مروان التي بايعه بها ثم اخلف فأطلقه بعد أن شفع له الحسنان عليهما السلام (لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ)[5].

ويشدد الإمام عليه السلام على جوهر البيعة لكونه الإمام الحق الذي لا يظلم عنده أحد بالقول (لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى

---

[1] هدج : مشي مشيه الضعيف في ارتعاش.

[2] نهج البلاغة : خ٢٢٩، ص٣٥٠-٣٥١.

[3] م.ن : خ١٣٧، ص١٩٥.

[4] م.ن : خ١٧٣، ص٢٤٨.

[5] م.ن : خ٧٣، ص١٠٢.

أَنْفُسِكُمْ وَايْمُ اللَّهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهاً)[1].

ويفند الإمام عليه السلام بيعة اعدائه، ويؤكد شراء معاوية لذمم بعضهم وبيعته بأموال المسلمين، إذ يصف بيعة عمرو بن العاص لمعاوية [2] (وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ)[3]، وفي ذلك تشديد على عدم استخدام الإمام عليه السلام لقوة التهديد أو الوعيد لإجبارهم على البيعة، إذ لم تكن بيعته إكراهاً لتكون طاعته تظاهراً.

التشديد على الدستور الذي يعمل به: –

يشدد الإمام عليه السلام في خطابه على الدستور الذي يعمل به وهو القرآن الكريم وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي سار فيها بعلمه الرسالي الذي لا يحتاج معه إلى نصح أو مشورة من أحد، ولذلك كانت سياسة الإمام عليه السلام اتباعاً لآيات القران الكريم، وإضفاءً للفاعلية على آياته، واقتداءً بالسنة الشريفة للرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم التي أحياها بنهجه، وقد تعهد الإمام عليه السلام أول بيعته بالعمل بكتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ)[4]، مستمداً من القرآن والسنة سياسته الرسالية كما يستمد منهما أحكامه الدينية فهو الأعلم بهما، إذ ما من متدبرٍ لمعاني القرآن وأحكامه ولا متابع للسنة وحافظ لها يفوق الإمام علي عليه السلام، فكتاب الله تعالى مع الإمام (قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ

---

[1] نهج البلاغة : خ١٣٦، ص١٩٤.

[2] ينظر : شرح البحراني : ١/٢٣٧.

[3] نهج البلاغة : خ٢٦، ص٦٨.

[4] م.ن : خ١٦٩، ص٢٤٤.

مَنْزِلَه)[1]؛ والإمام عليه السلام هو الأحق بسنّة رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**[2]، ولذا يحثهم على لزوم السنة القائمة بقوله **(فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ)**[3].

ويخاطب الإمام **عليه السلام** من عاتبه على ترك المشورة بقوله عن الخلافة انها لما **(أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ وَمَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَاقْتَدَيْتُهُ فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)**[4].

طاعة الله حق متبادل بين الوالي ورعيته:-

ميّز الله تعالى الإنسان بالعقل من سائر مخلوقاته، وجعله راعياً مسؤولاً عن كل ما تقع عليه يداه وما يتّصل به، حتى البقاع والبهائم[5]، ولذا قال رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** (كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته)[6].

وتعد طاعة الإمام **عليه السلام** فريضة أوجبها بوصفها حقاً واجب الأداء على الخلق جميعاً بازاء الخالق، بعد أن قرن الله تعالى طاعة ولي أمره بطاعته وطاعة رسوله **صلى الله عليه وآله وسلم**[7]، لما علم منه سبحانه من السير بطاعته وعدم الخروج عنها.

إلا ان آية الطاعة قد تحولت إلى شعار يتمسك به كل من سمح لنفسه بولاية أمور المسلمين بعد تحويلها إلى ولاية عامة دون ان تلزمه تلك الولاية بأمر، فالطاعة حق واجب

---

[1] نهج البلاغة : خ٨٧، ص١١٩.
[2] ينظر : م.ن : خ١٢٥، ص١٨٢.
[3] م.ن : خ١٣٨، ص١٩٦.
[4] م.ن : خ٢٠٥، ص٣٢٢.
[5] ينظر : م.ن : خ١٦٧، ص٢٤٢.
[6] سنن الترمذي : ١٢٤/٣.
[7] في قوله تعالى ((أطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم)) (سورة النساء/٥٩).

على لرعيةيفرض بالقوة عليهم بازاء الوالي أيّاً كانت سمته ومهما كانت هويته، إذ كانت مسؤولية من جانب واحد. وقد كان ذلك صحيحاً لو سار الأمر كما أراد الله تعالى، أما بعدما ظهر للناس جميعاً من أمر عثمان، فقد حاول الإمام **عليه السلام** معالجة هذا التحول بإعلانه في خطابه ان الطاعة حق متبادل بين الإمام ورعيته مثلما هي فريضة واجبة على كلا الجانبين، وصلاح أحدهما متوقف على صلاح الآخر ومدى طاعته لله عزّ وجل[1]، وتشديده على ان لا طاعة إلا للإمام الذي تصب طاعته في طاعة الله تعالى مذكّراً إيّاهم بقاعدة اقرها الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** من قبل بقوله **(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)**[2].

وقد كان الإمام **عليه السلام** علن الحق أقوالاً وأفعالاً، علماً وحكمة، تعليماً وتأديباً، نصائح ومواعظ، أوامر ونواهي –هذا في مجال الخطاب– لأداء حق طاعته لله تعالى، مع **(إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالِاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا)**[3]، فكان بتحمله لرعيته وصبره على ما يلاقيه منهم من إجحاف ابتلاء له[4]، سبباً لنيل الرفعة والدرجات العالية في الجنان، فتكليف الإمام **عليه السلام** ارتقاء به إلى الدرجات العالية في دار البقاء.

أما الحق الواجب على الرعية بازاء الإمام **عليه السلام** فهو السير خلف راية الحق التي يحملها ولي الأمر والتسليم والطاعة لكل أمر دون اعتراض أو تردد أو شك، تدليلاً على أفضليته وكرامته عند الله فان دعا أجابوا، وإن أمر أطاعوا، فالإمامة نعمة هداية من الله للعباد إلى طريق الحق، وقد جعلها الله سبحانه **(نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ)**[1]، وفي

---

(1) ينظر: نهج البلاغة: خ٢١٦، ص٣٣٣.

(2) م.ن: قول ١٦٥، ص٥٠٠.

(3) م.ن: خ١٠٥، ص١٥٢.

(4) ينظر: م.ن: خ٢٧، ص٦٩.

(1) نهج البلاغة: خ٢١٦، ص٣٣٣.

أداء الرعية لحق الوالي تعبير عن طاعتهم لله ورسوله **صلى الله عليه وآله وسلم** من جانب، وعن منزلته وعصمته المرتبطة بعصمة رسوله **صلى الله عليه وآله وسلم** من جانب آخر[٢]، إلا أن الإمامة ابتلاء لصدق العبادة وحقيقة الطاعة، وحجة على العباد، فتكليف الرعية حق يسألون عنه بازاء الأئمة المخصوصين الذين (**هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ وَ فِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ**)[٣].

ومن هنا فالطاعة حق متبادل المسؤولية بين الطرفين ، لذا يقول **عليه السلام** (**إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ**)[٤].

وقد سعى الإمام **عليه السلام** إلى معالجة السمات التي تقف حائلاً دون الطاعة من كِبر وغل وحقد ومطالبتهم بالطاعة بكونها حقاً واجباً يتحمل العبد بازائه الجزاء منه سبحانه، فلا ترغيب في تلك الطاعة بهدايا أو أشياء مادية، ولا تهديد بمعاقبة الممتنعين عنها. ويثبت الإمام **عليه السلام** كون الجزاء في الآخرة مترتباً ثواباً وعقاباً على ما كان الناس ولذا نجد أن الإمام يقسم خطابه إلى مطيعين وعاصين فيمدح المطيعين ويطلب مناصحتهم[٥]، ويحذر العاصين من مغبّة فعلهم.

وقد كان تحريرهم من العبودية وإخراجهم إلى طاعة الله عزّ وجل أمراً أعلنه الإمام **عليه السلام** في أواخر خطبه (**لَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ**

---

[٢] الألفين، العلامة الحلي (٧٢٦هـ)، كيميا، إيران، ط١، ١٤٢٥هـ : ١٠٣.

[٣] نهج البلاغة : خ٢، ص٤٧.

[٤] م.ن : خ٣٤، ص٧٩.

[٥] ينظر : م.ن : خ١١٨، ص١٧٥.

وَرَائِكُمْ وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ الذُّلِّ وَحَلَقِ الضَّيْمِ شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ وَإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ وَشَهِدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ)[١].

تفنيد الخصوم السياسيين:-

يفند الإمام عليه السلام في خطابه من كان يضع نفسه في مقابل الإمام عليه السلام ليكون له ندّاً، ولا سيما أولئك الذين كانوا يحاولون إثارة بلبلة ليدفعوا الناس بكلامهم إلى الشك في قائدهم.

يفنّد الإمام عليه السلام معاوية إمام الضلالة الذي يستخدم ذكاءه في غير الحق -بعكس الإمام عليه السلام- ومثله تعامله مع أصحابه ليكشف لأنصاره حقيقة الاندفاع الذي يرونه من أصحاب معاوية، فما ذلك إلا لان ما يدعوهم له لا يتنافى مع هوى أنفسهم[٢].

ويوضّح الإمام عليه السلام ما كان يعدّه الناس ذكاءً من معاوية وما هو إلا شيطنة[٣]، بأنه سير بغير الحق، فقد استولى على قلوب أهل الشام بأمواله، "واشترى دينهم بدراهمه"[٤]، وهم أعراب أهل الشام الجفاة الطّغام[٥]، بنهج يتفق مع هوى نفوسهم – بعكس الإمام علي عليه السلام-، فإن غضب وأعلن الحرب فذلك بدافع التعصب والثأر، وإن دعا فإلى الضلالة التي توافق شهواتهم، ولم يذكر لهم الحق ولم يخاطبهم به[١]، فقد (عَمَّسَ[٢] عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ)[٣]، مع كل بني أمية

---

[١] نهج البلاغة : خ١٥٩، ص٢٢٤.

[٢] ينظر : م.ن : خ٢٥، ص٦٧.

[٣] ينظر : أصول الكافي : ٢٨/١.

[٤] عصر الانطلاق (الخلفاء الراشدون) : ٢٥٢/٢.

[٥] ينظر : نهج البلاغة : خ٧٥، ص١٥٥.

[١] ينظر : أئمة أهل البيت : ١٦١.

[٢] عمّس عليهم الخبر : أبهمه عليهم وجعله مظلماً.

[٣] نهج البلاغة : خ٥١، ص٨٩.

بسابقة الإمام عليه السلام[٤]، حتى أوغر قلوبهم على الإمام عليه السلام وأشعل نار الحقد والكراهية عليه فانقادت له الشام بأسرها [٥].

ويرّد الإمام عليه السلام على مزاعم معاوية[٦] ويفنّد سماته التي كان يدّعي بها التفوق على الإمام عليه السلام فيقول (وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ وَلَا أُسْتَغْمَزُ[٧] بِالشَّدِيدَةِ)[٨].

ويرد الإمام عليه السلام على مزاعم عمرو بن العاص، ويفند أقواله بالقول (عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَنَطَقَ آثِماً أَمَا وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ وَيَخُونُ الْعَهْدَ وَيَقْطَعُ الْإِلَّ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا)[٩]، ومثله الفئة الباغية [١٠].

ويحتج الإمام لحقه وأهل بيته عليهم السلام فهم المخصوصون بالخلافة الشرعية بحجج دامغة تفند الخصم وتثبت أحقّيته وأهل بيته من بعده بالأمر، وبرهان قاطع لا يمكن لأحد إنكاره، ليفنّد ما احتجّ به سابقوه، وليسترد ما دار على ألسنة الجميع من ألقاب خصّت به، نحو قوله عليه السلام (نَحْنُ الْأَصْحَابُ وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ وَلَا تُؤْتَى

---

[٤] ينظر : م.ن : خ٧٥، ص١٠٣.

[٥] ينظر : سيرة المرتضى : ٣٢٠.

[٦] ينظر : نهج البلاغة : خ٨٤، ص١١٥.

[٧] لا أستغمز : أي لا أستضعف.

[٨] نهج البلاغة : خ٢٠٠، ص٣١٨.

[٩] م.ن : خ٨٤، ص١١٥.

[١٠] ينظر : م.ن : خ١٣٧، ص١٩٤.

الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً)[1]، ويقول محتجاً بشجاعته (**أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ)**[2]، فإن كانت الشجاعة ما يجب توفره في القائد فمن الإمام **عليه السلام** نبعت، وعنه صدرت.

التشديد على صاحب الحق في تولي أمور الأمة الإسلامية:-

لقد خصّ أهل البيت **عليهم السلام** بولاية أمور المسلمين وهم الأحق بها، ولذا لا يمكن معرفة صاحب الحق إلا بمعرفة الحق نفسه، فالحق أهلية وكفاءة لا توجد عند سواه، والكفاءة التي ينبغي أن تكون عند الإمام **عليه السلام** هي قوة ربانية تشكل الشجاعة جانباً منها تساعده على قيادة الأمة الإسلامية، مثلما هي علم رسالي لا يخطئ معه بحق أحد، ولذا يخاطبهم بالقول (**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ)**[3].

فنجد الإمام **عليه السلام** يضع هذه السمات أمام الناس في خطابه ليتسنى لهم معرفة صاحب الحق الأول بالخلافة الذي يكون أقوى الناس وأكثرهم قدرة على السياسة وأكثرهم علماً بمواقعها [4]، ويتجاوز ذلك إلى تنزيه الأحق بالإمامة عن السمات المخلة بالحكم من بخل وجهل وقطيعة وظلم ورشوة وتعطيل، وذلك حين يقول (**وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ وَلَا**

---

[1] نهج البلاغة : خ١٥٤، ص٢١٥.

[2] م.ن : خ١٩٢، ص٣٠٠.

[3] م.ن : خ١٧٣، ص٢٤٨.

[4] ينظر : شرح البحراني : ٢/١٤٠.

الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ وَلَا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ)[1].

والحق مرتبط بالإمام عليه السلام فمحلّه من الخلافة (مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى)[2]، وقد كان سلبه لهذا الحق (أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ)[3]، ومن هنا لم تكن طاعة المسلمين لأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طاعة لشخص، بل طاعة لله سبحانه وتعالى [4].

ولذلك فقد جعل الله عز وجل للإمام عليه السلام السوط والسيف، فأما السوط فقد أدّب به المصرين على ارتكاب المعاصي ولذا يقول (أَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا)[5]، ويشير الإمام عليه السلام هنا إلى اشتراط العصمة من الذنوب فيمن يتولى الأمر[6]، وهو ما وجد عنده والأئمة من ولده عليهم السلام الذين اذهب الله عنهم الرجس.

وأما السيف فقد توعّد به أهل الباطل قائلاً (فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِراً لِلْحَقِّ)[7]، حتى قاتل به الناكثين والقاسطين والمارقين بعد إقامة الحجة عليهم، إذ يقول (أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكْثِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ

---

(1) نهج البلاغة : خ١٣١، ص١٨٩.
(2) م.ن : خ٣، ص٤٨.
(3) م.ن : خ١٦٢، ص٢٣١.
(4) م.ن : خ١٩٢، ص٢٨٥-٣٠٢.
(5) م.ن : خ١٨٢، ص٢٦٣.
(6) ينظر : بهج الصباغة : ٢/٥٥٦.
(7) نهج البلاغة : خ٢٢، ص٦٤.

فَقَدْ جَاهَدْتُ وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ وَرَجَّةُ صَدْرِهِ وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ)[1].

التّشديد على سياسة العدالة التي يتبعها:-

العدالة بين الناس سياسة سار فيها الإمام **عليه السلام**، وسبب أساس لتخصيص منصب الإمامة بأهل بيت العصمة بوصفهم أعلاماً للسنّة، إذ ان (**أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وَهَدَى فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ**)[2]، فالعدل يضع الأمور في مواضعها الصحيحة[3]، ولذا يشدد الإمام عليه السلام في خطابه على عدله وسيره بالحق دون هوادة.

وأكثر ما كان تشديد الإمام **عليه السلام** على سياسته بشكل فعلي أي بعد أن سار فيها وشهدها الجميع لا بوعود مسبقة بما سيعمل به، لذا يقول **عليه السلام** (**أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي**)[4].

ويردّ الإمام **عليه السلام** على من طلب منه تغيير سياسته (**أَ تَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ وَاللَّهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ**)[5].

---

(1) نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٢٩٩-٣٠٠.

(2) م.ن : خ١٦٤، ص٢٣٤-٢٣٥.

(3) ينظر : م.ن : قول٤٣٧، ص٥٥٣.

(4) م.ن : خ٨٧، ص١٢٠.

(5) م.ن : خ١٢٦، ص١٨٣.

وقد جعل الإمام **عليه السلام**سياسته إعلاناً، فكان يعلن ما يجري في مجلسه ممّا لا يطّلع عليه سائر الناس، إلا انه يتصل بشكل مباشر بعدالته وبموقف الناس منها، فيعلنه ليكون لهم به انتفاع، محاولاً إخراس التقولات وقطع دابر الشك والقضاء على الفتن ويريده الإمام **عليه السلام** ان يكون موعظة لهم، ومنها موقفه من أخيه وردّه عليه، ومحاولة أحدهم تقديم هدية ورفضه لها شارحاً موقفه، معلناً قوله (**وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى**)[1].

وقد كان العدل والمساواة بين الناس نهجه القويم الذي سار فيه، إلا أن تطبيق العدل أمر صعب مع تغير نفوسهم [2] "في زمن كانت القبلية والوجاهة قد استعادتا من أنفاسهما ما كان الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** قد أخمده" [3]، إلا أن الإمام لا يرضى بغير العدل بديلاً، ولا يسير إلاّ بما سار به رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**، فلا يثنيه عن ذلك عتب عاتب على مساواته بمن دونه مرتبة[4]، ولا يحاول إصلاحهم بإفساد نفسه.

ولم يقبل الإمام **عليه السلام** بغير الحق، وكان الحق دينه وديدنه، فالجميع أمام الحق سواء لا فرق بين رحمٍ أو سبق، قريب أو بعيد، عربي أو موالٍ، فكان يعلن (**وَاللَّهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبِلَى قُفُولُهَا وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا**)[1]، وقد كان العدل سبباً في تأليب الخصوم عليه بعد تضرر مصالحهم بسياسته،

---

(1) نهج البلاغة : خ٢٢٤، ص٣٤٧.

(2) ينظر : م.ن : خ١٣٣، ص١٩٢.

(3) الإمام علي ومشكلة نظام الحكم : ٢٤.

(4) نهج البلاغة : خ٢٠٥، ص٣٢٢.

(1) نهج البلاغة : خ٢٢٤، ص٣٤٦.

وذهاب هيبتهم بمساواتهم بسواهم من الناس، وعدم موافقتهم للهدي الذي سار به الإمام عليه السلام (لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى)[٢].

التشديد على الفتن مبتدؤها وسيرها وعواقبها الوخيمة:-

يحاول الإمام عليه السلام في خطابه تحديد كيفية ابتداء تلك الفتن وانتقالها، ليتحول إلى المستقبل بالتحذير من عواقبها، والفتنة "ظاهرة سياسية" [٣]، إلا انها معّوقة لنهج الإسلام والمسبب الرئيس لانحرافه عن الطريق الحق الذي أراده الله، وقد كانت فتنة مقتل عثمان فتنة شاملة في مجتمعٍ سرت روح الشك بين أفراده.

ولذا يوضح الإمام مبتدأ الفتن وهو ظهور البدع، ولا سيما ان لها أعلام[٤]، فيقول (إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ)[٥]، فقد ترك النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ديناً كاملاً وأتمّه بنعمة الولاية، وما ظهور الفتن إلا لمحدثات الأمور التي أوصاهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باجتنابها قائلاً (إيّاكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)[٦].

إلا أن الفتنة لا تظهر للعيان مباشرة عند مبتدئها فهي تنمو وتتطور وتتسع في حركتها وتعم المجتمع، وتؤثر بشكل واضح في أفراده،نعدها تظهر جليّة، ولذا يقول الإمام عليه السلام (فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ [٧]النِّقْمَةِ وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا وَظُهُورِ كَمِينِهَا وَانْتِصَابِ

---

(٢) م.ن : خ١٤٧، ص٢٠٥.

(٣) حركة التاريخ : ١٦٣.

(٤) ينظر : نهج البلاغة : خ١٦٤، ص٢٣٥.

(٥) م.ن : خ٥٠، ص٨٨.

(٦) سنن الدارمي، عبد الله بن بهرام الدارمي (٢٥٥هـ)، مطبعة الاعتدال، دمشق : ٤٥/١.

(٧) بوائق : جمع بائقة وهي الداهية.

قُطْبِهَا وَمَدَارِ رَحَاهَا تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ وَتَئُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ)[1].

ومن هنا كان سبب تطور تلك الفتن وتسببها في انحراف المجتمع عدم تمسكهم بسبيل النجاة منها وتخاذلهم عن نصرة الحق (لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ وَكُفِيتُمْ مَئُونَةَ الِاعْتِسَافِ وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الْأَعْنَاقِ)[2].

والفتن تشبه الحق بالباطل، ويصفها الإمام عليه السلام بقوله (إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً)[3]، فالشبهات نتاج الفتن مثلما البدع أسبابها.

أماالسبيل الذي جعله الله نوراً وخلاصاً من تلك الفتن فهو الإمام وأهل بيته عليهم السلام، إذ يقول الإمام علي عليه السلام (نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ)[4]، فأهل البيت هم الناجون من الفتن المنجون منها ولا أمل بالنجاة منها إلا بالتمسك بهم. فالفتن تجعل الوضوح ظلاماً، وتخلط الحق بالباطل ولا يمكن الخروج منها إلا بمن جعله الله تعالى نوراً مبيناً ولذا يقول الإمام عليه السلام (إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا)[1].

---

[1] نهج البلاغة : خ١٥١، ص٢١٠.

[2] م.ن : خ١٦٦، ص٢٤١.

[3] م.ن : خ٩٣، ص١٣٧.

[4] م.ن : خ٩٣، ص١٣٨.

[1] نهج البلاغة : خ١٨٧، ص٢٧٨.

ولذا لم يكن من سبيل للقضاء على الفتنة إلا بالإمام **عليه السلام** الذي أنبأه الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم** عن تلك الفتن وانه سيقاتل كما قال له الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم** (على الإحداث في الدين)[٢]، فقد جعلت تلك الفتن الباطل حقاً بمن يظهر الإسلام، ويبطن التنكّر لتعليماته وأحكامه، ولذا يقول الإمام **(فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي)**[٣]، فقد استطاع الإمام **عليه السلام** بعلمه الرسالي ان يعرف الفتنة ويدق حجر الأساس في نعشها.

ولذلك فقد حذّر الإمام **عليه السلام** من التخلي عن طريق الحق وسبيل النجاة الذي كان التخلي عنه سبباً للفتن السابقة لأنه سيؤدي بهم إلى فتنة أوسع وأكثر إطلاقاً وهي فتنة بني أمية التي يصفها الإمام **عليه السلام** بأنها **(فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ)**[٤].

والفتن عامل مشترك بين الخطابة الدينية والخطابة السياسية، لان ابتداء الفتن خروج عن الدين بابتداع آراء واتباع أحكام تلغي أحكام الدين وتشبه الحق بالباطل، وتحزّب في فرق سياسية تدعي كل منها "ان هدفها نصرة الدين وإعلاء كلمته"[٥]، زيادة على ان لا سبيل للخلاص من الشبهات إلا بالتمسك بأولياء الله عزّ وجل، ولذا يقول الإمام **عليه السلام** **(وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ)**[١].

---

[٢] المناقب : ١٧٥.

[٣] نهج البلاغة : خ٩٣، ص١٣٧.

[٤] م.ن : خ٩٣، ص١٣٧.

[٥] الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ١٩٦.

[١] نهج البلاغة : خ٣٨، ص٨١.

وقد كان خطاب الإمام **عليه السلام** يتطور بفعل واقعه السياسي دون ان يتخلى عن النزعة الدينية في خطابه[٢]، ولو كان سياسياً خالصاً لغلب على الخطابة السياسية طابع العنف والقوة لإكراه المسلمين على تنفيذ أوامر قائد الدولة، والتهديد والوعيد كما اصبح حالها في العصر التالي له[٣].

[٢] ينظر : فن الخطابة وتطوره عند العرب : ١٢٦.

[٣] ينظر : نهج البلاغة : خ١٥٥، ص١٥٦.

الخطاب الجهادي

الجهاد فريضة مستقلة كفريضة الصيام ووسيلة للوصول إلى رضا الله تعالى لأن (**إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ**)[1]، وتعد جزءاً من فريضة أوسع حين يكون موضعها نصرة الإسلام وإعزاز الدين.

والجهاد دعامة من دعامات الإيمان الأربع[2]، وهو جزء مما فرض الله تعالى على عباده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3]، ويصفها الإمام عليه السلام بالقول (**وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ**)[4].

والجهاد دليل حي على طاعة الله عزّ وجل ورسوله **صلى الله عليه وآله وسلم** بطاعة الإمام المفترض طاعته، والجهاد تحت راية الحق التي يحملها بيده، إذ يعد الجهاد تجسيداً عملياً لصدق العبد في عبادة الله سبحانه وتعالى وإخلاصه في طاعته.

وقد خاض الإمام **عليه السلام** الجهاد مرات عديدة، إذ كان سخيّاً بنفسه جواداً بها في سبيل الله، حاملاً للواء المسلمين بيده، ومدافعاً عنهم باليد الأخرى، حتى انتصر الإسلام بسيفه.

وقد شهد له الجميع بتفرده وسبقه وحنكته السياسية مرة قائداً بنفسه وأخرى تحت إمرة رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**، فكان الحق الذي خاطبه رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** مع أهل بيته قائلاً (أنا سلمٌ لمن سالمتم وحربٌ لمن حاربتم)[1]،

---

[1] نهج البلاغة : خ١١٠، ص١٦٣.

[2] ينظر : م.ن : قول٣١، ص٤٧٣.

[3] ينظر : م.ن : قول٣٧٤، ص٥٤٢.

[4] م.ن : خ١٥٦، ص٢١٩.

[1] سنن ابن ماجة : ٥٢/١.

وأعلن صلى الله عليه وآله وسلم للجميع الخصوصية التي تجمعه بالإمام عليه السلام بقوله (من سبّ علياً فقد سبني) وقوله (من آذى علياً فقد آذاني)[٢].

وقد اضطرته الفتن التي أشبهت الحق بالباطل إلى خوض حروب الجهاد بعد تسلّمه الخلافة إعلاناً للحق بعد أن كلّ اللسان عن التصريح به وإظهاره، وذلك حين لم يجد إلى السلم من سبيل لصيانة الإسلام من الانحراف.

لقد كان الإمام عليه السلام مصيباً في حروبه، فحروب الإمام عليه السلام "لم تكن حروب فتح وبسط سلطان سياسي، وإنما كانت حروباً عقيدية يراد منها حماية الإسلام من التحريف، وحماية المجتمع الإسلامي من الانحراف"[٣]، وهو ما نبّهه إليه مسبقاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (تقاتل يا علي على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله)[٤]، فالجهاد تحت راية الإمام عليه السلام أحد عوامل قوة المجتمع الإسلامي في تثبيت عقيدة التوحيد، ولذا فقد قال الإمام عليه السلام (عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه واله وسلم أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين)[٥].

ولذا لم يعرف المؤمنون حقاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وتصريحه بالحق وتشخيصه لغدرهم ونكثهم وخوضه لحروب الجها د الأمر الذي أفرز الحق عن الباطل بيده بعد أن كلّ لسانه، ولذا وقد كثرت خطب الإمام الجهادية، وقد تضمن الخطاب الجهادي للإمام عليه السلام الموضوعات الآتية:

دعوتهم إلى الجهاد و ترغيبهم فيه:-

للجهاد قدسية عظيمة تنال المجاهدين بإعزاز دين الله ونصرته من جانب، ونيل طاعة الله والحصول على رضاه من جانب آخر، (فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ

---

(٢) المناقب : ١٤٩، ١٥٤ على التوالي.

(٣) دراسات في نهج البلاغة : ٤٥-٤٦.

(٤) الإرشاد : ٦٥.

(٥) المناقب : ١٧٦.

فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ)[1].

ولذا يحاول الإمام عليه السلام ترغيبهم في الجهاد لما له من ثواب في الآخرة، لا في الدنيا خلافاً لما درجوا عليه من السعي للانخراط في الجيش ابتغاء لمطامع دنيوية مادية بما يتفق مع أهوائهم، بعد ان تحول الجهاد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مورد رزق يدر على صاحبه مالاً في الدنيا حتى أغناهم عن طلب الآخرة.

وقد سعى الإمام عليه السلام في ترغيب المجاهدين بالجهاد وبيان منزلته عند الله تعالى ذكره لإعادتهم إلى أيام الرسالة الخالدة، التي كان يندفع فيها المؤمنون لنصرة الإسلام، ويبذلون أرواحهم ويتسابقون للوصول إلى ما كان يعدهم الله عز وجل في كتابه، ويصف ذلك الإمام عليه السلام بقوله (وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ وَجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ)[2].

ولصلة الجهاد بالأخلاق الأصيلة التي فطر الله عزّ وجل الإنسان عليها، فقد كان الإمام عليه السلام لا يكتفي بترغيبهم في دعوته بما عند الله من اجر بإزائه، وانما يحاول إثارة حميتهم عسى أن يصل إلى أخلاقهم الحق التي فطروا عليها، فتدفعهم الغيرة والخلق القويم وتثير حماسهم لنصرة الإسلام والمسلمين[1].

---

[1] نهج البلاغة : خ٢٧، ص٦٩.

[2] م.ن : خ٥٦، ص٩٢.

[1] نهج البلاغة : خ٢٧، ص٦٩.

ونجد في خطاب الإمام عليه السلام خير مثال يحتذونه، وأسوة حسنة يقتدون به ويتّبعونه، إذ يمثّل الإمام عليه السلام نفسه الخلق الجهادي العظيم، الذي يصفه الإمام **عليه السلام** بالقول **(إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ)**[٢]، وشجاعته حجة دامغة لا ترد، فالإمام عليه السلام هو الذي وضع بكلاكل العرب في زمن الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم**[٣] الذي لم يجبن ولم يتراجع يوماً[٤]، مثلما هو **(حَجِيجُ الْمَارِقِينَ وَخَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرْتَابِينَ)**[٥].

تعليم المجاهدين وإغنائهم بتجاربه:-

يحاول الإمام **عليه السلام** نقل تجربة الجهاد التي خاضها مّرات عديدة وانصهرت في أعماقه قبل أن يدعوهم إليها بشكل مباشر، فيصف الإمام **عليه السلام** جهاده مع رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** وإخوانه المسلمين أمامهم ليعكس صورة المجاهد الحق الذي يرى الله تعالى صدقه فيجعل النصر حليفه، فإما ان ينقلها بشكل مباشر في خطابه – كما في ترغيبهم للجهاد-، أو ينقلها بشكل غير مباشر من خلال ما يوصيهم به وما يحاول تعليمهم إيّاه فيشدد على صدق النية قائلاً **(وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ)**[٦]، ويسبق حروب الجهاد بتعليمهم فنون الحرب وما يلزم من الاستعداد لها.

ولا يتوقف عند توجيه الجنود إلى الحرب والمقاتلة، وما يمكن أن يكون سبباً في نصرتهم على العدو، بل يحاول الإمام تعزيز العوامل النفسية وتربية الأخلاق الروحية التي تعلمهم الصبر والسكينة والثبات في القتال، فتكون خشيتهم من الله تعالى فقط، لا من العدو لذا يقول **(مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ وَ عَضُّوا**

---

[٢] م.ن : خ١٢٣، ص١٨٠.

[٣] ينظر : م.ن : خ١٩٢، ص٣٠٠.

[٤] ينظر : م.ن : خ٣٣، ص٧٧.

[٥] م.ن : خ٧٥، ص١٠٣.

[٦] م.ن : خ١٩٧، ص٣١١-٣١٢.

عَلَى النَّوَاجِذِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَأَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا)[1].

ويتجاوز ذلك إلى حواسهم فيحاول توجيهها إلى المسلك الصحيح الذي يقودهم للنصر[2] بقولهم (فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ)[3].

ويحاول الإمام **عليه السلام** إفهام المجاهدين بموقف العدو ليتيح لهم إصدار القرار الصائب بقتاله من أعماق نفوسهم، ولا يشعرهم بإجبار على طاعة وإن كانت حق الله عليهم، كما حدث عندما استولى معاوية وأصحابه على الفرات ومنعوهم الماء إذ قال لهم الإمام **عليه السلام** (قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ)[4].

تشجيع المجاهدين وذم المقصرين:-

يستخدم الإمام **عليه السلام** مع المجاهدين أسلوب التحفيز لإثارة دوافعهم[1]، وتوجيهها للعمل بطاعة الله والجهاد في سبيله، فقد كان الإمام **عليه السلام** دائم الإطراء

---

(1) نهج البلاغة : خ٦، ص٩٧.

(2) ينظر : م.ن : خ١١، ص٥٥.

(3) م.ن : خ١٢٤، ص١٨٠.

(4) م.ن : خ٥١، ص٨٨-٨٩.

(1) ينظر : السياسة الإدارية في فكر الإمام : ١٥-١٥١.

على شجاعة أنصاره الأخيار بوصفهم بالقول (أَنْتُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ وَالْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ)[٢].

وكان الإمام دائم الثناء على حسن بلاء المجاهدين لدفعهم إلى القتال وحثهم على بذل أنفسهم في سبيل الله والتشديد على أهمية رباطة الجأش في سوح القتال، بوصفها هبةٌ من الله تعالى لبعض من يخص بها، وحثهم على مساعدة من يفتقدها، وتمييز الشجعان منهم بإعطاء الراية بقوله عليه السلام (وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ)[٣]، ويثني الإمام عليه السلام على المواقف المشّرفة للمجاهدين قائلاً (وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ وَيَآفِيخُ الشَّرَفِ وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ حَسّاً بِالنِّصَالِ وَشَجْراً بِالرِّمَاحِ تَرْكَبُ أُوْلَاهُمْ أُخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا)[٤].

على أننا لا نجد في خطب الجهاد إثارة للهمم وإنعاشاً للنصرة فحسب، بل نجد الإمام عليه السلام في أواخر خطبه يستخدم أسلوب تعنيفهم وتقريعهم، بعد تصوير توانيهم و عجزهم وما كان يبدو عليهم من إمارات دالة على تراجعهم وهزيمتهم، محاولاً

---

[٢] نهج البلاغة : خ١١٨، ص١٧٥.

[٣] م.ن : خ١٢٤، ص١٨٠.

[٤] م.ن : خ١٠٧، ص١٥٥.

استنهاض هممهم لخلق الفاعلية الجهادية، متأملاً بتقريعه هدايتهم إلى طريق الحق، مؤمناً بالبداء [1].

ويذكّر الإمام عليه السلام المجاهدين بما دعاهم له، ويضع أمامهم صورة العدو، ويقابل بها مواقفهم منه، ويذكّرهم بأعذارهم الواهية التي لا تعبر إلا عن هزيمة متوقعة بالقول (فَيَا عَجَباً عَجَباً وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ وَ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ)[2].

ويصور الإمام عليه السلام خلجاتهم من دورات أعين وسواه (إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ وَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ)[3].

ويشدد الإمام عليه السلام على رفضهم لاستنفاره (اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَ جَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا أَ شُهُودٌ كَغُيَّابٍ وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ

---

(1) وذلك في قوله تعالى ((يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)) (سورة الرعد/ ٣٩). ويروى عن الإمام الصادق عليه السلام في هذه الآية قوله (وهل يمحى إلا ما كان ثابتاً، وهل يثبت إلا ما لم يكن)، وقوله (إن الله عزّ وجل أخبر محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بما كان منذ كانت الدنيا وبما يكون إلى انقضاء الدنيا وأخبره بالمحتوم من ذلك واستثنى عليه فيما سواه). أصول الكافي : ١/١٦٧-١٦٩.

(2) نهج البلاغة : خ٢٧، ص٧٠.

(3) م.ن : خ٣٤، ص٧٨.

مِنْهَا وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ)[1].

متوقعاً ما سيكون منهم بقوله (وَايْمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ)[2]، وعندما لا يجدي ذلك نفعاً يكون ذمهم على تقصيرهم في حق الله، وتهاونهم في طاعته، وتخاذلهم عن نصرة الإسلام خير أسلوب يحاول به الإمام عليه السلام ان يستحثهم (يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدَماً وَ أَعْقَبَتْ سَدَماً قَاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحاً وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ)[3]، فكان خطاب الإمام عليه السلام غنياً باستخدامه لأسلوب الثواب والعقاب مع المقاتلين.

التشديد على عدالة الحرب الجهادية التي يقودها :-

يمثل الإمام عليه السلام جانب الحق الذي لا باطل فيه، وعلى الرغم من كون عصمة الإمام عليه السلام من جانب، وأقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جانب آخر كافيين لإثبات ذلك، وكان الإمام عليه السلام يشدد على هذا الجانب في خطابه الجهادي معلناً عدالة موقفه وداعياً لهم إلى التزام جانبه، إذ لم يكن الإسراع إلى الحرب طريق الإمام عليه السلام مثلما لم يكن الإسراع إلى معاقبة المقصرين، فالكي آخر دواء يستخدمه الإمام عليه السلام[4].

لم تكن حروب الإمام عليه السلام دفاعاً عن حق شخصي بل كانت حفاظاً على الإسلام وفضحاً للباطل الذي كان خافياً تحت شعار الحق المعلن، فقد كان النفاق سمة

---

[1] نهج البلاغة : خ٩٧، ص١٤١-١٤٢.

[2] م.ن : خ٣٤، ص٧٨.

[3] م.ن : خ٢٧، ص٧٠.

[4] ينظر : م.ن : خ١٦٨، ص٢٤٣.

أعداء الإمام **عليه السلام** الذين كان طريقهم الباطل، إلا انهم يدّعون الحق ويوهمون المسلمين انهم اهله، ولذا لم يجدوا من الإمام **عليه السلام** سوى حد السيف وكفى به ناصراً للحق، فكان الإمام **عليه السلام** يحاول التفاوض وإرسال الوفود حقناً للدماء، على الرغم مما يعلمه من سمات أعدائه، نحو وصفه لأصحاب الجمل بالقول **(إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَئُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَداً لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا)**[1].

ولم يكن الإمام **عليه السلام** ليبدأهم بالحرب محاولاً لآخر لحظة أن يقرع الخصم ويفنّد حجته علّه يعود ويتراجع عن موقفه، فكان يتهيأ للجهاد، ويحث أصحابه عليه والأمل يحدوه لآخر لحظة قبل ابتدائهم بالقتال في أن تكون الهداية للحق والانصياع له بديلاً عن القتال، وقد يستغرق ذلك أياماً فيثير اللغط والكلام، فيجيبهم **(فَوَاللَّهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا)**[2].

في حين يصف الإمام **عليه السلام** العكس في موقف آخر يحاول به أصحابه منعه في صفين من قتال أهل الشام بالقول **(فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ وَقَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله**

---

[1] نهج البلاغة : خ١٦٩، ص٢٤٤.

[2] م.ن : خ٥٥، ص٩١.

عليه وآله فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ)[1].

فالإمام عليه السلام يوصي بعدم مبادرة العدو بالقتال[2]، مثلما لا يقود حرباً إلا بعد أن يكون الخيار هو (الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله)[3]، فإن أجبر على القتال فعدالة الحرب تجعله يوصيهم بالتزام خلقي حتى مع أعدائه[4]، ولذا لا يجدون سوى حدّ السيف وكفى به شافياً من الباطل وناصراً للحق.

تثبيت قلوب المجاهدين:-

يحاول الإمام عليه السلام تثبيت قلوب المجاهدين، حيث ان لذلك اثر كبير ولا سيما في حروب الإمام عليه السلام العقائدية التي لا تقوم إلا بتثبيت القلوب ومنع الشك من السريان فيها، الأمر الذي كان يرد مع كثير من أنصار الإمام عليه السلام قبل أعدائه.

ومن هنا كان تشديد الإمام عليه السلام للجميع على كونه الحق الذي يهتدون بنهجه[5]، وتنفيرهم من الفرار بوصفه عاراً عليهم، وترغيبهم في الجهاد وتثبيت قلوبهم بذكر الآيات القرآنية التي تقويها وتثير عزائمهم وتذكي الحماسة فيهم و ترغبهم بالقتال في سبيل الله تعالى، والتشديد على منزلة الإمام عند الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتذكيرهم بأنهم مع خليفة الله تعالى في الأرض بالقول (اعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللَّهِ وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ)[6]، وعلى مكانته الجهادية بوصفه قطب رحى الوجود (وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ مَدَارُهَا

---

(1) نهج البلاغة : خ٥٤، ص٩٠-٩١.

(2) يوصي الإمام علي ابنه الحسن عليهما السلام (لا تدعون إلى مبارزة، وإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعي إليها باغٍ، والباغي مصروع). م.ن : قول٢٣٣، ص٥٠٩.

(3) م.ن : خ٤٣، ص٨٤.

(4) إذ يوصيهم الإمام عليه السلام قبل وقعة الجمل (لا يرمين رجل منكم بسهم، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح، حتى احدث اليكم، وحتى يبدؤوكم بالقتال وبالقتل). الجمل وصفين والنهروان : ١٦٣.

(5) ينظر : نهج البلاغة : خ١٦٢، ص٢٣٢.

(6) م.ن : خ٦٦، ص٩٧.

وَاضْطَرَبَ ثِقَالُهَا)[1]، وكونه الحق الذي تعد أي راية ضلال تقف بوجهه وتخرج عن طاعته راية واهية، وفي ذلك تشديد لا على ضلالة من يخرج عليه فحسب، بل إثارة الهمم بالرد على التقولات التي تثبت شكّهم فيه وتغذّيه.

ومن هنا تجمع خطب الجهاد عند الإمام بين صنفي الخطابة وتؤكد امتزاجهما، فدعوة الإمام الجهادية دعوة قائد سياسي له حنكة سياسية وخبرة من يعرف الحق ويحمل رايته ويدعوهم للسير تحت لوائه وطاعته، وواعظ ديني متعظ يدعوهم للاقتداء به.

---

(1) نهج البلاغة : خ١١٩، ص١٧٦.

الفصل الثالث

التوصيل الرسالي

مدخل:الإمامة قدرة و هداية

المبحث الأول:بلاغة الخطاب

المبحث الثاني :المهمة الرسالية

مدخل: الإمامة قدرة وهداية

اصطفى الله سبحانه وتعالى **محمداً صلى الله عليه وآله وسلم** لآخر النبوات بالشريعة الخاتمة التي خصها بإقامة الحكم الإسلامي وتطبيقه على الناس، لبقاء الغاية التي خصّت بها الشريعة في معرفة الله سبحانه وتعالى من جانب والوصول إلى الكمال من جانب آخر.

ولقد جعل الله تعالى الإمام **عليه السلام** بعد رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** ولياً لأمر الله، مبلّغاً عنه رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**، ومن بعده الأئمة من ذريته **عليهم السلام** قنوات اتصال توصل الخلق بحسب استعدادهم وقابليتهم إلى الغاية الكمالية.

فقد جعل الله تعالى أولياءه أدلاّء مرشدين اليه، مفوضين بإذنه تعالى ومدبرين لأمور التكوين بأمره، ولا يتصرفون إلا بمشيئته التي جعل الله قلوبهم أوعية لها، وجعلهم مظاهر لقدرته وإرادته(1)، ولذلك لا تقتصر الإمامة على اقتداء أو رئاسة، أو ولاية تشريعية غايتها سّن الأحكام وتشريعها وتوضيح الأخلاق.

فقد تجسدت في الإمام والأئمة من ولده **عليهم السلام** العبودية المطلقة لله التي وصل بها إلى أعلى درجات اليقين بالله حتى اصبح قلبه مستودعاً لمشيئة الله تعالى(2)، بعد أن فوض تعالى إلى رسوله تشريع الأحكام، بما يجري في الخط العام لمشيئته سبحانه.

الإمامة ولاية تكوينية –مثلما هي تشريعية– أي "بمعنى النفوذ الروحي للأئمة **عليهم السلام** وتأثيرهم على نفوس الآخرين لهداية القلوب القابلة للهداية والتأثير فيها بحسب استعدادها لذلك، إذ تمثل ماهيّتهم المقدسة حقيقة الأسماء الحسنى * .

---

(1) ينظر: المظاهر الإلهية: ١/٢٧٩.

(2) يقول الإمام الصادق عليه السلام (قلوبنا أوعية لمشيئته فإذا شاء شئنا، والله يقول ((وما تشاءون إلا ان يشاء الله))) (سورة الإنسان/٣٠). بحار الأنوار: ٢٥/٣٣٧ نقلاً عن التوحيد: ١/٤٤٨.

*يروى عن الإمام الصادق عليه السلام قوله في تفسير قوله تعالى ((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)) (سورة الأعراف/١٨٠) انه قال (نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا). وعن الإمام الباقر

إن الإمامة قدرة وسلطة روحية وتفويض من الله سبحانه وتعالى مثلما هي هداية لطريق الكمال، لان "السائر في طريق الكمال لا بد له من قدوة وأسوة يعرف فيها نفسه وربّه والطريق الذي يوصله إليهما بالشكل الأتم والأكمل"[١].

ومن هنا فقد كان الإمام وأهل بيته من بعده **عليهم السلام** كما يصفهم الإمام بقوله (**فإنا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا**)[٢]، "أي إن الله سبحانه صنعهم، أي ربّاهم وعلمهم وأدبهم فتخلقوا بأخلاقه سبحانه، وهم عليهم السلام أدّبوا وعلّموا البشر على الآداب والأخلاق والطاعات"[٣]، فقد جعلهم الله سبحانه وتعالى أعلاماً هادية كما في وصف الإمام **عليه السلام** إذ يقول (**أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ**)[٤].

فقد جعل الله تبارك وتعالى الإمام **عليه السلام** -والأئمة من بعده **عليهم السلام**- علماً هادياً إلى الحق [٥]، وباباً لكل علم [٦]، وهو قيّم القرآن المفترضة طاعته، والحجة على

عليه السلام قوله (بنا عبد الله وبنا عرف الله وبنا وحد الله تباك وتعالى، ومحمد حجاب الله تبارك وتعالى). أصول الكافي : ١/١٦٤-١٦٦ على التوالي.

[١] المظاهر الإلهية : ٢٧١.

[٢] نهج البلاغة : كتاب ٢٨، ص٣٨٦.

[٣] المظاهر الإلهية :٢٦٠.

[٤] نهج البلاغة : خ١٠٠، ص١٤٦.

[٥] عن الإمام الباقر عليه السلام في قول الله عز وجل ((إنما أنت منذر ولكل قومٍ هاد)) (سورة الرعد/٧) انه قال (رسول الله صلى الله عليه واله وسلم المنذر ولكل زمان منا هادٍ يهديهم إلى ما جاء به نبي الله صلى الله عليه واله وسلم، ثم الهداة من بعده علي ثم الأوصياء واحداً بعد واحد). أصول الكافي : ٢١٤/١.

[٦] قال الإمام الصادق عليه السلام (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه وجهله من جهله، ذاك رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ونحن). أصول الكافي : ٢٠٥/١.

الخلق بعد رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** [1]، فقد جعل الله تبارك وتعالى الإمام **عليه السلام** –وأهل بيته من بعده **عليهم السلام**– دليلاً على الخير، ودعامة للحقائق، وعصمة للطاعة، وعوناً عليها، إذ يقول الإمام **عليه السلام** (**أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةَ فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكْتَفٍ وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ**)[2]، مثلما جعله شاهداً على إخلاصهم في طاعة الله سبحانه[3]، كما كان رسول الله (**شَاهِداً عَلَى الْخَلْقِ**)[4]، ولذا يقول الإمام **عليه السلام** (**أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ**)[5]، ذلك اليوم الذي تأتي فيه (**كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا**)[6].

[1] ينظر : أصول الكافي : ١/١٨٩-١٩٠. ويروى عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن القائم قوله (كلنا قائم بأمر الله، واحد بعد واحد حتى يجيء صاحب السيف، فإذا جاء صاحب السيف جاء بأمرٍ غير الذي كان). أصول الكافي : ١/٦١٢-٦١٣.

[2] نهج البلاغة : خ٢١٤، ص٣٣٠-٣٣١.

[3] ينظر : م.ن : قول ٣٢٤، ص٥٣٢.

[4] م.ن : خ١١٦، ص١٧٣. يروى عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى (ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس)) (سورة الحج/٧٨) انه قال (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهيد علينا بما بلّغنا عن الله تبارك وتعالى ونحن الشهداء على الناس فمن صدّق يوم القيامة صدّقناه ومن كذّب كذّبناه). ينظر : أصول الكافي : ١/٢١٤.

[5] نهج البلاغة : خ١٧٦، ص٢٥٣.

[6] م.ن : خ٨٥، ص١١٦.

بلاغة الخطاب الرسالي

لقد كانت هداية الناس إلى طاعة الله تعالى الهدف الأساس لمنصب الإمامة، فالإمامة نعمة تفضل بها الله سبحانه على عباده، للحفاظ على الشريعة وتثبيت العقيدة في نفوسهم من بعد النبوة الخاتمة، والحفاظ على القرآن، واستخراج العلوم التي نزل بها، وحمايته من ان يصيبه التحريف الذي أصاب الكتب السابقة بعد انتهاء النبوة الخاتمة.

وقد أضاف تغير المجتمع عما كان عليه زمن النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** للإمام **عليه السلام** مهمة جديدة –وإن كانت تصب في مهمته– وهي تصحيح الانحراف في المجتمع، وإعلاء كلمة الحق وفصله عن الباطل لهدايتهم إلى طريقه.

وقد أتاح للإمام **عليه السلام** تسلّمه لمنصب الخلافة الرسمي الوقوف على منبر الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** موصلاً صوته إلى اكبر جمع ليعلي كلمة الحق ويعلنها في خطابه.

وذلك بما خصّ به الإمام **عليه السلام** –ومن بعده أهل بيته **عليهم السلام**– من مخاطبة الناس على قدر عقولهم، للتأثير فيهم إقناعاً وإفهاماً لا لإثبات رأي أو التعصب له، أو الانتصار لفكرة ولا لكسب تأييدهم، أو استمالتهم لالتزام جانبه، فكان خطاب الإمام **عليه السلام** خطاب العقيدة الخالد.

وقد توّجه الإمام **عليه السلام** في خطابه لمخطبيه بصفته طبيباً لنفوسهم، محاولاً مداواة الجروح التي خلفتها الفتن وتثبيت العقيدة الحق في قلوب مخاطبيه، فالإمام **عليه السلام** **(طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ وَآذَانٍ صُمٍّ وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ)**[1] وذلك بعد تشخيص الأمراض التي سبّبها

---

[1] نهج البلاغة : خ١٠٨، ص١٥٦.

ابتعادهم عن خط الإمامة لكونهم (**لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ**)[1].

ولا يمثل خطاب الإمام **عليه السلام** إلا جانباً من كلامه [2]، إلا انه الكلام الذي يجمعه بمخاطبيه في موقف واحد، ولو حاولنا تلمس بلاغة الإمام **عليه السلام** في جزء من خطابه المتوّجه به للناس –لا في خطابه كله لان خطاب الإمام **عليه السلام** خطاب إعجازي لا يمكن الوقوف عليه– من خلال المهمة التي توجه بها، لوجدنا أن بلاغته لم تكن بلفظ أو معنى أو أسلوب فحسب[*]، بل كانت بلاغة خطاب الإمام **عليه السلام** علماً رسالياً يجمع –إلى مالا يمكن الإحاطة به– معرفة الإمام **عليه السلام** بمخاطبيه من جانب وقدرته على هدايتهم من جانب آخر، ويمكننا تلمس جانباً منها في اهتمامه بمخاطبيه بجعلهم الهدف الأساس لتوجيه خطابه، ومطابقة خطابه لمقتضى حالهم[3]، ويتضح هذا الاهتمام من خلال زوايا عدّة:

مراعاتهم في الخطاب:–

---

(1) نهج البلاغة : خ١٠٨، ص١٥٦.

(2) يدور كلام الإمام عليه السلام في النهج على ثلاثة أقطاب : الخطب والأوامر، الكتب والرسائل، الحكم والمواعظ. ينظر : م.ن : مقدمة الشريف الرضي : ٣٥.

* نريد بدراسة بلاغة الخطاب هنا دراستها من جانبها التوصيلي المقترن بها، أي من حيث ان البلاغة أداء وتوصيل وتبليغ –كما ذكرنا في التمهيد–، ومن أراد التوسع، فهناك دراستان سابقتان عن بلاغة خطاب الإمام عليه السلام، الأولى رسالة ماجستير بعنوان "التصوير الفني في خطب الإمام علي عليه السلام"، عباس الفحام، ويدرس فيها خطاب الإمام عليه السلام من خلال بلاغته المتركزة في التصوير الفني المتمثل بأساليب متعددة (تشبيه، واستعارة، وكناية) أي ما يمثل الأسلوبية القديمة، ودراسة أخرى تجمع خطابه مع خطابات سابقيه، إلا انها تشدّد على خطاب الإمام عليه السلام، وهي رسالة دكتوراه بعنوان "خطب الخلفاء الراشدين" دراسة أسلوبية، إيمان خليفة حامد تدرس خطاب الإمام عليه السلام من خلال (أدبية الخطاب) الأمر الذي ركزت عليه الأسلوبية الحديثة.

(3) وهو الأمر الذي دارت حوله فيما بعد أبحاث علم البلاغة. ينظر : الأسلوب : ٣٦.

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الإمام **عليه السلام** أميناً على وحيه وحافظاً لسّره ومصدراً للعلوم كلها، فقد وسع علمه طرق السماء قبل طرق الأرض[1]، وما طوي عن الجميع غيبه[2] قبل ما كانوا يعلمونه، حتى بلغ الإمام **عليه السلام** في علمه الرسالي إلى درجة يخاف فيها عليهم الكفر، فلا يفضي بعلمه الباطن إلا للخاصة منهم إذ يقول **(وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ)**[3]، ولم يكن يريد بالخاصة أو العامة من الناس إلا درجة إيمانهم واعتقادهم بالإمام **عليه السلام** ومعرفتهم بحقه، لأنه يعلم ان من الناس من كان قلقاً في إيمانه[4]، فكلما ازداد الإنسان تصديقاً للإمام **عليه السلام** بقلبه ومعرفةً بعلمه ازداد اقتراباً من علمه، وصار ممن لا يخاف منه على الدين بغلوٍّ أو شك، وهو ما وصفه الإمام **عليه السلام** بقوله **(ليحبني أقوامٌ حتى يدخلهم حبي النار، ليبغضني أقوامٌ حتى يدخلهم بغضي النار)**[5].

وقد جعل الله تعالى قلوب عباده أوعيةً للعلم تنهل بحسب قربها من الإمام عليه السلام، فمن أحبّه واقترب منه كان علمه الهادي، فصفاء القلب بحب الإمام عليه السلام الذي تجّسد فيه الكمال الإلهي، ونقاؤه بالاقتداء به، ولذا قال الإمام **عليه السلام** **(إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ)**[1]، فلا يصل إلى الإمام -وأهل بيته من بعده- عليهم السلام إلاّ من كان الإيمان ثابتاً مستقراً في قلبه[2].

---

[1] ينظر : نهج البلاغة : خ١٨٩، ص٢٨١.

[2] ينظر : م.ن : خ١١٦، ص١٧٣.

[3] م.ن : خ١٧٥، ص٢٥٠.

[4] ينظر : م.ن : خ١٦٢، ص٢٣١.

[5] أنساب الأشراف : ١٢٠.

[1] نهج البلاغة : خ١٨٩، ص٢٨٠.

[2] ينظر : م.ن : خ١٨٩، ص٢٧٩.

كان العلم الذي وهبه الله سبحانه وتعالى للإمام **عليه السلام** مما لا يمكن لعقول الجميع إدراكه إلا الخاصة منهم، فكلام الإمام **عليه السلام** من كلام الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** الذي **(لَهُ وَجْهَانِ فَكَلَامٌ خَاصٌّ وَكَلَامٌ عَامٌّ)**[٣]، ويريد النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** بهذا الخاص منزلة الإمام **عليه السلام**، ولذا يخاطبه عند فتحه خيبر **(لولا ان تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر على ملأ من المسلمين إلا اخذوا من تراب رجليك، وفضل طهورك، يستشفون به)**[٤].

ولم يجد الإمام **عليه السلام** حملة لكلامه حتى من خاصة أصحابه، إذ كان العلم يضيق في صدر الإمام **عليه السلام** فيخرج إلى الجبانة ليلقيه قائلاً لكميل **(ها إن هاهنا لعلماً جماً** وأشار بيده إلى صدره **لو أصبت له حملة)**[٥]، وحتى خاصّة أصحاب الإمام **عليه السلام** لم يكونوا في العلم سواء، فكان منهم من وصل إلى درجة من العلم الرسالي حتى اصبح من أهل البيت **عليهم السلام**[٦]، ومنهم من خيف عليه الوصول إلى ذلك المستوى من معرفة الحق فقيل فيه **(لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله)**[٧].

وكان أغلب خطاب الإمام **عليه السلام** على المنبر موجه إلى العامة من الناس[١]، فقد كان الإمام **عليه السلام** يخشى على الناس من الغلو إفراطاً أو تفريطاً، الأمر الذي وصفه بالقول **(سَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ**

---

[٣] م.ن : خ٢١٠، ص٣٢٧.

[٤] المناقب : ١٢٩.

[٥] نهج البلاغة : قول١٤٧، ص٤٩٦.

[٦] ينظر : أصول الكافي : ١/٤٥٥.

[٧] صحيفة الأبرار : ١/٣٠.

[١] ونريد بذلك ما جمعه الشريف الرضي في النهج، لأن في المستدركات خطباً توضّح شيئاً من منزلته وبعضاً من علومه عليه السلام نحو قوله (أنا صراط الله الذي لم يسلكه هوى، وأنا سبيله الذي نصبني بعد نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، أنا قسيم الجنة والنار، وأنا حجة الله على الفجّار والأبرار). ينظر : مستدرك نهج البلاغة ومداركه : ٨٢-٨٣.

وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالًا الـنَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ)[٢].

لقد كان الإمام عليه السلام يخشى على الناس من الغلو في علمه، فيجعل مرتبته النبوة [٣]، أو إلى اكثر من ذلك بما يخرجه عن العبودية لله جّل وعلا، التي تجمعه وإيّاهم عند سماعهم لذلك العلم في خطاب الإمام عليه السلام، ولاسيما حين يخبرهم بما سيكون عليه مستقبل الزمان تحذيراً من عواقب أعمالهم، وتنبيهاً لهم لالتزام نهج أهل بيته، فلا نجاة من الفتن إلا بهم، فيجيب الإمام عليه السلام من ينسب إليه علم الغيب بالقول (لَيْسَ هُـوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْـبِ عِلْـمُ السَّـاعَةِ وَمَـا عَدَّدَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَـمُ مـا فِي الْأَرْحامِ وَما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِـأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ الْآيَةَ فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَقَبِـيحٍ أَوْ جَمِيلٍ وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَبـاً أَوْ فِـي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّـا اللَّـهُ وَمَـا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله فَعَلَّمَنِيهِ وَدَعَا لِـي بِـأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَـوَانِحِي)[١]، حيث ان اغلب ما اخبر به الإمام عليـه السلام من مغيبات سبقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإخبار عنها[٢].

ولم يكن الغلو فقط ما يخافه عليهم، بل كان يخاف على مخاطبيه عدم تحملهم للعلم الذي يوصله إليهم، وهو ما يوضحه تثاقل الإمام عليه السـلام في إجابة أحد سائليه عن وصف المتقين حيث وصفهم أولاً بما وصفهم به الله سبحانه دون التعمق في ذلك الوصف،

---

[٢] نهج البلاغة : خ١٢٧، ص١٨٤.

[٣] ويرد الإمام عليه السلام على من يشك في كونه نبياً بالقول (ويلك إنما عبد من عبيد محمد صلى الله عليه واله). التوحيد، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق : هاشم الحسيني، قم، ١٣٨٧هـ : ١٧٥.

[١] نهج البلاغة : خ١٢٨، ص١٨٦.

[٢] ينظر : فلسفات إسلامية : ٦٥١.

وعندما سُئل المزيد وأجاب بخطبة تصف المتقين أدق وصف، كان من اثنين من مخاطبيه موقف على طرفي نقيض، فقد طارت روح سائله حباً لله وشوقاً إلى ما اعد لها بارئها، ونفث الشيطان على لسان آخر، فردّ على الإمام **عليه السلام** أمراً أنفذته مشيئة الله عزّ وجل[٣].

وعلى الرغم من ان خطاب الإمام عليه السلام كان يصل إلى مخاطبيه كلّ بقدر، فقد اتجه الإمام **عليه السلام** إلى مراعاة المخاطبين فيما يطلقه من خطاب، فالإمام يعلم أن الناس ليسوا سواء وانهم أصناف[٤]، سواء أكان ذلك في العلم[٥]، أو في الرأي[٦]، أو في البيعة [٧]، أو في أمور أخرى، وهو الأعلم بما تكنّه نفوسهم، فلا يخاطبهم إلا بما فيه صلاحهم وإصلاحهم في الدارين.

لذا كان الإمام **عليه السلام** يحرص على أن يكون مخاطبيه الطرف الأول المرسل للخطاب ليكون خطابه ردّاً عليه، إذ كان يتوجه لهم ويحثهم على السؤال فهو الأعلم قائلاً **(أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ)**[١].

لقد كان الإمام **عليه السلام** على معرفة بسامعيه، ولذا لا يخاطبهم إلا بحسب مداركهم وما تتحمله عقولهم، والأغراض التي تدفعهم للسؤال، لذا نجد جواباً مختلفاً لسؤالٍ يكاد يكون واحداً، فقد سأله أحدهم وصف ربّه، وآخر عن رؤيته له –مع الفارق في نوع السؤال–، فيجيب الأول بخطاب طويل يحول فيه غضبه لما يرى عندهم من جرأة على الله تعالى إلى كلمات تشع بفيض الله جلّ وعلا [٢]، في حين يجيب السائل الآخر بخطاب

---

[٣] ينظر : نهج البلاغة : خ١٩٣، ص٣٠٣-٣٠٦.

[٤] ينظر : م.ن : خ٣٢، ص٧٤-٧٥.

[٥] يقول الإمام عليه السلام لكميل (الناس ثلاثة : عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع اتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق). م.ن : قول١٤٧، ص٤٩٦.

[٦] ينظر : م.ن : خ١٦٨، ص٢٤٣.

[٧] ينظر : م.ن : خ١٦، ص٥٨.

[١] نهج البلاغة : خ١٨٩، ص٢٨١.

[٢] ينظر : م.ن : خ٩١، ص١٢٤-١٣٦.

موجز ينم عن معرفته بغرض السؤال وكونه غير مغالٍ، حيث يقول **عليه السلام** (**لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَابِسٍ بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ**)[٣]، ومن هنا فقد كان الإمام **عليه السلام** يخاطب المجتمع بنوعيه مفرِطاً ومفَرِّطاً [٤].

تكييف خطاب الإمام:-

يمكننا تلمس بلاغة خطاب الإمام **عليه السلام** في تكييف هذا الخطاب تبعاً لمخاطبيه من جانب، وللمقام أو الموقف الذي يستلزمه الخطاب ويحيط بطرفيه من جانب آخر.

فقد شدّد الإمام **عليه السلام** على تكييف الخطاب بحسب أحوال من يوجه إليه ذلك الخطاب، والصفة التي يتصف بها، وبحسب استعداد المخاطب لتقبّل ذلك الخطاب، إذ يوصي ابن عباس الذي أنفذه إلى الزبير ليقنعه قبل حرب الجمل، بالعودة إلى بيعة الإمام **عليه السلام**، فيفرّق بينه وبين طلحة في الصفة ويوصيه قائلاً (**لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ وَلَكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا**)[١]، ويشدد على توجيه الخطاب الذي يقنعهم ويلزمهم الحجة [٢].

---

[٣] م.ن : خ١٧٩، ص٢٥٨.

[٤] ينظر : علوم نهج البلاغة : ٣٧٢.

[١] نهج البلاغة : خ٣١، ص٧٤.

[٢] ينظر : م.ن : كتاب٧٧، ص٤٦٥.

وقد كان الإمام **عليه السلام** يكيف خطابه تبعاً للمواقف والأحداث التي تمر بهم ليواكب تلك الأحداث حرباً كانت أم سلماً.

ففي موقف الحرب لا يخرج لقتال حتى يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء فمنه النصر والتوفيق أولاً وآخراً، وليثبت قلوبهم على الإيمان، فعندما رأى إصرار الناكثين على القتال، رفع يديه إلى السماء وقال (**اللهم إليك شخصت الأبصار وبسطت الأيدي وأفضت القلوب وتقربت إليك بالأعمال ((ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين))**)[٣].

ويسبق ذلك بدعوتهم للجهاد وتعليمهم على فنون القتال بخطاب يصل سلاحهم بجوارحهم نحو قوله (**فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَ الْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ**)[٤]، وفي الخطاب نفسه يشّوقهم إلى لقاء الأعداء متوجهاً إلى الله تعالى بالدعاء عليهم قائلاً (**وَاللَّهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ**).

ويستحثهم الإمام **عليه السلام** بما يثير هممهم ويدفعهم للجهاد، إذ يقول (**وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللَّهِ وَالذُّلَّ اللَّازِمَ وَالْعَارَ الْبَاقِيَ وَ إِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ**)[١]،

---

[٣] الجمل : ٣٤١، (سورة الأعراف/٨٩).

[٤] نهج البلاغة : خ١٢٤، ص١٨٠.

[١] نهج البلاغة : خ١٢٤، ص١٨١.

ويثبت قلوب أصحابه بالقول (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللَّهِ وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ)[٢].

ويكون متأهباً قبلهم للقتال مستعداً للموت إذ يقول (إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ)[٣].

وفي أثناء القتال يشد عزمهم ويثير هممهم للاستمرار به والمطاولة [٤]، ويحاول إفهامهم بموقف العدو لكي يكون تصرفهم معه عن بينة، كما في صفين عندما منع أصحاب معاوية عليهم الماء، إذ قال لهم (قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ)[٥].

ولا يوقف خطابه على أصحابه فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى خطاب العدو وتخويفه علّ عائد يعود منهم، نحو قوله عليه السلام في تخويف أهل النهروان (فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهَرِ وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُنَابِذِينَ حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ وَلَمْ آتِ لَا أَبَا لَكُمْ بُجْراً وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرّاً)[١].

---

[٢] م.ن : خ٦٦، ص٩٧.

[٣] م.ن : خ١٢٣، ص١٨٠.

[٤] ينظر : م.ن : خ١٠٧، ص١٥٥.

[٥] م.ن : خ٥١، ص٨٨-٨٩.

[١] نهج البلاغة : خ٣٦، ص٨٠.

أما بعد حروب الجهاد فيخص خطبه بمدح للمجاهدين وذم للمقصرين وتأسف على المعادين، وكل ذلك بخطاب حماسي يثير الهمم ويقوي العزائم.

أما إن كان الموقف في سلم فالإمام **عليه السلام** يكيف خطابه تبعاً للمناسبات التي تجمعه بمخاطبيه، ولا سيما في خطب العيدين فخطاب الإمام **عليه السلام** خطاب وعظي تغلب عليه صفتا التوجيه والإرشاد بما يخص به ذلك الموقف.

ففي عيد الأضحى يذكر الإمام **عليه السلام** لهم يوم النحر وصفة الأضحية **قائلاً (وَمِنْ تَمَامِ الْأُضْحِيَّةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنْسَكِ)**[٢].

فإذا كان خطابه في عيد الفطر نفّرهم من الدنيا ورغّبهم في الآخرة ليكون صيامهم في شهر رمضان طريقاً للزهد بالدنيا والتزام الكفاف فيها، كي لا تنسيهم فرحة العيد الحكمة التي لأجلها سنّ سبحانه الصوم إذ يقول **(وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضْرَاءُ وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ)**[١]، ويرد في الوقت نفسه تكييف أجزاء الخطاب وأنواعه –كما مّر سابقاً في الفصل الثاني– بحسب مخاطبيه وسياق الأحداث.

تقسيم الخطاب تبعاً لمخاطبيه:–

يقسم الإمام **عليه السلام** مخاطبيه إلى أصناف عدة تارة بحسب موقفهم من البيعة ليوضح الموقف الأمثل فهم **(سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ)**[٢]، وأخرى بحسب

---

[٢] م.ن : خ٥٣، ص٩٠.

[١] نهج البلاغة : خ٤٥، ص٨٥.

[٢] م.ن : خ١٦، ص٥٨.

ما آلت إليه الأمور وما ينطق به واقع الحياة [٣]، وتارة ثالثة بحسب تعدد الآراء في مسألة واحدة لا تعدو كونها أمر جاهلية، فيرى انهم **(فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا ذَاكَ)**[٤]، لينبههم إلى انقسامهم واختلافهم عما كانوا عليه زمن الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، ولا سيما انه يحاول تجلية الحق وفرزه عن الباطل، ليتيح لمخاطبيه حسن الاختيار بعد معرفته للصنف الذي ينتمي له وليكون ذلك حافزاً له على العودة لما انحرف عنه.

وقد يتجاوز ذلك إلى تقسيم الخطاب نفسه بحسب حال سامعيه وما يريد حثّهم عليه و هدايتهم له، وذلك عندما يكون الموضوع الذي يطرقه أو الداء الذي يعالجه ظاهراً ولا سبيل للقضاء عليه، إلا بسعي من مخاطبيه أنفسهم للقضاء عليه كخطابه في الفقر والغنى، فقد كانت الفترة السابقة والسياسة المالية المتبعة فيها، وما أحدثت من انقلاب اقتصادي[٥]، كفيلة بخلق طبقتين في المجتمع، طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء ولا سيما بعدما جرى تقسيمهم في العطاء إلى أقسام : مهاجرين وأنصار، عرب وموال.

فيقسم خطابه قسمين، قسم يخاطب به الأغنياء لتأديبهم بما يتلاءم مع ما تفكر به عقولهم من تفكير مادي ليحاول من خلاله الارتفاع بهم عن هذا المستوى من التفكير وهدايتهم إلى مساعدة الفقراء ولا سيما الأقارب منهم، بوصف ما يترتب على تلك المساعدة من نتائج مادية، ليكون ذلك سبيلاً للارتقاء بأرواحهم، إذ يقول **(أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ)**[١].

---

[٣] ينظر : م.ن : خ٣٢، ص٧٤-٧٥.

[٤] م.ن : خ١٦٨، ص٢٤٣.

[٥] الفتنة الكبرى : ١/١٩٥.

[١] نهج البلاغة : خ٢٣، ص٦٥.

أمّا القسم الآخر من خطابه فيخاطب به الفقراء لتهذيبهم بما يتلاءم مع تفكيرهم ومنحهلم الذي غالباً ما يكون منحاً روحياً، ليرتفع بهم عن النظر إلى الأغنياء بتزهيدهم عما في أيدي المخلوقين من رزق، وتوجيه أنظارهم إلى مسبّب الرزق لا إلى أسبابه[2]، إذ يقول (**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ**)[3].

ويحثهم الإمام **عليه السلام** على الاقتناع بما هو موجود فهو الأحسن والأرضى لله، إذ يقول (**الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَ مَالٍ وَ مَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ وَإِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الْآخِرَةِ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ**)[4].

ويتجاوز الإمام **عليه السلام** ذلك إلى تقسيم مخاطبيه بشكل صريح بحسب معرفتهم بسياق الأحداث والمواقف التي يريد إشهادهم عليها، ثم توجيه الخطاب المناسب لكل فئة، ففي خطابه للخوارج بعد إنكارهم للحكومة، يسبق خطابه بسؤالهم عمن شهد صفين منهم، ويعلّل ذلك بقوله **عليه السلام** (**حَتَّى أُكَلِّمَ كُلًّا مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ**)، فيحاجج من شهدها منهم ليلقي الحجة عليهم بتذكيرهم بأقوالهم التي لم ينصاعوا فيها لطاعة الإمام **عليه السلام** وبأسلوب مباشر، فيقول (**أَ لَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً وَمَكْراً وَخَدِيعَةً إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ فَقُلْتُ لَكُمْ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بَنَوَاجِذِكُمْ وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ**

---

[2] ينظر : م.ن : خ٢٢٥، ص٣٤٧.

[3] م.ن : خ٢٣، ص٦٤.

[4] م.ن : خ٢٣، ص٦٤.

الْفَعْلَةُ وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا)[1]، ويوضح الأمر لمن غاب عن ذلك ولم يشهده ليزيل الاختلاف بينهم.

التدرج في الخطاب:-

التدرج أسلوب اتبعه التشريع الإسلامي، فلم تفرض أحكامه دفعة واحدة، ولم يثقل المسلمون بالفروض والواجبات قبل استشعار ضرورة القيام بها، ولم يكلّف بكافة الفروض منذ بدء الدعوة، "بل جاءت منسجمة وقابليات المسلمين على التطبيق وموائمة لظروف الرسالة الغراء"[2]، ولذا يتدرج الإمام **عليه السلام** في خطابه ليتلاءم ذلك الخطاب مع مستوى تفكير مخاطبيه.

ومن ذلك تدرجه في وصف الفتن وسبيل القضاء عليها، فالفتنة التي كانوا يعيشونها لم تحدث فجأة زمن عثمان، بل كانت نتاجاً لفتن عديدة، ومن هنا فقد عالجها الإمام **عليه السلام** بخطابات عدة، ابتداءً من أول ظهور لها وانتهاءً بالآثار الناتجة عنها.

فقد أوضح الإمام **عليه السلام** لمخاطبيه ابتداء الفتن بقوله **(إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى)**[1]، حيث يذهب الدين شيئاً فشيئاً ولذا كان رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** يقول (أول ذهاب الدين ترك السنّة، يذهب الدين سنّة سنّة كما يذهب الحبل قوّة قوّة)[2].

---

[1] نهج البلاغة : خ١٢٢، ص١٧٨-١٧٩.

[2] من الفقه السياسي في الإسلام، محمد صالح، دار الحياة، بيروت، ١٩٧١ : ٨٠.

[1] نهج البلاغة : خ٥٠، ص٨٨.

[2] سنن الدارمي : ٥٧/١.

والفتنة لا تظهر للعيان مباشرة بل (تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ)[٣].

إن الفتن تجعل الوضوح ظلاماً، ولا أمل بالنجاة منها إلا بالتمسك بأهل البيت فهم منها بمنجاة، إذ يقول الإمام (نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ)[٤]، ولا سبيل للخروج منها إلا بالاستضاءة بالسراج المنير وهو الإمام **عليه السلام**، إذ يقول الإمام (إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا)[٥]، فالإمام **عليه السلام** هو المتصدّي للفتن التي تمكّن من القضاء عليها، فيقول (فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا)[٦].

ويتلاءم تدرج الإمام **عليه السلام** في خطابه تبعاً لما يريد معالجته فيهم، إذ لم يكن تدرج الإمام **عليه السلام** في معالجة أمراض عصره فحسب، بل أمراض كل عصر، إذ كان الإمام يخاف عليهم من الفتنة التي بدأت ولن تنتهي إلى يوم القيامة [١].

ففي الوقت الذي يتدرج فيه الإمام في معالجة الفتن بخطابات متفرّقة لخفاء تلك الفتن وتستر القائمين بها، نجد أن الإمام يخصص خطاباً كاملاً واضحاً وصريحاً –إن لم يكن بخطابات عدّة– لعلاج سمة الكبر عندهم لكونها اصل المعصية ودليل الابتعاد عن الطاعة، ولظهور تلك السمة فيهم وإصرارهم عليها، لكونها تعمّ المجتمع بأسره، محاولاً علاج استكبارهم عن طاعة الله وتحذيرهم من العصبية التي كانت سبباً في معصية إبليس لخالقه وإحباط عمله بعد ان عبد الله ستة آلاف سنة [٢].

---

(٣) نهج البلاغة : خ١٥١، ص٢١٠.

(٤) م.ن : خ٩٣، ص١٣٨.

(٥) م.ن : خ١٨٧، ص٢٧٨.

(٦) م.ن : خ٩٣، ص١٣٧.

(١) ينظر : نهج البلاغة : خ١٦٤، ص٢٣٥.

(٢) ينظر : م.ن : خ١٩٢، ص٢٨٠-٣٠٢.

وعندما يريد الإمام **عليه السلام** دعوتهم للتخلق بسمة الزهد، ولا سيما عندما يرى تكالب الناس في إقبالهم على الدنيا، وإجابتهم لما كان يغريهم به معاوية من أموال فيجذبهم إلى صفّه، فيخصّص الإمام **عليه السلام** خطابه مبتدئاً بحثهم على إفراغ قلوبهم وإعمال فكرهم، ويفنّد ما يفعله معاوية، ويضع أمامهم في الخطاب نماذج يقتدون بها في الزهد، فيبدأ برسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**، ومعه أنبياء الأمم السابقة (موسى، وداود، وعيسى)حتى ينتهي إلى نفسه بصفته مثلاً أعلى، لتحكي مدرعته التي كان يرقعها صورة ذلك الزهد إذ يقول (**وَاللَّهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَ لَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى**)[3].

ويتساوق تدرج الإمام **عليه السلام** في خطابه مع ما يرى من حال مخاطبيه، ففي الجهاد يبدأ بدعوتهم وإثارة هممهم، فإن وجد منهم إعراضاً عنه رغّبهم فيه، وإن قوبل باعوجاج أقامه محاولاً إقناعهم، حتى إذا وصل الأمر إلى التخاذل عن نصرة الحق بدأ بمحاججتهم بمواقفهم السابقة ومقابلتها بموقفه متدرجاً في خطابه كتدرجه في دعوته لهم وموقفهم منها نحو قوله (**اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا أَ شُهُودٌ كَغُيَّابٍ وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ**)[1].

ويتصاعد خطابه بالتدريج ليصف ما يتوقع منهم في الحرب، ثم يدعوهم لالتزام أهل البيت، ويقارن موقفهم بموقف الأنصار الأخيار الذين قاتلو ا معه تحت إمرة النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** له يكون حافزاً يدفعهم إلى الجهاد.

أما عندما يصبح عصيانهم له بشكل معلن مؤثر في المجتمع، وعلى مسمع من الجميع كخروجهم عن طاعته بقولهم (**إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ**)، وعندما يكون التقاعس

---

[3] م.ن : خ١٦٠، ص٢٢٩.

[1] نهج البلاغة : خ٩٧، ص١٤١.

منهم مراوغة وتضليلاً ، يعلن الإمام **عليه السلام** وصفهم بشكل مباشر (**طَعَّانِينَ عَيَّابِينَ حَيَّادِينَ رَوَّاغِينَ**)[٢].

وقد كان تدّرج الإمام **عليه السلام** في خطابه الجهادي جزءاً من سياسته العادلة، فلا يباغتهم بسيف ولا يبادرهم بقتال، بل يدعوهم ويحاول إرسال رسائل عدة لحقن الدماء و يؤخر القتال حتى وإن سرى الشك في صفوف جيشه في موقفه من القتال بصفين، محاولاً أن لا يبدأهم بقتالٍ عسى أن يهتدوا، وفي هذا يقول الإمام **عليه السلام** (**فَوَاللَّهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا**)[٣]، ولذا يجعل الإمام **عليه السلام** آخر الدواء الكي[٤].

ويمتد تدرج الإمام **عليه السلام**، ولا سيما في خطابه الجهادي ليجتمع في خطاب واحد لا في خطابات عدّة كما سبق، حيث نلمس تدرجه في إثارة شعور مخاطبيه واستنهاضهم حتى يصل إلى القمة[١]، فيبدأ بإخبارهم الحدث ثم يتوجه إلى إثارة حميتهم ونخوتهم في الدفاع عن المرأة، ولكن دون ان يخرج عن وصف حقيقة ما حدث بالقول (**وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا**[٢] **وَقَلَائِدَهَا وَرُعُثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ**)، ثم تظهر دهشته وحيرته من تفرقهم عن الحق وتمسك أعدائه بالباطل (**فَيَا عَجَباً عَجَباً وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى**

---

[٢] م.ن : خ١١٩، ص١٧٦.

[٣] م.ن : خ٥٥، ص٩١.

[٤] ينظر : م.ن : خ١٦٨، ص٢٤٣.

[١] ينظر : الخطابة وفن الإلقاء : ٣٥.

[٢] القُلْب : السّوار المصمت.

بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ) ، حتى يصل إلى البرم بهم بعد ان جّرعوه مّر تخاذلهم عن نصرة الحق، فيقول **عليه السلام** (**يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدَماً وَأَعْقَبَتْ سَدَماً قَاتَلَكُمُ اللَّهُ**)[٣].

ترتيب أجزاء الخطاب:-

يتميز خطاب الإمام **عليه السلام** ترتيب أجزائه ترتيباً محكماً، متسلسلاً فيما يعرضه من أمر مع تدقيق الوصف فيه والربط بين جزئياته، إذ يبدأ الإمام **عليه السلام** الخطاب –كما سبق ذكره في الفصل الثاني- بمقدمة، يخصّها بذكر الله عزّ وجل وحمده والثناء عليه، ولكن بتنويع ذلك الحمد بما يتوافق مع مضامين خطابه وما يختتم به وبترتيب يحكم شد أجزاء الخطاب وأحكام ربطها.

فيصف الحمد تارة بذكر السبب الموجب له من عزٍّ وكبرياء ليسا لسواه بقوله (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ وَ جَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ**)[١]، وقدرة لله تعالى لا يملكها سواه[٢]، وتفرد لا يكون لسواه، نحو قوله (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ وَالْمُتَعَالِي جَدُّهُ أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التُّؤَامِ وَآلَائِهِ الْعِظَامِ الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ بِلَا اقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ وَلَا احْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ وَلَا إِصَابَةِ خَطَإٍ وَلَا حَضْرَةِ مَلَإٍ**)[٣]، وأخرى بتعظيم الخالق [٤]، وأخرى بتنزيهه عن الوصف

---

[٣] نهج البلاغة : خ٢٧، ص٧٠.

[١] نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٢٨٥-٢٨٦.

[٢] ينظر : م.ن : خ١، ص٣٩.

[٣] م.ن : خ١٩١، ص١٨٣.

[٤] ينظر : م.ن : خ١٩٠، ص١٢٢-١٢٣.

نحو قوله (**الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ وَسَاطِحِ الْمِهَادِ وَمُسِيلِ الْوِهَادِ**[٥] **وَمُخْصِبِ النِّجَادِ لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَزَلْ وَالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ خَرَّتْ لَهُ الْجِبَاهُ وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ حَدَّ الْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا لَا تُقَدِّرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ**)[٦]، وقد يكون الحمد بذكر فضل الاستعانة به، ليكون الحمد نفسه هداية للاستعانة بالله عزّ وجل فلا ضلالة بعدها، وشهادة بوحدانيته تعالى[٧].

وقد يقترن الحمد بالصلاة على رسول الله المصطفى **صلى** الله **عليه وآله وسلم** محاولاً ان يحيط خطابه ببعثة النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، تارة بوصف ترتيب النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** بين سائر النبوات، وأخرى بوصف منزلته، وأخرى بتوضيح صفته، وفضل الصلاة عليه والدعاء له[١]، وأخرى بوصف حال الناس قبل البعثة[٢]، وما كان عليه العرب[٣]، والإشادة بفضله[٤]، وما استحق عليه من اجر، وأخرى بوصف الأنبياء ثم بوصف النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** وأسرته[٥]، وأخرى بالدعاء له نحو قوله (**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ وَاجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ وَلَا نَاكِبِينَ وَلَا نَاكِثِينَ وَلَا ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ وَلَا مَفْتُونِينَ**)[٦].

---

[٥] الوِهاد : جمع وهدة، ما انخفض من الأرض.

[٦] نهج البلاغة : خ١٦٣، ص٢٣٢.

[٧] ينظر : م.ن : خ٢، ص٤٦.

[١] ينظر : نهج البلاغة : خ٧٢، ص١٠١.

[٢] ينظر : م.ن : خ٢، ص٤٦-٤٧.

[٣] ينظر : م.ن : خ٢٦، ص٦٨.

[٤] ينظر : م.ن : خ٣٣، ص٧٧.

[٥] ينظر : م.ن : خ٩٤، ص١٣٩.

[٦] م.ن : خ١٠٦، ص١٥٤.

ثم ينتقل إلى الغرض الأساس الذي يريد الخوض فيه بحسن تخلص لم يشهد له مثيل –وهو الأمر الواضح في جل خطابه–، ثم يختم الإمام **عليه السلام** خطابه بذكر الله جلّ وعلا بآية من آيات القرآن المجيد[٧]، أو حكمة مستقاة من تلك الآيات بخاتمة تختصر وتوجز ما مر من ذكر الغرض، وسوق ذلك كله بتسلسل منطقي يشدّ الفكرة، ويوحّد أجزاءها، ويجعل أجزاء الخطاب متماسكة، فما سبق يكون مفتتح لما يأتي بعده، وما بعده نتيجة لما قبله وبالعكس، وهذا الترتيب يتفق مع تفكير الإنسان، إذ يبدأ بالفكرة جزءاً جزءاً لينتهي إلى ربطها في كلٍّ متكامل، أو يبتدئ بكلها ثم يتدرج في ذكر جزئياتها.

ويتساوق ترتيب الإمام **عليه السلام** مع تدرجه الإمام **عليه السلام** فيما يدعوهم له في خطاب تصاعدي متسلسل يراعي فيه الموقف النفسي لسامعيه والتسلسل الزمني للأحداث[١]، بما يتوافق مع أجزاء الخطاب، وخطبته **(القاصعة)** خير مثال على ذلك[٢].

وينطبق هذا التسلسل على خطابه طويلاً كان أم قصيراً، كما ينطبق على أجزاء ذلك الخطاب، ففي الخطبة **(الغرّاء)** للإمام **عليه السلام** والتي يصف فيها التقوى–مثلاً– نجد تسلسل خطاب الإمام **عليه السلام** وتصاعده تصاعداً تدريجياً، ونتلمس ذلك في كل جزئياته.

فعند تذكير الإمام **عليه السلام** لمخاطبيه بالتقوى يتدرج معهم في وصفها فمن سماعها إلى استشعارها إلى العمل بها، إلى الحذر من عواقب التخلي عنها، إلى إجابة داعيها إذ يقول **(فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ وَوَجِلَ فَعَمِلَ وَحَاذَرَ فَبَادَرَ وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ وَحُذِّرَ فَحَذِرَ وَزُجِرَ فَازْدَجَرَ وَأَجَابَ فَأَنَابَ وَرَاجَعَ فَتَابَ وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى)**[٣]، وينتقل في خطابه من دنيا إلى

---

[٧] ينظر : م.ن : خ١٢١، ص١٧٨.

[١] ينظر : الإسلام والفن : ١٤٩.

[٢] ينظر : نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٢٨٥–٣٠٥.

[٣] م.ن : خ٨٣، ص١٠٩.

أخرى، ومن حياة إلى موت، فإن وصف خلق الإنسان بدأ من منشئه في ظلمات الأرحام لينتهي به في قبره، ليصّور بعد ذلك مما لا تراه العيون وتغفل عنه النفوس[٤].

ويستمر تسلسل جزئيات خطاب الإمام **عليه السلام** حتى في خاتمته فيختم خطاباً له يدعوهم فيه للزهد في الدنيا بحثهم على الاستكانة والإشفاق والخوف من الله تعالى بوصفها سمات أساس للمؤمنين، وبما يتجاوب مع النفس نحو قوله **(إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ)**[٥]، بل اننا نجد هذا الترتيب في جزئيات خطاب الإمام **عليه السلام** حتى في سؤل يتوجه به إلى الله تعالى، فيبدأ بما يريده الإنسان وما ينبغي السعي له، فالشهادة مفتتح السعادة والوصول إلى مرافقة الأنبياء جزاءً من الله تعالى، ولذا يختم الإمام **عليه السلام** خطابه بالقول **(نَسْأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَمُعَايَشَةَ السُّعَدَاءِ وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ)**[١]، "و هذا هو الترتيب اللائق من المؤدب الحاذق، فان المرتبة العالية لا تنال دفعة دون نيل ما هو أدنى منها"[٢].

وفي سياق خطاب الإمام **عليه السلام** يبرز عاملا المكان والزمان في تحديد السياق[٣]، وهما من العوامل المؤثرة التي لا يتوقف أثرها عند الخطاب فقط[٤]، وغالباً ما يفترض أحدهما وجود الآخر[٥]، إن لم نجدهما متلازمين.

ويبرز المكان لأهميته في حياة الإنسان، وتغير مواقف مخاطبي الإمام **عليه السلام** بتغير الأماكن التي تجمعهم به خير دليل على أهمية المكان، فهناك من عرفه بالحجاز وأنكره في العراق [٦]، إذ يعد المكان من العوامل المؤثرة في حياته وفكره.

---

[٤] ينظر : م.ن : خ٨٣، ص١١٢-١١٣.

[٥] م.ن : خ١٥٣، ص٢١٥.

[١] نهج البلاغة : خ٢٣، ص٦٥.

[٢] شرح البحراني : ٢٢٦/١.

[٣] ينظر : نظرية البنائية : ٢٣٦.

[٤] ينظر : أصول النقد الأدبي : ٨٣-٨٥.

[٥] اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي (تلازم التراث والمعاصرة)، محمد رضا مبارك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٣: ١٨٢.

فنجد وصف الإمام **عليه السلام** لمخاطبيه مقترناً بذكر المكان، ولا سيما في خطابه الجهادي، فيخاطب أهل العراق ويصف تركهم لقتال أهل الشام وقد شارفوا على النصر[٧]، مفنّداً مزاعمهم ويرد على ما كانوا يسوقونه من افتراءات محاولين التعلل بها، لتكون عذراً يقابل تخاذلهم وتراجعهم عن نصرة الحق، لذا يقول (**أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ**[٨] **وَمَاتَ قَيِّمُهَا وَطَالَ تَأَيُّمُهَا وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا. أَمَا وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمُ اخْتِيَاراً وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَ عَلَى اللَّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ كَلَّا وَاللَّهِ لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا**)[١]، ولم يكن التراجع موقفهم أول الأمر[٢]، إلا أن تخاذلهم هو الذي ساقهم إلى ذلك التكذيب.

ويختلف خطاب الإمام **عليه السلام** لأهل البصرة ووصفه لهم[٣] عن خطابه لأهل الكوفة الذين كان ابتداء التخاذل فيهم، والخوارج من قرّائهم، وكان اعتماده عليهم في حروب الجهاد[٤]، إذ يخاطب أهل الكوفة بالقول (**يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَاثْنَتَيْنِ صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرَ**)[٥]، ويتجاوز ذلك إلى خطاب ذلك المكان دون أهله مشيراً إلى أهمية ذلك المكان فيخص بخطابه الكوفة

---

[٦] نهج البلاغة : خ٣١، ص٧٤.
[٧] ينظر : شرح البحراني : ٣٤٣/١.
[٨] أملصت : أسقطت وألقت ولدها ميتاً.
[١] نهج البلاغة : خ٧١، ص١٠٠.
[٢] ينظر : م.ن : خ١٠٧، ص١٥٥.
[٣] م.ن : خ١٤٨، ص٢٠٦.
[٤] ينظر : شرح البحراني : ٢٣٣/١.
[٥] نهج البلاغة : خ٩٧، ص١٤٢.

(كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ)(٦)، ومثل ذلك قوله (مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ فَقَبَّحَكِ اللَّهُ)(٧).

لذا نجد اقتران ذّم أهل المكان في خطاب الإمام **عليه السلام** بالمكان نفسه في بعض المواضع فيكون ملفتاً لأنظارهم إلى خصوصية ذلك المكان وأثره في ساكنيه، فيذم أهل البصرة بعد وقعة الجمل بقوله (**كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ رَغَا فَأَجَبْتُمْ وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ**) منتقلاً بعد ذلك إلى ذم البلاد في الخطاب نفسه بقوله (**بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ اللَّهِ تُرْبَةً أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ**)(١).

ولا يقف وصف المكان على ذلك، بل نجده في خطابه يميز بين دارين، دار الدنيا بوصفها دار فناء والناس فيها على سفر إلا أن عمل الإنسان محدد بها ليأتي الموت فاصلاً ينقله إلى دار الآخرة بوصفها دار بقاء ينال فيه الإنسان الجزاء لما عمل في الدنيا، ومثل ذلك وصفه **عليه السلام** للسماء والأرض ففي كليهما أناس، فإن كانت الدنيا مادية يرونها بأعينهم فهناك خلقٌ ممّا لا يمكن رؤيته أو وصفه(٢).

ونجد عامل الزمان وتغيره في خطاب الإمام **عليه السلام** عاملاً آخر، لمعرفة الإمام **عليه السلام** بحركة التاريخ وتقلب الدهر، ولا سيما "في بعده المسيطر على الإنسان والحياة، حيث لا يكون بمقدور البشر التأثير على حركته والتحكم في وحداته، إنما هو يمضي حسب القانون الكوني الذي وضعه الله تعالى"(٣).

---

(٦) م.ن : خ٤٧، ص٨٦.

(٧) ينظر : م.ن : خ٢٥، ص٦٦.

(١) نهج البلاغة : خ١٣، ص٥٥-٥٦.

(٢) ينظر : م.ن : خ٩١، ص١٢٤-١٣٦.

(٣) الزمن في حركة العاملين، حسين الشامي، دار الإسلام، لندن : ١٩-٢٠.

ويوضّح الإمام **عليه السلام** انقلاب موازين الأمور مقترنةً بتبدل الزمان، وأثره في تغيير الناس،وازدياد تشبثهم بالحياة فيقول (**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وَزَمَنٍ كَنُودٍ يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً**[٤] **حَتَّى تَحُلَّ بِنَا**)[٥]، فيذم الزمان بنسبة صفتي الجور والشدّة له ليشير إلى "ضعف الدين والنواميس الشرعية التي هي سبب نظام العالم وبقائه وسبب الحياة الأبدية في الدار الآخرة" [٦].

ويشدد الإمام **عليه السلام** على ان الأمم تسير خلف أمم سابقة، وستتبعها أمم أخرى وتحذو خلفها حذو النعل بالنعل، ويوضّح الإمام **عليه السلام** ذلك بالقول (**إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ وَلَا يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ**)[١]، وانهم يتكلمون برجع قول سابق (**إِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ**)[٢]، إذ يمثل التاريخ ذاكرة البشرية فهو إسقاط الخبرة البشرية على خط الزمن المتتابع [٣].

ويتبين أثر الزمان في خطاب الإمام **عليه السلام** بماضٍ يذكّرهم به لأخذ العبر والدروس والموعظة منه، إذ يقول الإمام **عليه السلام** (**أَوَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءَ وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرِبَاءَ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ**[٤] **وَتَطَئُونَ جَادَّتَهُمْ**

---

[٤] قارعة : من الخطب يقرع من ينزل به أي يصيبه.

[٥] نهج البلاغة : خ٣٢، ص٧٤.

[٦] شرح البحراني : ٢٥٩/١.

[١] نهج البلاغة : خ١٥٧، ص٢٢١.

[٢] م.ن : خ١٣٨، ص٢٦٦.

[٣] ينظر : البناء الفني في الرواية العربية في العراق، شجاع العاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٤ : ٦٩.

[٤] قدّتهم : طريقتهم.

فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا)[٥].

مثلما يعيدهم الإمام **عليه السلام** إلى زمان الجاهلية السابق للنبوة، وينهاهم عن الاتصاف بصفات أهل ذلك الزمان، إذ يقول (**وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ كَقَيْضِ بَيْضٍ**[٦]**فِي أَدَاحٍ**[٧] **يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً**)[٨]، ثم يحيلهم إلى زمان النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** وما كان فيه من خير للبشرية أجمع، ليتيح لهم الوصول إلى فساد الزمان الحالي[١]، كما يحيلهم إلى القصص القرآني والنبوات السابقة لأخذ العبرة منهم والاقتداء بنهجهم والاتعاظ بمصير مخالفيهم[٢].

وقد يسبق الإمام **عليه السلام** الأحداث –وهو أعلم بها- فينتقل بهم إلى زمان المستقبل لتحذيرهم من العواقب لمستقبلية، وما يصيب الإنسان من جّراء غفلته عن ذكر الله بانهماكه في نعم الدنيا ولذاتها [٣]، وليضع أمامهم عاقبة النهج الذي يسيرون عليه [٤]، إذ يقول (**وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ وَلَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفَ مِنَ**

---

[٥] نهج البلاغة : خ٨٣، ص١١١.

[٦] كقيض بيض : قشرة البيض اليابسة.

[٧] أداح :مبيض النّعام في الرمل تدحوه برجلها تبيض فيه.

[٨] نهج البلاغة : خ١٦٦، ص٢٤٠.

[١] ينظر : نهج البلاغة : خ١٢٩، ص١٨٧.

[٢] ينظر : م.ن : خ١٩٢، ص٢٨٥-٣٠٢.

[٣] ينظر : شرح البحراني : ٦١٣/١.

[٤] وهو ما وضعه الشريف الرضي معنوناً بالملاحم.

الْمُنْكَرِ)[٥]، وليخلق لديهم وعياً بسبيل النجاة للتمسك به، "إذ كانت الرسالات السابقة عينية في تشريعها وزمكانية في توجهها، أما الرسالة الخاتمة، فلقد نزلت ابتداء إنسانية عالمية متجاوزة في خطابها الزمان والمكان لتستوعب كل الأمكنة مع اختلاف المجتمعات وتطورها"[٦]، فيصور لهم فتنة بني أمية و يحذرهم منها ويبين لهم عواقبها وما تجره عليهم[٧]، أو يحيلهم على الموتى من أهلهم وذويهم السابقين لهم، مما لا يعلمون بعاقبة أمرهم وما آل إليه حالهم، ويصفهم بالقول **(حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ**[٨]**فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً)**[١]، وما ينتظرهم عند البعث في الآخرة[٢]، محاولاً هدايتهم إلى طريق الحق الذي لا سبيل للاهتداء إليه إلا خلف راية الإمام **عليه السلام**.

ومن هنا يبرز عاملا الزمان والمكان بوصفهما عنصرين أساسين لهما اثر متبادل في مخاطبي الإمام **عليه السلام**، وما يحيط بهم من أحداث، ليكون لهذين العاملين دور أساس في ترتيب أجزاء الخطاب وربط جزئياته، مشدداً على نسبية هذين العاملين.

تنويع الخطاب الرسالي:-

يوّجه الإمام **عليه السلام** خطابه الرسالي لمخاطبيه مع تنويع ذلك الخطاب بحسب الغرض الذي يطرقه وما يدعوهم إليه، فيوّجه الإمام عليه السلام أغلب خطابه بضمير المخاطب الجمعي، فإن كان في خطاب الجهاد ليخلق فيهم الحس الديني والمشاركة الفعلية

---

[٥] نهج البلاغة : خ١٤٧، ص٢٠٤.

[٦] ظاهرة النص القرآني تاريخ ومعاصرة، سامر إسلامبو، الأوائل، سوريا، ط١، ٢٠٠٢ : ١٥٣.

[٧] ينظر : نهج البلاغة : خ١٤٧، ص٢٠٥-٢٠٦.

[٨] الأجداث : القبور.

[١] نهج البلاغة : خ١١١، ص١٦٦.

[٢] م.ن : خ٨٣، ص١٧٦.

نحو قوله (وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ[3] صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ حَسّاً بِالنِّصَالِ وَشَجْراً بِالرِّمَاحِ)[4].

وإن كانت دعوته لأداء فريضة خاطبهم بخطاب الجمع يشدد فيه على أهمية الجماعة والانخراط في عقدها لحماية الإسلام نحو قوله بعد دعوتهم لأداء الفرائض (أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ)[1]، وليخلق فيهم الحس الجماعي، ويحثهم على المشاركة الفاعلية، زيادة على الدافع الديني عند موعظته لهم[2].

إلا ان الإمام **عليه السلام** قد يوجّه خطابه بضمير المتكلم الجمعي فيضع نفسه معهم مع عصمته ونزاهته عند محاولته تشخيص أمراض المجتمع، تعبيراً عن مشاركة الإمام عيله السلام لمخاطبيه همومهم وشكواه ممّا كان يعانيه المجتمع، ولحثهم على تجاوز مساوئه نحو قوله (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وَزَمَنٍ كَنُودٍ[3] يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا)[4]، فيوجه خطاباً يجمعه بمخاطبيه ويحثهم ولكن بطريق غير مباشر.

ويتساوق هذا التنويع في خطاب الإمام **عليه السلام** مع تدرجه فيه، فيبدأ بتوجيه الخطاب بشكل غير مباشر، مستخدماً ضمير الغائب ليصل إلى توجيهه بضمير الخطاب

---

[3] وحاوح : جمع وحوحة، صوت معه بحح يصدر عن المتألّم والمراد حرقة الغيظ.

[4] نهج البلاغة : خ١٠٧، ص١٥٥.

[1] نهج البلاغة : خ١١٠، ص١٦٣.

[2] ينظر : م.ن : خ١١١، ص١٦٥-١٦٦.

[3] كنود : كفور.

[4] نهج البلاغة : خ٣٢، ص٧٤.

بشكل مباشر، فإذا ما أراد لفت أنظارهم عن الدنيا بالتفكر بما فيها لما يوصله بالآخرة، فلا يجعل الإنسان اليائس همّه، خاطبهم بضمير المفرد على الرغم من كونهم جمع فيكون خطابه قريباً من نفوسهم نحو قوله (**فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا**)[٥]، وإذا أراد ذمّ المتخلفين عنه بدأ بشكل غير مباشر بقوله بما لا يسيء إلى كرامة أحد أو يخدش مشاعره (**عَزَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي**)[٦]، فيذم من تخلّف عنه، ويحكم عليه بعدم إصابة رأيه[١]، مستخدماً أسلوب القران ذاته الذي نزل (بإيّاك أعني واسمعي يا جارة)[٢].

ويحاول الإمام **عليه السلام** خلق وازع في نفس الإنسان الذي أتاح الله سبحانه له اختيار طريق الهداية بعد أن وضع أمامه البيّنات التي توصله لها، ولا سيما عند دعوتهم لتقوى الله وطاعته وعبادته، ذلك أن تقوى الله حالة تبدأ باستشعار الإنسان لها[٣]، ومثلها طاعة الله عزّ وجل فيكون السير بها لمن جعلها شعاراً دون دثاره[٤]، ومثلها عبادة الله جلّ ذكره إذ يوصيهم الإمام عليه السلام بقوله (**فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ**)[٥].

لذا قد يخاطب الجمع بخطاب المفرد وبوصف غير مباشر محاولاً خلق واعظ في نفس الإنسان يسير به نحو ما يرضي الله وليشعر كل فرد منهم بالمسؤولية عما يصدر منه، فيكون ناصحاً لنفسه[٦]، ليعينه الله عليها[٧] لأنه (**مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ**

---

(٥) م.ن : خ١٦٥، ص٢٣٩.

(٦) م.ن : خ٤، ص٥١.

(١) ينظر : شرح البحراني : ١٨٣/١.

(٢) قال الصادق عليه السلام نزل القران بإيّاك اعني واسمعي يا جارة). أصول الكافي : ٦٢٢/٢.

(٣) ينظر : نهج البلاغة : خ١٣٢، ص١٩٠.

(٤) ينظر : م.ن : خ١٩٨، ص٣١٢-٣١٣.

(٥) ينظر : م.ن : خ١٩٨، ص٣١٢-٣١٣.

(٦) ينظر : م.ن : خ٦٤، ص٩٥.

مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ)[8]، ويرد مثل هذا الخطاب المفرد عند دعوة الإمام عليه السلام لهم للزهد في الدنيا، وترك الاغترار بها كقوله **(فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ وَحَذِرَ الْإِقْلَالَ وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ حَمْلًا عَلَى الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكاً بِالْأَنَامِلِ)**[1].

ونجد تنويع الخطاب واضحاً في خطاب الإمام التنبيهي المعبر عن صوته الرسالي، وذلك بحسب ما يراه الإمام عليه السلام من حال مخاطبيه وما يدعوهم له ويحثّهم عليه، فعندما تكون دعوته دعوة عامة، ولنواحٍ مختلفة يخاطبهم بعبارة **(أيها الناس)**، ونجد مثل ذلك في خطابه إن وجد منهم ابتعاداً عن الحق وإيغالاً في الباطل، وابتعاداً عن الطاعة [2].

أمّا عندما يدعوهم الإمام **عليه السلام** إلى تقوى الله تعالى وطاعته يخاطبهم بقوله **(عباد الله)**، ليذكرهم بما دعاهم له سبحانه في كتابه، وليجلي العمى من أبصارهم ويزيل الكبر عن نفوسهم بتذكيرهم بأنهم في مقام العبودية لله سبحانه عباد مخلوقون لأجل عبادة الله الواحد وتقواه وطاعته تارة، ولينبههم إلى عظمة الموت الذي سيعيدهم إلى الله تعالى، وليوصيهم بالتقوى فالتزود بها حق لله عليهم، وهو ما يتضح من خلال الكلام الذي يلي ذلك الخطاب[3].

وإذا رأى الإمام **عليه السلام** منهم غفلة عن نعم الله تعالى وابتعاداً عن أداء حقها، ولا سيما ما جعلها الله للإنسان أسباباً لاستشعار تلك النعم وهي الحواس، وسبيلاً لأداء

---

[7] ينظر : م.ن : خ٨٧، ص١١٨.

[8] م.ن : خ٩٠، ص١٢٣.

[1] نهج البلاغة : خ١٣٢، ص١٩٠.

[2] ينظر : م.ن : خ٢٨، ص٣٢٣.

[3] ينظر : م.ن : خ٨٣، ص١٠٧.

حق شكرها بالطاعة خاطبهم بها لتنبيههم إلى استخدامها بالوجه الصحيح بالقول (**أُولِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ**)[٤].

وإذا رأى الإمام **عليه السلام** منهم إيغالاً في الغفلة وحباً للدنيا مع تركهم العمل الذي أمروا به للآخرة خاطبهم بالحالة التي يجدها عندهم (**أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ**)[١]، وإذا رأى منهم تمادياً في الغفلة مع كبر السن وظهور الشيب خاطبهم بالقول (**أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ**)[٢].

أما إذا رأى اختلاف الأهواء وافتراقهم عن خط الأمام **عليه السلام** وتراجعهم عن نصرة الحق مع ما يراه من اجتماع أبدانهم، حاول استنهاضهم **بالخطاب** (**أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ**)[٣].

ونجد مثل هذا التنويع في خطاب الإمام **عليه السلام** في تنويعه بين المفرد والجمع، وتكييفه تبعاً لما يرى الإمام **عليه السلام** من حالهم وما يريد حثّهم عليه، وذلك بتنويع الخطاب بين المفرد والجمع في الوقت الذي يوجه خطابه إلى جمع لا مفرد، فإن كان خطابه تنبيهاً لهم من الغفلة وحثهم على التقوى، خاطبهم بالمفرد لينبههم إلى أن التقوى شعور فردي داخلي لا يعلم به إلا الخالق في بعض أفعال الناس لان النية أساس قبول العمل ، والإنسان مأمور بالتزود من التقوى في الدنيا، وسيحاسب عليها في الآخرة، فهو مسؤول عن نفسه في الآخرة فلا قريب ينفعه، ولا أخ يدافع عنه، نحو قوله توافقاً مع الخطاب القرآني في تفسير قوله تعالى ((يا أيّها الإنسان ما غرّك بربك الكريم))[٤] بقوله (**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ**)[٥] ليكمل بعده الخطاب. وفي خطاب الإمام عليه السلام في توحيد الله جلّ

---

[٤] م.ن : خ٨٣، ص١١٤.

[١] نهج البلاغة : خ١٧٥، ص٢٥٠.

[٢] م.ن : خ١٨٣، ص٢٦٧.

[٣] م.ن : خ٢٩، ص٧٢.

[٤] (سورة الانفطار/ ٦).

[٥] نهج البلاغة : خ٢٢٣، ص٣٤٤.

وعلا وتنزيهه عن الخلق يخاطبهم بقوله (**أَيُّهَا الْمَخْلوقُ السَّوِيُّ وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ**)[٦]، لحثهم على التفكر في آيات الله ليزيل الشرك والإلحاد من نفوسهم.

إلاّ ان تنويع الخطاب الرسالي وإن اقترن بتكييفه مع حال مخاطبيه وما يدعوهم له، إلا ان هناك عبادات جماعية تصب في فلسفة الحياة وتؤدى بصورة جماعية، زيادة على أثرها في المجتمع بأسره أو على فرد واحد، فالجهاد فريضة تؤدى بشكل جماعي ويعم اثر التخاذل عنه على المجتمع بأسره، فيخاطبهم بالقول (**أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ**)[١]، محاولاً تنبيههم إلى تلك الحالة التي يجدها فيهم لهدايتهم إلى الحق، ولا سيما إن كان التخاذل وتفّق الأهواء حالة تعم المجتمعولا تخص أفراداً منه.

المقام الإرسالي:-

يقف الإمام **عليه السلام**في خطابه منطلقاً من مقام الولاية الرسالي الذي خص به و أهل بيته **عليهم السلام** حيث يقول الإمام **عليه السلام** في رد الظلم عنه (**أَمَّا الِاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً وَالْأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ صلى الله عليه وآله نَوْطاً فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً**[٢] **شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ وَالْحَكَمُ اللَّهُ وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ**)[٣].

وللإمام **عليه السلام** مقام آخر وهو مقام العبودية الخالصة لله يقف فيه ليوجه منه خطابه للخالق عزّ وجل بخطاب يختلف تماماً عن خطابه لمخاطبيه، ففي خطابه تتجسد العبودية المطلقة بازاء الربوبية، فيقف في مقامه الإرسالي مقام الإفراد والتوحيد الخالص لله عزّ وجل الذي يجعله واقفاً بين يدي الله عز وجل وقفة عبدٍاخلص العبودية لله تعالى، وسلم خطابه من كل ما يغنيه عن الله جلّ ذكره أو يدفعه للشرك به، وبرء قلبه من كل ما يبعده من شك أو كفر أو رياء أو عصبية، وفي هذا المقام ينطلق لسانه ببلاغة إعجازية لا تحد

---

[٦] م.ن : خ١٦٣، ص٢٣٣.

[١] نهج البلاغة : خ٢٩، ص٧٢.

[٢] الأثرة : الاختصاص بالشيء دون مستحقه.

[٣] نهج البلاغة : خ١٦٢، ص٢٣١.

بوصف، لتكون علماً سماوياً لا يتسنى لأحد من أهل الأرض مهما اخلص طاعته لله تعالى أو جاهد في سبيل مرضاته.

وإذا ما حاولنا تصور مقدار علم الإمام **عليه السلام** تحيّرت عقولنا عن إدراكه، وإحساسنا بالعجز عن معرفته، وعدم القدرة على وصف ذلك العلم وتلك البلاغة، فلا نستكثر على الإمام **عليه السلام** ما نراه من معرفته بسامعيه واهتمامه بهم –وهو ما حاولنا تلمسه في جانب من خطابه–، وهو دليل على قدرة الإمام التوصيلية المقترنة ببلاغة خطابه، فخطاب الإمام **عليه السلام** بلاغة إعجازية.

فلو عدنا إلى الفصاحة عند الإمام **عليه السلام** لوجدناها عنده سمة للّسان و(**زينة الكلام**)[1]، وهو ما يمكن التفاضل فيه إذ يقول (**نحن افصح وانصح واصبح من سائر بطون قريش**)[2]، فإن كانت الفصاحة مما يمكن اكتسابه كما يصفها الإمام بالقول (**ما لبس رجل بعد تقوى الله لباساً احسن من فصاحة**)[3]، إلا انها عند الإمام **عليه السلام** خصيصة ملازمة له وأهل بيته ومتوارثة عن رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** الذي كانت فصاحته توفيقاً وإلهاماً من الخالق عزّ وجل وآية من آياته، فلم يتكلف الكلام ولم يرتاض له [4].

أما بيان الإمام **عليه السلام** فهو الذي ينطق العجماء ذات البيان[5]، إلاّ ان بيان الإمام **عليه السلام** نطقاً من عنده، ولا تأييداً لرأي خاص به، أو تعبيراً عن تجربة خاضها، بل كان الإمام ينطق بما قاله الله سبحانه وتعالى، ويعبّر عمّا أراده[6]، ويعظ بما وعظ به،

---

[1] يروى عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سؤال (ما الجمال في الرجل؟ قال : فصاحة لسان). قواعد البلاغة مصطفى النوراني، مكتبة أهل البيت، طهران، ط١، ١٤٢٢ : ٥٠.

[2] نهج البلاغة : قول ١٢٠، ص٤٩٠. ولذا يقول الإمام زين العابدين عليه السلام (خصّصنا بخمس بصباحة وفصاحة وسماحة ورجاحة وحظوة). بهج الصباغة : ١٣/١٤.

[3] انساب الأشراف : ١٨٧.

[4] ينظر : إعجاز القران والبلاغة النبوية : ٣١٦-٣١٩.

[5] ينظر : نهج البلاغة : خ٤، ص٥١.

[6] ينظر : أصول الكافي : ١٨٩/١.

ويحثهم قائلاً (انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ[1])[2]، فالإمام عليه السلام يأمر بما أمر به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه واله وسلم وينهى عما نهى عنه، ويحّل ما احله الله ورسوله، ويحرم ما حرم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي خطاب الإمام عليه السلام تفسير لظاهر القرآن، وتوسع في معانيه، وتعّمق لما وراء آياته[3]، واستخدامها بالمعنى الأمثل الذي نزلت فيه، وفي خطاب الإمام عليه السلام وصف لسمات زخر بها القرآن ليجمعها خطاب الإمام عليه السلام، فمن وصف المتقين [4]، إلى وصف المنافقين [5]، إلى وصف الصادقين[6]، وبلاغة الإمام عليه السلام إثارة للعلم الإعجازي الكامن فيها الكامن في آيات الكتاب مما لا يعلمه سوى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا سيما في خطابه التوحيدي الذي يصف به خلق الله تعالى للسماوات والأرض وتدرجه في ذلك الخلق، كقصة خلق آدم عليه السلام [7]، ليصل بخطابه إلى إثارة دفائن عقولهم وحثهم على التفكير في إعجاز القران من خلال بلاغة الإمام عليه السلام وإعجازه لهم بالقول.

وتجتمع فصاحة الإمام عليه السلام وبيانه مع بلاغته، فالبلاغة "ملكة تعطي لصاحبها القدرة على إنتاج الخطاب البليغ" [8]، والبلاغة عند الإمام عليه السلام "إفصاح

---

[1] الجليّة أي الأعذار الجليّة، والعذر هنا مجاز عن سبب العقاب في المؤاخذة عند مخالفة الأوامر الإلهية.

[2] نهج البلاغة : خ١٧٦، ص٢٥١.

[3] ينظر : م.ن : خ (٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣) ، ص٢٣٨-٢٤١.

[4] ينظر : م.ن : خ١٩٣، ص٣٠٣-٣٠٥.

[5] ينظر : م.ن : خ١٩٤، ص٣٠٨.

[6] ينظر : م.ن : خ٢١٠، ص٣٢٧.

[7] ينظر : شرح البحراني : ١٢٠/١.

[8] البلاغة العربية قراءة أخرى : ٧٢.

قول عن حكمة مستغلقة، وإبانة عن مشكل" [٩]، إذ تتلخص في تركيز واقتصاد ودقة ومعنى [١]، فالبلاغة عند الإمام **عليه السلام** إيجاز في اللفظ وقرب دلالته على المعنى[٢]، والإيجاز هو "إيضاح للمعنى بأقل ما يمكن من اللفظ" [٣]، وهو ما تميزت به البلاغة النبوية[٤]، فألفاظ النبي **محمد صلى** الله **عليه وآله وسلم** ان "جامعة للمعاني المقصودة على إيجازها واختصارها" [٥]، ولذا نقل عن النبي **محمد صلى** الله **عليه وآله وسلم** قوله " (إنا معاشر الأنبياء بكاء) أي قليلو الكلام"[٦]، ولذا وصف الإمام عليه السلام النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** بقوله (**كَلَامُهُ بَيَانٌ وَصَمْتُهُ لِسَانٌ**)[٧].

والإيجاز عند الإمام **عليه السلام** لا يعني قصر الخطاب ولا يمت بصلة لطوله، فقد كان الإمام **عليه السلام** يطيل في خطابه حتى العصر، ولا سيما في تعظيمه للخالق عز وجل إن رأى وجهاً لذلك، فيعجب الناس من حسن خطابه [٨].

لقد كان كلام الإمام **عليه السلام**موجزاً بقلة لفظ وعمق معنى ودقة وصف حتى وصفت بعض خطبه بانها "كلمة جامعة" [٩]، وبعض أقواله كقوله (**قيمة كل امرئٍ ما يحسنه**)[١٠]، إذ وصف كلامه بأنه "فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة

---

[٩] كتاب الصناعتين : ٥٨.

[١] وقد قال الإمام الصادق عليه السلام (ثلاثة فيهم البلاغة : التقرب من معنى البغية، والتبعد من حشو الكلام، والدلالة بالقليل على الكثير). البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي : ١٤.

[٢] ولهذا "يكاد تعريف البلاغة يرادف عند بعضهم لفظ الإيجاز ولا يعدوه". الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ١٩٢.

[٣] سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ)، مكتبة محمد علي، مصر، ١٩٦٩ : ٢٠٣.

[٤] ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ٣٧٣-٣٧٤.

[٥] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٥٢/١.

[٦] البيان والتبيين : ١١٤/١.

[٧] نهج البلاغة : خ٩٦، ص١٤١.

[٨] ينظر : أصول الكافي : ١٦١/١.

[٩] ينظر : نهج البلاغة : كلام الشريف الرضي، خ٢١، ص٦٢

[١٠] م.ن : قول ٨١، ص ٤٨٢.

لوجدناها شافية كافية ومجزئة مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية، وغير مقتصرة من الغاية" [1].

على ان إيجاز الإمام **عليه السلام** في خطابه لا يعني نفي التكرار عن خطابه، فقد حرص الإمام على اطلاع الناس على مجريات الأمور وإيضاح ما يمر بهم من أحداث، ولاختلاط الحق بالباطل فقد كان انتهاء الحدث لا يعني انتهاءه عندهم، بل تمتد آراؤهم إلى الحدث السابقفتحاول تأويله على غير ما هو عليه، ليكون مفتتحاً لفتنة أخرى، ولما عهدوه فالفتن تبدأ كلاماً لتتطور إلى أحداث ومواقف، وكانت سياسة معاوية والمغريات التي يقدمها مدداً لهذه الفتن.

ولذا فقد كان الإمام **عليه السلام** حريصاً على القول في ذلك، لما يراه في صدورهم، وما يصل إلى سمعه من همسات تدور بينهم، بما يتوافق مع مناسبة الخطاب، وما يرى من حال السامعين، فنجد الإمام عليه السلام في خطابه بعد انتهاء أمر البيعة، يصف لهم أمرها [2]، وبعد الجمل يفند من وقف بازائه في حرب الجمل[3]، وفي صفين يعيد تكرار ما حدث في الجمل، وبعد الحكمين يعيد تكرار أمر الحكمين [4]، وهو يحاول تفنيد الأقوال التي تصل إليه من أعدائه بشكل صريح معلن ليخرس الألسنة التي تتلقفها وتزيد عليها[5].

ولا نجد الإيجاز عند الإمام **عليه السلام** بتغير ألفاظ الخطاب، بل إننا نرى اللفظة الواحدة تحوي معاني عميقة، فكلام الإمام **عليه السلام** ألفاظ قليلة تشتمل على معاني عميقة تشع حكمة وبلاغة وسمواً [6]، وتلاحمها في خطابه يعطي معاني اعمق، ويتساوق الإيجاز مع دقة الوصف في خطاب الإمام **عليه السلام**، فيزيد الإيجاز دقة، دون ان يتنافى معه.

---

[1] البيان والتبيين : ٨٣/١.

[2] ينظر : نهج البلاغة : خ١٣٦، ص١٩٤.

[3] ينظر : م.ن : خ١٥٦، ص٢١٨.

[4] ينظر : م.ن : خ١٢٧، ص١٨٤.

[5] ينظر : م.ن : خ٨٤، ص١١٥.

[6] ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ٣٢٢.

ونجد دقة وصف الإمام **عليه السلام** في خطابه فيما كان يصف من وصف معنوي، فيحث الإمام **عليه السلام** مخاطبيه –على سبيل المثال– على العمل الصالح، ويدقق في وصف ما يقودهم إلى ذلك العمل، فيبدأ بأول ما يمكن أن يبدأ به المرء وهو السماع والوعي، ويدقق في جزئياته حتى يصل إلى العمل، نحو قول الإمام **(رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا رَاقَبَ رَبَّهُ وَخَافَ ذَنْبَهُ قَدَّمَ خَالِصاً وَعَمِلَ صَالِحاً اكْتَسَبَ مَذْخُوراً وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً وَرَمَى غَرَضاً وَأَحْرَزَ عِوَضاً كَابَرَ هَوَاهُ وَكَذَّبَ مُنَاهُ جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ اغْتَنَمَ الْمَهَلَ وَبَادَرَ الْأَجَلَ وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ)**[1].

ولا تتوقف الدقة في خطاب الإمام **عليه السلام** عند وصف معنوي، بل يتجاوز ذلك إلى الوصف المادي، فيصف في خطاب كامل أجزاء خلق من خلق الله تعالى وهو الطاووس –مثلاً– ويدقّق الوصف فيه بوصف ما هو مادي للارتقاء إلى ما هو معنوي، ممّا لا يمكن إدراكه بحس وذلك ليوصلهم إلى العجز عن وصف الخالق الذي لا يحد بمكان أو زمان ولا يوصف كوصف الإنسان، فأقل أجزاء الطاووس كما يصفه الإمام **عليه السلام** **(قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ وَالْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ)**[2]، محاولاً الارتفاع بهم عن النظرة المادية التي تكّرست في الناس بفعل انقلاب الأمور إلى النظرة البعيدة عن الحس للارتقاء بهم ، ومن ما يرون من جمال إلى ما لا يمكن تصّوره في الجنان ف**(كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ)**[1]، ولذا يصف لهم الإمام **عليه السلام** في الدنيا ما تراه أعينهم في دار الفناء

---

[1] نهج البلاغة : خ١٧٦، ص١٠٣.

[2] م.ن : خ١٦٥، ص٢٣٨.

[1] نهج البلاغة : خ١١٤، ص١٧٠.

ويصعب وصفه عليهم، لتقوية إيمانهم بالخالق الذي أعدّ لهم في دار الجزاء والبقاء ما لم يتهيّأ لأحد معرفته، إلاّ من رسخ الإيمان في قلبه.

ويدقّق الوصف ولا سيما فيما يراهم يتناسونه، وهم الأولى بتذكره فلا واعظ مثله وهو الموت، ولذا يدقق في وصف المراحل التي يمّر بها الإنسان بعد ان يذكّرهم بالسابقين ممن عملوا للدنيا وتركوها[٢] فيصف الإنسان في أواخر أيّامه، وينتقل في وصفه مما تراه أعينهم وتتناساه قلوبهم من تغيّر الحال عند المرض وانشغاله بنفسه[٣]، إلى تغيّر ألوانه وموت جوارحه وبدنه[٤]، ليصل به إلى قبره[٥]، ثم يتجاوز ذلك إلى وصف ما لا تراه أعينهم بعد الموت من البعث والمعاد وما ينتظر الإنسان من مواقف وأهوال[٦].

وهذا التدقيق في تناول المعاني لا يملكه إلا الرجال الذين خصهم الله سبحانه وتعالى بتسبيحه فلا تلهيهم عنه تجارة ولا يشغلهم بيع (**يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ**)[٧]، وهم الإمام والأئمة من أهل بيته **عليهم السلام**، فهذه البلاغة يعجز عنها من سواهم.

على ان التدقيق في الوصف لا يعني صعوبة فهم خطاب الإمام **عليه السلام**، بل كانت لخطابه معانٍ واضحة من ظاهر اللفظ يفهمها الجميع، "وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه

---

[٢] ينظر : م.ن : خ١٣٢، ص١٩٠.

[٣] ينظر : م.ن : خ٢٢١، ص٣٤١.

[٤] ينظر : م.ن : خ١٠٩، ص١٦٠-١٦١.

[٥] ينظر : م.ن : خ١١١، ص١٦٦.

[٦] ينظر : م.ن : خ٨٣، ص١٠٧-١١٤.

[٧] م.ن : خ٢٢٢، ص٣٤٢-٣٤٣.

من نور الحكمة على حسب نيّـة صاحبه، وتقوى قائله" [1]، وكلما ازداد قربهم من الإمام **عليه السلام** ومعرفتهم بحقه، ازداد علمهم وفهمهم لمعاني خطابه العميقة وتوسعت علومهم تبعاً لذلك.

ويكمن الإيجاز في خطاب الإمام **عليه السلام** من خلال الأوجه التي يحملها الخطاب الواحد، فكلام الإمام فيه عبق من كلام النبوة الخالد[2] ، فعند وصيته لهم بالتزام الجادة الوسطى –على سبيل المثال– في قوله (**الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ**)[3]، فإنه يريد لمن لا يصل فيه إلا لمعانٍ مباشرة بأن خط الإمام **عليه السلام** هو الاعتدال الذي لا يميل الإنسان معه عن الحق بانتقاص ولا يرتفع عنه إلى مبالغة وغلو، أما من رأى حق أهل البيت **عليهم السلام** وآمن بمعجزاتهم وتفرّدهم بما خصّهم به الباري عزّ وجل في كتابه من آيات، إذ جعلهم الله تعالى بامتثالهم لأوامره وطاعتهم شهداء على الناس[4]، فسيصل إلى ان الإمام وأهل بيته **عليهم السلام** هم الطريق الوسطى التي يطلب الإمام عليه السلام التزامها بقوله (**خَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالْزَمُوهُ**)[5]، وأنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى طريق الاعتدال إلا بالتمسك بهم **عليه السلام**، فالإمام **عليه السلام** –ومن بعده أهل بيته **عليهم السلام**– هو الطريق الوسطى الذي جمع بفضائله وخصائصه "بين الأضداد وألّف بين الأشتات"[1].

---

(1) البيان والتبيين : ٨٣/١.

(2) ينظر : نهج البلاغة : خ٢١٠، ص٣٢٧.

(3) م.ن : خ١٦، ص٥٨.

(4) ينظر : الألفين : ٧٩. وهو الوارد في قوله تعالى ((وكذلك جعلناكم أمّةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيداً عليكم)) (سورة البقرة/١٤٣). وفي هذا يقول الإمام علي ومثله الإمام الصادق عليهما السلام (نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالي، واليها يرجع الغالي). نهج البلاغة : قول١٠٩، ص٤٨٨.

(5) م.ن : خ١٢٧، ص١٨٤.

(1) نهج البلاغة : مقدمة الشريف الرضي : ٣٦.

وعلى الرغم ممّا اشتهر به العرب من الفصاحة والبيان اللذين يمكن عدّهما العلم الوحيد لهم[٢]، إذ كانت معجزة الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** من جنس ما عرفوا به [٣]، إلا انهم جمعوا إلى ما عرفوا به ما وصفهم به القرآن الكريم في آياته من الدهاء والنكراء والمنكر واللّدد عند الخصومة [٤].

ولو عدنا إلى البلاغة عند الإمام **علي عليه السلام** لوجدناها تتجاوز القول إلى معانيه، ويصف ذلك الإمام **عليه السلام** بقوله **(ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز وفي المعاني إطالة)**[٥]، إذ كانت البلاغة عنده صفة ينتقي على أساسها رسله[١]،

أما بلاغة خطاب الإمام **عليه السلام** فقد كانت –زيادة على ما سبق– قولاً بالحق في زمن قلّ الناطقين فيه بالحق[٦]، ونطقاً بالصواب الذي وصف به نطق المتقين[٧]، بلسان صالح لم يعطه الله إلا لأحب عباده إليه **(قَدْ أَلزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ)**[١]، فخطاب الإمام **عليه السلام** وصف للحق الذي لم يشك فيه يوماً[٢]، ولم يضعف عن قوله، فلم يداهن في كلام أو يماري

---

(٢) ينظر : م.ن : خ١٩٣، ص٣٠٣.

(٣) قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام (ان الله بعث محمداً صلى الله عليه واله وسلم في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام –وأظنه قال الشعر– فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما ابطل به قولهم واثبت الحجة عليهم). أصول الكافي : ١/٤٠.

(٤) ينظر : البيان والتبيين : ١/٨.

(٥)كتاب الصناعتين :١٨٠.

(١)وقد اختار الإمام عليه السلام الطرماح رسولاً لمعاوية لبلاغته، فبعثه بكتاب له فاعجب معاوية بفصاحته وبلاغته، فأجابه الطرماح عن إعجابه :لو بلغت باب أمير المؤمنين عليه السلام لوجدت الأدباء والفصحاء والبلغاء الفقهاء النجباء الأتقياء الأصفياء، ولرأيت رجالاً سيماهم في وجوههم من اثر السجود. صحيفة الأبرار : ٣١٣.

(٦) ينظر : نهج البلاغة : خ٢٣٣، ص٣٥٤.

(٧) ينظر : م.ن :خ٤، ص٦٦.

(١) ينظر : نهج البلاغة : خ٨٧، ص١١٨.

(٢) ينظر : م.ن : خ٤، ص٥١.

في خطاب، مثلما لم يحل بينه وبين قتال من خالف الحق إدهان أو إيهان[٣]، وكيف يضعف من كان وقوفه لنصرة الحق وإعلاء كلمته، واجتماع ذلك مع بيان الإمام **عليه السلام** وفصاحته، وإقامة العدل ونشره، فكان كلامه فقهاً أشاد به أعداؤه قبل أنصاره [٤]، وقد كانت بلاغة خطاب الإمام عليه السلام بلاغة إعجازية لم يشهدها العرب ولم يُسبق لها – إلا من رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**-، وهي تتجاوز اللفظ إلى معاني الحق والعدل،فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع، بعيداً من الاستكراه، ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة" [٥]، وهو مما لا يتاح لأحد إلا لمن خصّه الله عزّ وجل بالرسالة، فقد كان الإمام **عليه السلام** " إذ كان مشّرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، و منه **عليه السلام** ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصّروا، وقد تقدم وتأخروا، لأن كلامه **عليه السلام** عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبق من الكلام النبوي" [٦]، وخطاب الإمام عليه السلام ينطق بالكلم والعلم الرسالي الذي أعطي له[٧]، فبلاغة الإمام **عليه السلام** تسديد وتوفيق من الله سبحانه من جانب، ووراثة عن رسوله الكريم **محمد صلى الله عليه وآله وسلم** من جانب آخر[١]، وما عرف به من قدرة واقتدار على فهم وإفهام الشعوب والقبائل على اختلاف لغاتها، زيادة على ما أفاضه من غريب لم يعرفه العرب من بلاغة معجزة [٢].

---

[٣] ينظر : م.ن : خ٢٤، ص٦٦.

[٤] ينظر : م.ن : قول٤٢٠، ص٥٥٠، ويرد معاوية على من وصف الإمام عليه السلام بالعي –تملقاً له– بالقول (أما قولك العي فوالله لو ان ألسن العرب جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان علي). نهج الصباغة : ٢٦/١.

[٥] البيان والتبيين : ٨٣/١.

[٦] نهج البلاغة : مقدمة الشريف الرضي : ٣٤.

[٧] قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم (أعطيت جوامع الكلم وأعطي علي جوامع العلم). مصادر نهج البلاغة وأسانيده : ١٧٢.

[١] ينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. : ٣٧٧.

[٢] ينظر : م.ن : ٣٤٨-٣٤٩.

تلقي الخطاب

لقد كان خطاب الإمام عليه السلام رسالة موجهة إلى مخاطبيه لا تقف عند حد تبليغ الخطاب، بل يتجاوز ذلك إلى تمكين مخاطبيه مما يوجهه إليهم من خطاب ذلك "ان فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع"[1].

وقد اقترن توصيل الرسالة في القرآن بتبليغها، وبلاغة الإمام عليه السلام بتوجيه خطابه الرسالي لمخاطبيه، وتبليغهم عن الله تعالى ما بلّغهم به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم[2]تذكيراً وتنبيهاً وإفهاماً لا تبشيراً وإعذاراً وإنذاراً كالأنبياء-، لقيادة المهتدين منهم في سبيل النجاة[3]، ولذا كان يقول الإمام عليه السلام (تَاللَّهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ)[4]، فهو وصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته في ارض الله وعباده، وبه امتداد الرسالة الخاتمة التي كان الخطاب وسيلة لتبليغها في عصر الشفاهية، كما هو وسيلة الرسالات السابقة التي بها تقدمت البشرية، فقد نشأت اللغات البشرية في صورة صوتية تنطلق من الأفواه وتتلقفها الأسماع ثم تفسرها الأذهان[5].

ونجد في خطاب الإمام عليه السلام متابعة تلقي ذلك الخطاب ومدى التزامهم به[6]، حيث يتصل تلقي الخطاب بإرساله، وفي الإرسال الشفاهي يكون السماع هو الجهة

---

[1] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٦٣/١.

[2] ينظر : نهج البلاغة : خ٢٠، ص٦٢.

[3] ينظر : م.ن : خ٣٣، ص٧٧.

[4] م.ن : خ١٢٠، ص١٧٦.

[5] دلالة الالفاظ، ابراهيم أنيس، مكتبة الانجلو، مصر، ط٣، ١٩٧٢ : ١٩٣.

[6] فإن كان في كتاب فن الشعر لأرسطو ما عدّ تصويراً لاستجابة المتلقين وبالتالي لنظرية التلقي باشتماله على فكرة التطهير ومثلها عند البلاغيين العرب القدماء. ينظر : نظرية التلقي مقدمة نقدية، روبرت هولب، ترجمة : عز الدين إسماعيل، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط١، ١٩٩٤ : ٦٥. فإن خطاب الإمام عليه السلام كان أساس لفت أنظار العرب إلى دور التلقي والاستجابة الصادرة عنه.

الخاصة بتلقي الخطاب، والأذن جهاز استقبال الصوت الذي يصدر منه الخطاب، فالصوت الإنساني "اثر سمعي ينشأ من اتصال جسم بآخر" [١]، وله قيمته السمعية[٢].

ويهتم الإمام **عليه السلام** بالسماع اهتماماً بالغاً، إذ كان أول وأفضل متلقٍ من رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، إذ يقول **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ وَسَمِعَ وَأَجَابَ لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِالصَّلَاةِ)**[٣]، ولاسيما بعد ما خصه الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم** بالدعاء لأذنه بالوعي[٤]، ولذا يقرن الإمام عليه السلام بين تعليم النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** له ودعائه بالقول عن علمه انه **(عِلْمٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله فَعَلَّمَنِيهِ وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي)**[٥].

ولم ينس الإمام **عليه السلام** شيئاً بعد ذلك سمعه من رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، سواء أكان سماعه لما كان الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم** يبادر به الإمام ويصفه بالقول **(وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ)**[٦]، أم لأسئلة يوجهها الإمام **عليه السلام** لصاحب الرسالة، ويحفظ ما يجيبه عليها، فيصفه الإمام **عليه السلام** بالقول **(وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ)**[٧].

---

[١] أصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٩٩٦ : ٣٠.

[٢] ينظر : البناء الصوتي في البيان القرآني، محمد حسن، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٩٨٨ : ٦.

[٣] نهج البلاغة : خ١٣١، ص١٨٩.

[٤] وذلك عند نزول قوله تعالى ((وتعيها أذنٌ واعية)) (سورة الحاقة/١٢). ينظر : شرح ابن أبي حديد : مجلد٢، ٤٠٢/٧.

[٥] نهج البلاغة : خ١٢٨، ص١٨٦.

[٦] م.ن : خ١٧٥، ص٢٥٠.

[٧] م.ن : خ٢١٠، ص٣٢٨.

وقد تمكن الإمام **عليه السلام** بقوة إيمانه من سماع ما يسمعه الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم**[١]، مثلما سمع الملائكة وهي تدور حول رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** عند وفاته إذ يقول (**وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صلى الله عليه وآله وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَةُ مَلأٌ يَهْبِطُ وَمَلأٌ يَعْرُجُ وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ**)[٢]، فكان الإمام **عليه السلام** أول المنتفعين بالاستماع إلى رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** المعتبرين بالآيات إذ يقول الإمام (**وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ**)[٣].

والسمع مفتتح الطاعة وباب الإجابة[٤]، ولذا نجد اهتمام الإمام **عليه السلام** بالسماع وتشديده على أهميته، فيندفع الإمام **عليه السلام** إلى تنبيه ذوي النعمة من سكرتهم بالقول (**أَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ**)[٥]، وتحذير الغافل من غفلته بقوله (**فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ**)[٦]، وينكر الأمر على من (**مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً**)[٧].

ولا يقتصر اهتمام الإمام **عليه السلام** في خطابه على حاسة السماع، بل يشارك الخطاب القرآني في تشديده على حاستي السماع والنظر معاً، فقد كان يوجه خطابه لأبصارهم وأسماعهم معاً بقوله (**أُولِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ**)[٨]، وذلك للدور الكبير الذي

---

(١) ينظر : نهج البلاغة : خ١٩٢، ص٣٠١.

(٢) م.ن : خ١٩٧، ص٣١١.

(٣) م.ن : خ١٤٨، ٢٠٦.

(٤) ينظر : م.ن : خ١، ص٤٥.

(٥) م.ن : خ١٥٣، ص٢١٤.

(٦) م.ن : خ١٥٣، ص٢١٤.

(٧) م.ن : خ١٢، ص١٨٧. وفي القرآن وصف لأمثالهم بقوله تبارك وتعالى ((ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون)) (سورة يونس/٤٢).

(٨) نهج البلاغة : خ٨٣، ص١١٤.

تلعبه إذ يقول الإمام **عليه السلام** (**كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ**)[1]، لتنبيههم إلى ما انعم الله به عليهم وتذكيرهم بأداء ما فرض عليهم من حق بازائها.

والسمع –كما ثبت علمياً– اكثر تقيداً من البصر[2]، إلا ان البصر اصدق في الوصول الى الحق، ولذا يقول الإمام **عليه السلام** (**أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ**)، ويتبعها بالقول (**الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ**)[3]، أي "ان ما تسمعه يحتاج إلى الشاهد والدليل، أما ما تراه فهو دليل بنفسه"[4].

وقول الإمام **عليه السلام** وان كان موجهاً لكل زمان غير مقتصر على زمانه، إلا ان تشديد الإمام **عليه السلام** على ذلك دليل على كثرة الآراء والتقولات في عصره التي لا سبيل للقضاء عليها إلاّ بالسماع المباشر للإمام **عليه السلام** الذي تراه أعينهم، مثلما ترى سبقه للعمل بالحق قبل دعوتهم إليه.

ويشدد الإمام **عليه السلام** على السماع الواعي ومثله النظر، ولذا يقول الإمام **عليه السلام** (**وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ وَلَا كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ**)[5]، وعلى ان لا يوقف الإنسان حواسه على ما يسمع أو يبصر في الدنيا، بل يجعل ذلك طريقاً للوصول إلى الآخرة (**وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ**)[1].

---

[1] نهج البلاغة : خ١١٤، ص١٧٠.

[2] ينظر : القرآن إعجاز يتعاظم، شاكر عبد الجبار، الحوادث، بغداد، ط١، ١٩٨٥ : ١٤٨-١٤٩.

[3] نهج البلاغة : خ١٤١، ص١٩٨.

[4] فلسفات إسلامية : ٦٨٤.

[5] نهج البلاغة : خ٨٨، ص١٢١.

[1] نهج البلاغة : خ١٣٣، ص١٩١-١٩٢.

ولا يمثل السماع أقصى عملية التلقي، بل انه مبتدؤها، فالوعي والتفكّر هو الهدف الأساس الذي جعل الله السمع منفذاً مادياً له، لذا يخاطبهم الإمام **عليه السلام** بقوله (**جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا**)[٢]، ولم يكن ما يسمعهم الإمام **عليه السلام** بجديد عليهم، بل كان تذكيراً بما أنساهم الشيطان ذكره، لذا يرى (**إِنَّ أَسْمَعَ الأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ**)[٣].

ومن هنا يأتي تشديد الإمام **عليه السلام** على السماع الواعي لا السماع فحسب بقوله (**رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى**)[٤]؛ ليكون الإنسان بصيراً (**فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ**)[٥]، ومعتبراً فيقول الإمام **عليه السلام** (**رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ**)[٦]، لذا ينكر على جاحدي ولايته من الناكثين والمارقين والقاسطين [٧] عدم سماعهم لآيات الله أو حتى عدم وعيها والتي أصبحت في عصر الإمام **عليه السلام** مكتوبة (**كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا**)[٨].

ويدعوهم الإمام **عليه السلام** إلى الانتفاع من مواعظه، وما يذكره من دروس وعبر بإشغال الحواس وتفعيلها للسير في طريق الحق، إذ يقول (**فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً**

---

[٢] م.ن : خ٨٣، ص١١٠.

[٣] م.ن : خ١٠٥، ص١٥٢.

[٤] م.ن : خ٧٦، ص١٠٣.

[٥] م.ن : خ١٥٣، ص ٢١٣.

[٦] م.ن : خ١٠٣، ص ١٤٩.

[٧] ينظر : شرح البحراني : ١٧٧/١.

[٨] نهج البلاغة : خ١، ص٤٩-٥٠.

يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ)[1].

وتلازم دعوة الإمام **عليه السلام** لمخاطبيه مع دعوته للإبصار دليل على ان خطابه كان خطاب روحي يتوجه به إلى حواس قلوبهم ليجد صداه يتردد فيها قبل ان يصل إليها صوت الإمام **عليه السلام** فتستجيب نفوسهم لذلك الصوت وترتفع عما تراه في الدنيا إلى ما زُوِيَ عنها في الآخرة، وما خفي عنها في علم الغيب فيكون الإيمان ثابتاً فيها مستقراً لا تزلزله شكوك، ولا تهّزه تقولات.

ومن هنا يشترط الإمام **عليه السلام** ما يقابل خطابه الروحي عند مخاطبيه، وذلك بأداء حق حواّسهم، فالمتقون (**غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ**)[2]، ويصف لهم طريق الانتفاع من مواعظه وأمثاله (**يَا لَهَا أَمْثَالًا صَائِبَةً وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً وَآرَاءً عَازِمَةً وَأَلْبَاباً حَازِمَةً**)[3]، فالأسماع يشترط لها الوعي، والقلوب التزكية، ليكتفي الإنسان بالسماع في الدنيا والانتفاع بالمواعظ، ولا سيما فيما كان يدعوهم له الإمام **عليه السلام**، وما كان يصفه عن دار الآخرة مما يفوق السمع عيانه[4].

ويقترن وعي الإنسان بقلبه الذي يعد موطن فطرة الله التي فطر عليها الخلق جميعاً وهي (**كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ**)[5]، بعد ان اخذ ميثاق العبودية عليهم في عالم سابق لعالم

---

(1) نهج البلاغة : خ١٥٣، ص٢١٣.

(2) م.ن : خ١٩٣، ص٣٠٣.

(3) م.ن : خ٨٣، ص١٠٩.

(4) م.ن : خ١١٤، ص١٧٠.

(5) م.ن : خ١١٠، ص١٦٣.

الأجساد[1]وخلقها مزودة باستعداد لسلوك سبيلي الخير والشر، إلاّ ان الله عزّ وجل حبّب إليهم الإيمان وكّره إليهم الكفر[2].

ان الله سبحانه وتعالى (**جَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا**)[3]، فالقلب موطن الفضائل والرذائل الخلقية[4]، وله (**مواد من الحكمة وأضداداً من خلافها**)[5]، فإذا حافظ الإنسان على فطرته سليمة من الشوائب، خالية من الحجب، بتأدية كل جارحة من جوارحه لما فرض عليها [6]كان قلبه سليماً وبقي على عهده القديم " من توحيد صانعها وبراءته عن الكثرة" [7]، فيزوده الله تعالى بما يسدد خطاه[8]، ويعينه على سماع صوت الحق، فيكون الإنسان عندها عاقلاً ولا أكمل الله العقل إلا فيمن أحبّه، ولا تظهر تلك المحبة إلا بمقاتلة الهوى، ودون ذلك "فالإنسان دائماً في صراع ملائكي وشيطاني حتى يتغلب أحدهما عن الآخر باختيار الإنسان" [9].

ومن هنا لم تكن أسماع مخاطبي الإمام المادية هي المقصودة بخطابه فحسب بل قلوبهم، ويشدد الإمام **عليه السلام** على ذلك بوصفهم بأوصاف متضادة توضح عدم توجيه حواسهم الوجهة الصحيحة بقوله (**مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلَا أَرْوَاحٍ وَأَرْوَاحاً**

---

[1] ينظر : شرح البحراني : ١/٣١٥.

[2] في قوله تعالى((ولكن الله حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم وكّره إليكم الكفر والفسوق والعصيان)) (سورة الحجرات/٧).

[3] نهج البلاغة : خ٧٢، ص١٠٠.

[4] ينظر : شرح البحراني : ٢/٥٣١.

[5] نهج البلاغة : قول ١٠٨، ص٤٧٨.

[6] ينظر : أصول الكافي : ٢/٦٠-٦١.

[7] ينظر : شرح البحراني : ١/٥٢٤.

[8] يقول الإمام الصادق عليه السلام (ما من قلب إلا وله أذنان، على إحداهما ملك مرشد وعلى الأخرى شيطان مفتن، هذا يأمره وهذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي والملك يزجره عنها، وهو قول الله عز وجل ((عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد)) (سورة ق/١٧-١٨)، وفي رواية أخرى قوله (ما من مؤمن إلا ولقلبه أذنان في جوفه، أذن ينفث فيها الوسواس الخناس، وأذن ينفث فيها الملك، فيؤيد الله المؤمن بالملك، فذلك قوله ((وأيّدهم بروحٍ منه))) (سورة المجادلة/٢٢). أصول الكافي : ٢/١٨٨-٢٨٩.

[9] الشيطان على ضوء القرآن، عادل علوي، المؤسسة الإسلامية، قم، ط١، ١٤٢٣هـ : ٣٩.

بِلا أَشْبَاحٍ وَنُسَّاكاً بِلا صَلاحٍ وَتُجَّاراً بِلا أَرْبَاحٍ وَأَيْقَاظاً نُوَّماً وَ شُهُوداً غُيَّباً وَنَاظِرَةً عَمْيَاءَ وَسَامِعَةً صَمَّاءَ وَنَاطِقَةً بَكْمَاءَ)[1]، ليدل على خلوها من الفائدة الروحية التي خلقت لها لعدم انتفاعهم بالمواعظ والعبر[2]، والتي لا يكون الانتفاع بها إلا بقلب سليم، فحكَم الإمام عليه السلام (حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ وَسَمْعٌ لِلأُذُنِ الصَّمَّاءِ وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلامَةُ)[3].

ولذا فقد كان الإمام عليه السلام يطلب منهم إحضار آذان القلوب لسماع خطابه فيقول (إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا)[4]، ويطلب في خطاب آخر منهم وجوب التوقف عن الكلام والإنصات للإمام بالإقبال إليه بأفئدتهم بقوله (أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلامِ وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ)[5]، ليكون الوعي طريقاً للعمل بطاعة الإمام عليه السلام.

فقد كان خطاب الإمام عليه السلام خطاباً روحياً خالداً يخاطب به حواسهم الباطنية لا الحاسة الخارجية، إذ تتصل حواس الإنسان بعقله، حيث يهيمن العقل البشري على عملية إنتاج الصوت "بواسطة إشارات وتعليمات يرسلها عن طريق الجهاز العصبي الى أعضاء النطق أو إلى جهاز السمع"[6]، وإلى سائر الحواس والأعضاء، والعقل حاسة القلب[7]، والحواس نوافذ له، "فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح"[8]، ولذا قد يعبر عن

---

[1] نهج البلاغة : خ١٠٨، ص١٥٦.

[2] ينظر : شرح البحراني : ١/٥٠٧.

[3] نهج البلاغة : خ١٣٣، ص١٩٢.

[4] م.ن : خ١٨٧، ص٢٧٧-٢٧٨.

[5] م.ن : خ١٢٢، ص١٧٨.

[6] التفكير الصوتي عند الخليل، حلمي خليل، دار المعرفة، مصر، ط١، ١٩٨٨ : ١١.

[7] يقول الإمام الصادق عليه السلام في وصف الإيمان الذي فرضه الله تعالى على حواس الإنسان وجوارحه (فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره). أصول الكافي : ٦٠/٢.

القلب بالعقل[1]، ولذا يعد القلب إمام الجوارح ولا غنى لها عنه، ولذا يقول الإمام **عليه السلام** **(نَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ)**[2].

فخطاب الإمام **عليه السلام** موّجه إلى قلوبهم لتنقيتها، وتنبيهها وإيقاظها من غفلتها، حتى ما كان يخاطب به عقولهم، فالعقل وان امتلك القدرة على الإدراك أو تمييز الأشياء والتحكم في عمل الحواس إلا ان القلب إمام تلك الجوارح والقائد لها [3]، فالعقل يدرك الخير والنفع مثل إدراكه للشّر، إلاّ ان لحكامه شبيهة بأحكام الرياضيات، إلا ان للأهواء والرغبات تأثير أكبر ممّا للأحكام من تأثير[4]، لذا فإن قوة الإرادة والاندفاع لعمل الخير مصدرها القلب فهو الذي يعرف طريق الحق ويدفع صاحبه للسير فيه والثبات على الإيمان والتراجع عنه، ولذا **(فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي الْقُلُوبِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَّ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ)**[5] ، والقلب مستقر الإيمان، ولذا فإن "الطرق العقلية عاجزة عن التأثير على عقائد الناس وتحويلها لعجزها عن التأثير على عواطفهم المتحكمة فيهم" [6].

والقلب يقود الإنسان إلى الطريق الواضح كلما كان سقيه بمياه طيبة، حيث **(أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ)**[1]،

---

[8] م.ن : ١٩١/١.

[1] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تركيا، ١٩٨٩ : مادة ق ل ب.

[2] نهج البلاغة : خ١٥٤، ص٢١٥.

[3] ينظر : أصول الكافي : ١٩١/١.

[4] ينظر : الله يخاطب العقول : ٨٠.

[5] نهج البلاغة : خ١٨٩، ص٢٧٩.

[6] علوم نهج البلاغة : ٣٣٨.

[1] نهج البلاغة : خ١٥٤، ص٢١٥. ولذا فقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث أصاب أرضاً، فكان منها نقية الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب

وسقاء القلب بالعلم النافع الذي لا يكون إلا الإمام مصدراً له، ولا تفتح مسامع القلب إلا لمن أحبّه الله جل ذكره وأراد به خيراً [٢].

لذا فقد جعل الله عزّ وجل ذكره (**جِلاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ**)، وخصّ من خلقه عباداً (**نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ**)[٣] لهداية الناس إلى سبيل الله تعالى، فقد خص سبحانه الأئمة بعد رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** كونهم هادين إلى سبيل الله كأدلة للناس[٤] لما علم منهم، فهم (**يَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ**)[٥]، ولذا وصف سبحانه في كتابه الإمامة بالهداية وقيدها بأمر الله عزّ وجل[٦].

ويربط الإمام **عليه السلام** بين السماع والأثر الروحي الذي يترتب عليه، وذلك في وصف الإمام **عليه السلام** لترتيل المتقين لأجزاء القران، وما للترتيل من صلة بين الصوت والسمع وأثر روحي بوصفهم (**تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلًا يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَإِذَا**

أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وكان منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ). بهج الصباغة : ٢١٣/٢.

[٢] ينظر : أصول الكافي : ٢٤٣/٢.

[٣] نهج البلاغة : خ٢٢٢، ص٣٤٢.

[٤] ينظر : شرح البحراني : ١٣٦/٢.

[٥] نهج البلاغة : خ٢٢٢، ص٣٤٢.

[٦] الرمز في قصة إبراهيم، احمد العبيدي، دائرة معارف الفقه الإسلامي، ط١، ١٩٩٨ : ٤٠-٤١، في قوله تعالى (وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا)) (سورة السجدة/٢٤).

مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ)[1].

ولذا يوجههم الإمام **عليه السلام** لسماع صوته بصفته ربّاني الأمة، المتألّه والعارف بالله سبحانه[2](**فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ**)[3]، والأمين على الوحي الخازن للعلم الذي يدعوه لمبادرته بقوله (**فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ**)[4].

لذا لا يطلب الإمام **عليه السلام** من مخاطبيه الاستماع إلى صوته المادي فحسب، بل لما يدعوهم له، ودعوته دعوة الحق التي لا يسمعها إلا من وعى منطقه[5]، ولذا يحذّرهم من سماع ناطق الدنيا بالقول (**لَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ[6] وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ**)[7]، ويحاول تنفيرهم عنها لإبعادهم عن التعلق بها، محاولاً إسماعهم دعوة الموت بدعوتهم للزهد في الدنيا إذ يقول (**أَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ**)[8]، لان حب الدنيا سيمرض أسماعهم ويقف حائلاً دون حصولهم على العلم النافع فيقول الإمام **عليه السلام** (**مَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ**

---

[1] نهج البلاغة : خ١٩٣، ص٢٨٠.

[2] ينظر : شرح ابن أبي حديد : مجلد٢، ٣٨٩/٧.

[3] نهج البلاغة : خ١٠٨، ص١٥٧.

[4] م.ن : خ١٠٥، ص١٥٢.

[5] ينظر : م.ن : خ١٣٩، ص١٩٦.

[6] محْروبة : منهوبة.

[7] نهج البلاغة : خ١٩١، ص٣٨٤-٣٨٥.

[8] م.ن : خ١١٣، ص١٦٨.

فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَلِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ)[1]، ولا سيما ان صوت الدنيا يتجاوب مع سلطان النفس وما تتوق له من ملاذ فيلبي نداءها ويشعرهم بلذة تغيبّهم عن سماع العلم الصحيح، وتحول دون انتفاعهم بالمواعظ البليغة.

ولم تكن دعوة الإمام عليه السلام لمخاطبيه فيما تتوق له أنفسهم، بل كان يدعوهم إلى ما يتفق مع القلوب السليمة، إذ لم تكن دعوته لدنيا يبصرونها،بل لآخرةٍ مؤّجلون عنها، لا يراها إلا من نقت سريرته وصفت نفسه، ولذا يقول الإمام عليه السلام (فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَفْعَلْ فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ)[2].

ويقترن السماع عند الإمام عليه السلام بالطاعة، فما الطاعة إلا إقبال على الحق وبعكسه المعصية، لذا يقول الإمام عليه السلام (وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً)[3]، وقد توضّح الحق متجسداً بطاعة الإمام عليه السلام، فدعوته امتداد لدعوة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي (أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ وَالْعَادِلِينَ بِهِ)[4]، فالإمام عليه السلام حجة عليهم ولا عذر لهم بعدم طاعته إذ يقول (اعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ)[1]، والسماع له باب للخير[2]، لذا كان الإمام عليه السلام يقول (أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ)[3].

---

[1] نهج البلاغة : خ١٠٩، ص١٦٠.

[2] م.ن : خ١٥٦، ص٢١٨.

[3] م.ن : خ٦، ص٥٣.

[4] م.ن : خ١٣٣، ص٩١.

[1] نهج البلاغة : خ٨٧، ص١٢٠.

وهذا يؤكد من جانب آخر ان خطاب الإمام عليه السلام لم يكن خطاباً عادياً، ولم يكن مرسله خطيباً عادياً، بل كان خطابه متصلاً اتصالاً مباشراً بمقام الإمامة الذي يرسل خطابه منه إلى مخاطبيه بوصفه العلم الهادي والخليفة الإلهي الذي ينشر العدل بينهم ويحاول الارتفاع بهم إلى أعلى درجات الكمال.

فقد جعل الله تعالى طاعة الإمام عليه السلام هدايةً للعباد وحجةً عليهم وكشفاً لطاعتهم لله تعالى، لان الطاعة نية في القلب وعمل مخلص بين العبد وربه، ولا تتم إلا بطاعة الإمام عليه السلام التي تعد تجسيداً لطاعتهم لله وعدم التكبر عنها، مثلما كان الفعل الجهادي في سبيل الله لنصرة الإسلام خلف راية الإمام عليه السلام كشفاً للمتكبرين على طاعة الإمام عليه السلام وإشهاراً للمنافقين منهم وإعلاناً للمطيعين ممن اخلص النية، ولذا فما ورد من استجابة أو رد فعل في خطاب الإمام عليه السلام لم يكن بازاء خطابه، بل بازاء ما يدعوهم له.

وقد تجاوز خطاب الإمام الرسالي دعوة مخاطبيه ووصف تلقيهم لذلك الخطاب والجهة المسؤولة عنه إلى الموانع التي تحول دون تلقي ذلك الخطاب، التي جمعها بما كان يخشاه عليهم ويحذرهم منه بقوله (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ)[٤]، وما كان يحاول تهذيبه فيهم من خلق ليزيل الحسد والحقد والعصبية من نفوسهم، إلى متابعة تلقي خطابه لمعرفة مدى التزامهم بالحق وتفنيد مزاعمهم، ومحاججة المنكرين له بأقوالهم السابقة، وردود أفعالهم بازاء سياسته، ووصف استجاباتهم[١]، إذ "ليس لموقف واحد استجابة واحدة"[٢]، ولا سيما فيما كان يتضح من ذلك في فريضة الجهاد.

---

[٢] عن الإمام الصادق عليه السلام (السمع والطاعة أبواب الخير، السامع المطيع لا حجة عليه والسامع العاصي لا حجة له وإمام المسلمين تمت حجته واحتجاجه يوم يلقى الله عز وجل)، ثم قال ((يوم ندعو كل أناسٍ بإمامهم)) (سورة الإسراء/٧١)، أصول الكافي : ٢١٢/١.

[٣] نهج البلاغة : خ١٧٦، ص٢٥٣.

[٤] م.ن : خ٢٨، ص٧٢.

[١] نهج البلاغة : خ١٢٧، ص١٨٤-١٨٥.

[٢] دراسة الأدب العربي، مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨١ : ٣٧.

فخطاب الإمام **عليه السلام** ولا سيما خطابه الجهادي خطاب حي يواكب الوقائع ويسجلها، ويربط بين الأحداث وبين مواقف مخاطبيه بازائها، وقد كانت استجابة المجاهدين على أوجها وهو ما يوضّحه خطاب الإمام **عليه السلام**، كان يخاطب أهل الكوفة بقوله (**أَنْتُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ وَالْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ**)[٣]، وتظهر استجابتهم الإيجابية جلية في ردهم على ذلك الخطاب[٤].

وقد استبسلوا في حروب الجمل وصفين والنهروان، إلا ان الحد الفاصل بين استجابتهم الجهادية وبين التراجع فيها بعد أمر الحكومة، فقد بدأوا بالتراجع السلبي بعد ان فرغ من أهل النهروان، وانتهى من قتال الخوارج الذين طلبوا الحق فأخطؤوه[٥]، ومرقوا عن الإمام **عليه السلام** وخرجوا عن رأيه بقبولهم التحكيم، ثم تراجعهم عن ذلك وندمهم عليه، واعتزالهم الحكومة منادين (لا حكم إلا لله)[٦]، محاولين إجبار الإمام **عليه السلام** على العودة عن ذنب لم يرتكبه[٧]، ويصف الإمام **عليه السلام** بدء انقلابهم عليه بقوله (**إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ حَتَّى نَهِكَتْكُمُ الْحَرْبُ وَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ**)[٨].

ويصف الإمام **عليه السلام** ما يتوقعه منهم (**وَأَيْمُ اللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ**

---

(٣) نهج البلاغة : خ١١٨، ص١٢٥.

(٤) ينظر : الجمل وصفين والنهروان : ٤٢٧.

(٥) ينظر : نهج البلاغة : خ٦١، ص٩٤.

(٦) ينظر : م.ن : خ١٨٤، ص٢٦٨.

(٧) ينظر : م.ن : خ٥٨، ص٩٢-٩٣.

(٨) م.ن : خ٢٠٨، ص٣٢٣-٣٢٤.

الرَّأسِ)[1]، ويحدد كون التخاذل سبب تلك الاستجابة، إذ لم يكن حال استجابتهم هذا منذ البدء.

ولم يكن تراجعهم وعدم استجابتهم أمراً هيّناً، إذ كانت تلك الحروب الجهادية نصرة للحق وإزهاقاً للباطل، وما حيرتهم وتذبذبهم في الحق إلا لعدم استقرار الإيمان في قلوبهم، والخروج عن رأي الإمام **عليه السلام** الذي لا يعرف الحق سواه، ولا يلتمس العدل بسواه، حيث بدأوا بالتذرع بنفاد النبال، وكلالة السيوف، ونصل الأسنّة، ثم بدؤوا بالتسلل من معسكر الإمام **عليه السلام** في النخيلة، وتركه -إلا قليلاً منهم-، بعد ان أمرهم بلزوم توطين أنفسهم على الجهاد[2]، ليؤثروا الدعة على احتمال المشقة في سبيل الله تعالى، وليفرغوا إلى الجدال والكلام فيما لا طائل منه[3]، فيصفهم الإمام **عليه السلام** بقوله **(كَلامُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصِّلابَ وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأَعْدَاءَ تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ حِيدِي حَيَادِ مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ وَلا اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ)**[4]، فتفرّقوا عن الإمام **عليه السلام**، ليقابلوا الإمام **عليه السلام** بعدم الاستجابة لدعوته الجهادية، على الرغم مما كانوا يرونه من غارات معاوية وجنوده.

ومنه بدأت معاناة الإمام **عليه السلام** وتشديده في الخطاب على عدم استجابتهم، يدفعه الحرص الأبوي على هدايتهم الى طاعة الله عزّ وجل دون إكراههم عليها بحثهم على اختيار طريق الحق الذي أمرهم الله تعالى به، والوصول الى الغاية التي لا يعد خلق الله معها عبثاً [1].

---

[1] نهج البلاغة : خ٣٤، ص٧٨.

[2] الجمل وصفين والنهروان : ٤٤٧.

[3] ينظر : الفتنة الكبرى : ١١٢/٢.

[4] نهج البلاغة : خ٢٩، ص٧٢-٧٣.

[1] من كلام الإمام عليه السلام في جوابه لسائل عن القضاء والقدر بقوله (ان الله سبحانه أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكروهاً ، ولك يرسل

فقد كان الإمام **عليه السلام** يتألم ويبكي ويتحسّر وهو يتذكر إخوة الجهاد الذي استبسلوا لنصرة الحق بعد ان ملّ علاج دائهم ولم يجد له دواء قائلاً (**اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ**[٢] **الرَّكِيِّ**[٣] **أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ وَقَرَءُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ وَهِيجُوا إِلَى الْجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفاً زَحْفاً وَصَفّاً صَفّاً**)[٤] ، ويتمنّى ان يفرق الله عزّ وجل بينه وبين المتخاذلين بعد ان تشتت عليهم الأمر، فلم يعد ينفعهم نصح، أو يؤثر عليهم لوم أو تقريع [٥]، إذ يقول (**وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ قَوْمٌ وَاللَّهِ مَيَامِينُ الرَّأْيِ مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ مَضَوْا قُدُماً عَلَى الطَّرِيقَةِ وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ**)[٦].

لقد كان خطاب الإمام **عليه السلام** وسيلة توصله بمخاطبيه لهدايتهم، وتأثير ذلك الخطاب على مخاطبيه دليلاً على تلك البلاغة الربانية، ولا سيما في مواعظه التي يعد أثرها امتداداً لأثر مواعظ رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** التي كان يلقيها على مخاطبيه[١]، ولا سيما ان كلمات الإمام **عليه السلام** لا تصدر إلا من قلبه "والكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان" [٢]، و

الأنبياء لعباً، ولم ينزل الكتاب للعباد عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ((ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار))) (سورة ص/٣٧)، نهج البلاغة : قول٧٨، ص٤٨١.

[٢] أشطان : جمع شطن وهو الحبل.

[٣] الرَّكِيّ بجمع ركيّة وهو الحبل.

[٤] نهج البلاغة : خ١٢١، ص١٧٧.

[٥] ينظر : م.ن : خ٢٧، ص٦٩-٧١.

[٦] م.ن : خ١١٦، ص١٧٤.

[١] ينظر : سنن الدارمي : ٤٤/١.

[٢] البيان والتبيين : ٨٣/١-٨٤.

والخطبة (**الغـرّاء**) خير مثال على ذلك، فيروى "انه لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب" [٣].

أمّا ما نجد في خطاب الإمام عليه السلام من استجابة فانها لم تكن بازاء خطابه، بل استجابةً للحق الذي يمثله خطاب الإمام **عليـه السـلام**، وطاعة الله تعالى المرتبطة بطاعته، فقد كان لإحدى مواعظ الإمام **عليـه السـلام** أثران متعاكسان واستجابتان متناقضتان، لشخصين تأثر أحدهما بالخطاب إلى حد انه صعقت روحه وصعدت إلى بارئها شوقاً لما يصف الإمام **عليه السلام** فيه وكان دليلا على ما تصنعه المواعظ البالغة بأهلها، ونفث الشيطان على لسان الآخر لدى سماعه الموعظة نفسها [٤].

ولذا نجد ردود أفعال مخاطبي الإمام **عليه السـلام** واضحة في خطابه الجهادي ،إذ نجد فيه وصفا حالهم بمجرد سماعهم للخطاب (**إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ وَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ**)[٥]، إذ كان خطابه يصل إلى أسماعهم دون ان يتجاوزها إلى قلوبهم[٦]، ولا سيما ان دعوة الإمام عليه السلام لم تكن الصوت الوحيد الذي يسمعونه ليجد صداه في آذانهم، بل كانت تقابلها دعوة أخرى إلى حطام الدنيا آثروا الاستجابة لها، فيصفهم الإمام **عليـه السـلام** بقوله (**ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ وَتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا**)[١]، من أئمة الضلالة والمستكبرين عن الطاعة الذين اتخذهم إبليس (**مَطَايَا ضَلَالٍ وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى**

---

[٣] نهج البلاغة : قول الشريف الرضي : ص١١٤.

[٤] ينظر : م.ن : خ١٩٣، ص٣٠٦.

[٥] م.ن : خ٣٤، ص٧٨.

[٦] ينظر : الفتنة الكبرى : ١٠٨/٢.

[١] نهج البلاغة : خ١٤٤، ص٢٠١-٢٠٢.

النَّاسِ وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولًا فِي عُيُـونِكُمْ وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ)[٢].

ولا يفتأ الإمام عليه السلام يحذرهم من الآثار المستقبلية المترتبة على تخلفهم عنه (فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ)[٣]، ويحذّرهم بوصف ما سيحدث بقوله (أَمَـا وَاللَّـهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيهٍ أَبَـا وَذَحَـةَ)[٤]، لتخلّفهم عن الحق، وتراجعهم عن لزوم عقد الجماعة الذي يحاول الشيطان حلّه[٥]، والفتن التي ستصيبهم من جّراء انقطاع وصلهم بالإمام عليه السلام وعدم تمسكهم بأهل البيت عليهم السلام، إذ يقول (أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِـنْ إِدْبَـارِ أُمُورِكُمْ وَانْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ)[٦].

ولا يعجز الإمام عليه السلام عن الموعظة، ولا يتراجع عن النصح، حتى مع ما يراه من فتور هممهم وتخاذلهم حتى بعدطعنه، ففي خفوت صوته وسكون أطرافه بالموت موعظةً لهم لذا فقد أوصاهم الإمام عليه السلام بالقول (وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَـدَنِي أَيَّاماً وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي وَسُكُونُ أَطْرَافِي فَإِنَّـهُ أَوْعَـظُ لِلْمُعْتَبِـرِينَ مِـنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصَـدٍ لِلتَّلَاقِـي غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَـانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي)[١].

---

[٢] م.ن : خ١٩٢، ص٢٩٠.

[٣] م.ن : خ٨٨، ص١٢١.

[٤] م.ن : خ١١٦، ص١٧٤.

[٥] ينظر : م.ن : خ١٢١، ص١٧٨.

[٦] م.ن : خ١٨٧، ص٢٧٧.

[١] نهج البلاغة : خ١٤٩، ص٢٠٧-٢٠٨.

ومن هنا لم يكن التوصيل عند الإمام عليه السلام تبليغاً فحسب، ولم يقف عند تبليغه بل كان توصيله تعليماً وإرشاداً، نصحاً ووعظاً، تفعيلاً وإدماجاً، وتوعيةً وإفهاماً، تصحيحاً لانحرافهم وتقويماً لمجتمع بأسره لا لأفراد محدودين، يصف الحق ويعمل به، يقيمه ويثبته ويدعوهم له، ويتتبع استجابتهم لما يدعوهم له، ويقّوم ما كان منحرفاً منها.

لقد كان خطاب الإمام عليه السلام قدرة توصيلية تنّم عن بلاغة إعجازية وعلم رسالي، وصرخة حق ضد الباطل، إذ تتجاوز غايته في الخطاب تبليغ مخاطبيه والقاء الحجة عليهم، إلى إفهامهم ولا سيما ان البلاغة "إنهاء المعنى إلى قلب السامع" [٢]، وتمكينهم من معاني الخطاب[٣]، وذلك "بالنظر إلى المتلقي وحالاته الإدراكية المختلفة"[٤].

ولا يؤتى الإفهام إلا أحبَّ العباد إلى الله **(يَقُولُ فَيُفْهِمُ وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ)**[٥]، فالإمام عليه السلام هو الناصح الشفيق والعالم المجّرب الذي لا تجر معصيته إلاّ إلى الندم والحسرة وسوء العاقبة [٦]، وهو الذي يعلم ما تكنه قلوب مخاطبيه ولو شاء ان يخبر كل رجل منهم بمخرجه ومولجه لفعل[٧]، و لا يعلم ذلك سواه.

إلا ان استقرار خطاب الإمام عليه السلام في قلوب مخاطبيه لا يكون إلا بأسماع توقف على العلم الذي تنهله من الإمام عليه السلام[١]، وبحسب نقاء تلك القلوب

---

[٢] كتاب الصناعتين : ١٢.

[٣] ومن هنا نرى امتداد معاني البلاغة في كتب القدماء الذين نهلوا من خطاب الإمام عليه السلام من سمة للكلام إلى سمة لقائله، وتحّولها من إرسال إلى تلقّ، ومن اهتمام باللفظ إلى اهتمام بالمعنى، ومن إفهام الكلام لمتلقيّه إلى تمكينه من نفسه. ينظر : الصناعتين : ١٢-٦٠.

ومن الجدير بالذكر ان المعتزلة هم واضعو أصول البلاغة، ولا سيما انهم أقرب المؤلفين العرب عهداً بالإمام عليه السلام وأكثرهم انتفاعاً من خطابه. ينظر : النقد الأدبي : ٤٧٣.

[٤] البلاغة العربية قراءة أخرى : ٧٠.

[٥] نهج البلاغة : خ٨٧، ص١١٩.

[٦] ينظر : م.ن : خ٣٥، ص٧٩.

[٧] ينظر : م.ن : خ١٧٥، ص٢٥٠.

[١] ينظر : نهج البلاغة : خ١٩٣، ص٣٠٣.

واستعدادها للعمل بما يدعوهم فيه [٢]، فلا تكتفي بالإقبال على سماع خطابه، ولا يقتصر تأثّرها على تلقّي ذلك الخطاب في حينه فحسب، بل تحّوله إلى نهج عملي تسير فيه، فخطاب الإمام **عليه السلام** خطاب عقائدي غايته تثبيت العقيدة، وجعل الإيمان مستقّراً ثابتاً ، لذا يقول الإمام عليه السلام (**فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ وَتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ وَأَمَاطَ الْحَوْبَةَ فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ**)[٣].

لقد أتيح للإمام **عليه السلام** -بتوليه منصب الحكم- ما لم يتح للائمة **عليهم السلام** من بعده [٤]، فكان الخطاب الرسالي وسيلة توصله بمخاطبيه من أهل زمانه ، إلا انها ليست الوسيلة الوحيدة لذلك،فالتوصيل عند الإمام **عليه السلام** لم يقف عند خطاب ولا يتوقف عليه، إذ يصف الإمام أهل البيت **عليهم السلام** انهم (**عَيْشُ الْعِلْمِ وَ مَوْتُ الْجَهْلِ هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ وَصَامِتٌ نَاطِقٌ**)[٥]، مثلما لم يكن خطابه موّجهاً لاهل زمانه فحسب، فخطاب الإمام **عليه السلام** خطاب روحي حّي يتخطى حدود الزمان والمكان[٦].

---

[٢] ينظر : م.ن : خ٨٣، ص١٠٩.

[٣] م.ن : خ٢١٤، ص٣٣١.

[٤] إلى زمان ظهور الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه وسهل مخرجه، فإن حكمه سيكون امتداداً لحكم الإمام عليه السلام،وتقويماً لانحراف المجتمع بأسره.

[٥] نهج البلاغة : خ١٤٧، ص٢٠٦.

[٦] ولهذا بقيت خطب الإمام عليه السلام خالدة وتأثيرها واحداً أياً كان تلقّي الناس لخطاب الإمام عليه السلام سواء أكان قراءةً أم سماعاً.

الإمامة والتوصيل

اقتضت حكمة الله تعالى -وهو الغني عن العالمين- خلق الإنسان لغاية يسعى للوصول إليها بنفسه، وهي الوصول إلى الكمال، بعد أن أوجد فيه استعداداً للوصول إلى تلك الغاية دون سائر المخلوقات، فلم يخلقه عبثاً [1].

وقد أنزل سبحانه وتعالى الشرائع والأديان لهداية الإنسان وإرشاده ومساعدته على الوصول لهذه الغاية، واصطفى من خلقه رسلاً تفردوا بسمات أهّلتهم لتلقي وحي الله تبارك وتعالى، وتبليغ الرسالة، ولإزالة الاختلاف الناشئ بين الناس نتيجة اتخاذهم آلهة مصطنعة أرباباً من دون الله تعالى باتباع قوى أو هوى أو أجداد أو أسماء أو غيرها..[2]، وتوجيه الخلق وإرشادهم إلى تلك الطرق الموصلة للكمال، فالكمال غاية معنوية لا يمكن إدراكها بمعزل عمن توفرت فيهم تلك الكمالات[3].

ويحمل الأنبياء **عليهم السلام** رسالة لتغيير المجتمع وما يحمله من تقاليد وأعراف تتنافى مع الغاية الكمالية التي خلق لأجلها الإنسان، وتتعارض مع الفطرة الإنسانية الصافية التي يهتدى بها إلى الإيمان الصحيح بالله تعالى، لتذكير الناس بنعمة الله عزّ وجل، وإثارة القوى العقلية التي زودهم الله تعالى بها، و توجيه أنظارهم إلى آيات خلقه ودلائل إعجازه، فقد بعث الله تبارك وتعالى في الخلق **(رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ)**[4]، لذا يعدّ إشراق النبوة بداية للعصر التاريخي للبشرية [5]، فالأنبياء آباء الحضارة المدنية.

---

[1] قال تعالى ((أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون)) (سورة المؤمنون/١١٥).

[2] ينظر : الإمامة وأهل البيت، محمد باقر الحكيم، المركز الإسلامي المعاصر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ : ٣٢.

[3] ينظر : المظاهر الإلهية : ١٣-١٤.

[4] نهج البلاغة : خ١، ص٤٣.

[5] ينظر : حركة التاريخ : ٨٤.

وكما اقتضت حكمته سبحانه أن يبعث في كل أمة رسولاً ليبلغهم شرائعه، فقد جعل لكل نبي وصي يحمل ودائع رسالته ويزيل الاختلاف الذي يحدث بين الناس بعد تبليغ الرسالة[1] في تفسيرها وتأويلها، ويكون حجةً لازمةً لخلقه لتذكيرهم بما جاء به الأنبياء [2].

وقد توالت النبوات حتى بلغت ذروتها برسالة الإسلام الخاتمة ونبوة **محمد صلى الله عليه وآله وسلم**، فقد انعم الله عزّ وجل على الخلق بأن **(تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ قَرْناً فَقَرْناً حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله حُجَّتُهُ وَبَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ)**[3]، فاختاره سبحانه من خيرة خلقه ليكون سيداً لرسله وخاتماً لأنبيائه، وإن كان سابقاً لهم في خلقه[4]، فقد **(إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ وَإِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ كَرِيماً مِيلَادُهُ)**[5]؛ لتكون شريعته أتمّ الشرائع واكملها، وان يكتب لها الدوام والاستمرار إلى آخر البشرية.

وقد ميّز الله سبحانه وتعالى النبوة الخاتمة بالحكم بين الناس كحالة سياسية واجتماعية خارجية تمثلت في قيام الدولة الإسلامية التي بنيت على أساس حركة التغيير التي قادها الرسول الكريم **محمد صلى الله عليه وآله وسلم**، وهو ما لم يتح للنبوات السابقة

---

(1) قال تعالى ((كان الناس أمةً واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)) (سورة البقرة/٢١٣).

(2) إذ قال تعالى ((فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم)) (سورة الجاثية/١٧)، وقوله تعالى ((كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين و انزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم)) (سورة البقرة/٢١٣).

(3) نهج البلاغة : خ٩١، ص١٣٣-١٣٤.

(4) ينظر : أصول الكافي : ٥٠١/١.

(5) نهج البلاغة : خ١، ص٤٤.

[٦]؛ فالإسلام رسالة شاملة لجميع جوانب الحياة تنظيماً وتشريعاً ومناهج بما يقود الإنسان والمجتمع إلى التكامل وهي ذات طابع علمي ممتدة في الزمان إلى آخر الزمان[١].

لذا لم يكن الإسلام ديناً توحيدياً يجمع الكثرة من القبائل تحت رايته فحسب، بل كان نظاماً سياسياً لم يشهده العرب من قبل وتطوراً في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعقلية والأخلاقية [٢].

وقد حوّلت نبوة **محمد صلى** الله **عليه وآله وسلم** العرب من قبائل متفرقة تعيش حياة ساذجة إلى دولة ذات نظام سياسي يجمعها الاسلام، ومجتمع مدني حاول تنظيم أحواله وترتيب معاملاته، فالنبي **محمد صلى** الله **عليه وآله وسلم**هو المبلّغ عن الله تبارك وتعالى والمؤدي عنه تعالى إلى الخلق، ما به بقاؤهم وسعادتهم الأبدية ما دام التكليف قائماً، فهو الزعيم الروحي لهم وهو في الوقت نفسه قائد الدولة السياسي ومنظّم شؤون حياتهم، فتطابق مفهوم النبوة الديني الإرسالي مع مفهوم القيادة السياسي.

وكان لا بد من منصب الهي تالٍ لمنصب النبوة يقوم به من يستحق أن يخلف النبي **محمد صلى** الله **عليه وآله وسلم** ويقوم مقامه في الحفاظ على الشريعةوالقيام بالسنّة، وقيادة الأمة الإسلامية، والاستمرار الرسالي دون حاجة البشرية إلى نبوات تالية لئلا تعطل حجة الله على المكلفين بها[٣]، لأن بقاء التكليف واستمراره إلى آخر البشرية مما لا يتناسب مع عمر الرسول **صلى** الله **عليه وآله وسلم** الذي يجري عليه ما يجري على سائر الخلق من موت وفناء، لم يكن في الأمة من يستحق هذا المنصب إلا وصّيه **علي بن أبي طالب عليه السلام**، الذي قال فيه رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** (أنا سيد البشر، وعلي سيد العرب) [٤].

---

[٦] ينظر : الإمامة وأهل البيت : ٤٢-٤٣.

[١] ينظر : حركة التاريخ : ٥٧.

[٢] ينظر : الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ٢٩.

[٣] إذ يقول سبحانه وتعالى ((لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)) (سورة النساء/١٦٥).

[٤] تفضيل أمير المؤمنين، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق : علي الكعبي، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٩٩٣ : ٣٤.

فقد اختاره الله تبارك وتعالى ليكون خليفة لرسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**، وتقرن طاعته بطاعته **صلى الله عليه وآله وسلم**[١]، ووليًا لأمور المسلمين[٢]، ويكون أولى بالتصرف منهم في أنفسهم ذاتها، ثم أمر سبحانه وتعالى رسوله **صلى الله عليه وآله وسلم** بتبليغ الناس هذا الأمر وجعله معادلاً لتبليغ الرسالة بأكملها[٣]، وجعل ولايته إتمامًا لنعمة الله عزّ وجل ودينه القويم.

والولاية تعني الأولوية في التصرف والأحقية بالأمر، فهي "تشعر بالتدبير والقدرة والفعل" [٤]، وفي الولاية تكمن حقيقة الإمامة [٥]، لذا فإن الإمامة عهد من الله عزّ وجل[٦]، وخلافة إلهية خصّ بها الإمام **عليه السلام**.

ولما كانت النبوة الخاتمة هي المنظمة لأحوال العرب المشتملة على الزعامتين السياسية والدينية، لذا كان لا بد لمن يتولى منصب الإمامة من تولي هاتين الزعامتين نيابة عن رسول

---

[١] يروى عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله عزّ وجل ((وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)) (سورة النساء/٥٩) انه قال (نزلت في علي والحسن والحسين، فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في علي (من كنت مولاه فعلي مولاه) وقال (أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، فإني سألت الله عزّ وجل ان لا يفرق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض، فأعطاني ذلك) وقال (لا تعلّموهم فهم اعلم منكم) وقال (انهم لن يخرجونكم من باب هدى ولن يدخلونكم في باب ضلالة) ومن بعدهم الأئمة من ذرية الحسين عليه السلام في قوله تعالى ((وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)) (سورة الأنفال/٧٥). ينظر : أصول الكافي : ٣١٨/٢.

[٢] في قوله تعالى ((إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)) (سورة المائدة/٥٥).

[٣] قال الإمام الباقر عليه السلام (كانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض،فأنزل الله عزّ وجل ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا))). أصول الكافي : ٣٢١/١، (سورة المائدة/٣).

[٤] المظاهر الإلهية : ٦٩/١.

[٥] ينظر : بداية المعرفة منهجية حديثة في علم الكلام، حسن مكي العاملي، الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٢ : ٢٥٢.

[٦] ينظر : أصول الكافي : ٣٠٧/١.

الله **صلى الله عليه وآله وسلم**، فالإمامة رئاسة عامة نيابة عن الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم** [1].

ومن هنا يمكن القول أن للإمامة –كما للنبوة– مستويين:

الأول:مستوى ديني يختص بتوضيح معالم الدين للمسلمين وربطهم بعالم الغيب بالإشراف المطلق من الله سبحانه من خلال إنسان موكول بأمره، وتجسيد القدوة لهم من خلال من اتّصف بالكمال الإلهي، و"تطبيق الدين وهداية الناس بمعناها الإكمال –الإيصال إلى المطلوب– إلى الخلق القويم تشريعاً وآداباً و أخلاقاً" [2].

الثاني: مستوى دنيوي يختص بإدارة شؤون الدولة الإسلامية وقيادة الدولة ونظامها السياسي وتنظيم مواردها وأمور المسلمين فيها.

وهذا يعني ان الإمامة امتداد النبوة الخاتمة [3]، واستمرار الوظائف الرسالية التي كلّف بها النبي **محمد صلى الله عليه وآله وسلم** في جميع أبعادها الدينية والدنيوية لتحقيق أهداف الرسالة في هداية البشر إلى الدين القويم، وبسط حكومة الله جلّ وعلا في الأرض[4]، ودورها استمرار لدور النبوة في "قيادة المعركة التي يواجهها الأنبياء في المجتمعات الإنسانية، لإزالة كل الأمثلة المزيفة و الآلهة المصطنعة التي يخترعها الإنسان ويبتدعها"[5]، ومن هنا كانت الإمامة مهمة توصيلية مستمرة إلى آخر الزمان [6].

---

[1] ينظر : فلسفات إسلامية : ٣٩٢.

[2] المظاهر الإلهية : ٢٧/١.

[3] يخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإمام عليه السلام بقوله (لولا إني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة)، وقوله (أنت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي). شرح ابن أبي حديد : مجلد٤، ٩٣/١٣، مجلد٣، ٧٦/٩ على التوالي.

[4] ينظر : بداية المعرفة : ٢٦٨.

[5] الإمامة وأهل البيت : ٣٤.

[6] يقول الإمام عليه السلام (لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، وإما خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته). نهج البلاغة : قول١٤٧، ص٤٧٩.

وقد خصّ الله تعالى ذريّة رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** بالمهمة في حضور متتابع إذ (**إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ**)[1].

وقد جعل الله سبحانه وتعالى مودتهم صلة برسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم** وأجراً على ما تحمل من أعباء الرسالة، ليعود ذلك الأجر بالنفع على صاحبه[2]، لأنه يقودهم لما فيه صلاحهم وإصلاحهم في الدارين، فمهمتهم هداية للحق، وطريق موصل للكمال أما بالاقتداء بهم والتخلق بسماتهم ونهجهم القويم الذي لم يكن إلا طاعةً لله عزّ وجل وعبودية مطلقة وصلوا بها إلى الكمال، أو بطاعتهم التي لا سبيل لها إلا لمن حاول الاقتداء بالإمام **عليه السلام** الذي (**أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ**)[3]، وكلا الأمرين موصل إلى الآخر.

ومن هنا نجد تشديد النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** على محبة الإمام ومن بعده أهل بيته **عليهم السلام** ووصلهم[4]، فلا يصل إلى هذه المحبة من نظر إلى الإمامة نظرة جزئية قاصرة بما لا يتجاوز مستواها الدنيوي، لأن المستوى الديني مستمر ونافذ إلى آخر الزمان لا يتأثر بفكر قاصر أو نظرة جزئية[5]، وهذه الصلة صلة قلبية لا تتأثر –من جانب الإمام عليه السلام- بزمان، ولا يبعدها مكان، ولا يضرّها جهل أو تجاهل أو تنكر أو إنكار من الناس لمن خُصّ بالمقام الرسالي، إلا ان ذلك يعد قطعاً لرحم رسول الله **صلى**

---

[1] نهج البلاغة : خ١٠٠، ١٤٦.

[2] قال تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)) (سورة الشورى/٢٣)، وقال جلّ من قائل (ما سألتكم من اجرٍ فهو لكم) (سورة سبأ /٤٧)، "أي ليس في ذلك أجر لأن منفعة المودة تعود إليكم". المناقب : ٢٧٥.

[3] نهج البلاغة : خ٨٧، ص١١٩.

[4] قال الإمام الصادق عليه السلام (إن الطاعة مفروضة من الله عزّ وجل وسنّة أمضاها في الأولين كما يجريها في الآخرين والطاعة لواحد منّا والمودة للجميع). أصول الكافي : ٤٠٢/١.

[5] قال الإمام الصادق عليه السلام (لولا الله ما عرفنا، ولولا نحن ما عرف الله). التوحيد، الصدوق : ٢٩٠. فلا سبيل إلى عبادة الله حق عبادته إلا بهم، إذ يقول الإمام الصادق عليه السلام (بعبادتنا عبِد الله، ولولا نحن ما عبد الله). أصول الكافي : ٣٦٣/١.

الله **عليه وآله وسلم** التي أمر بمودتها، ولذا يصف الإمام **عليه السلام** ما حدث بعد وفاة رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** **(حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وآله رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ)**[1].

ولذا فقد قام الإمام **عليه السلام** بعد الفاصلة الزمنية بتولي المهام الرسمية للخلافة، واستكمال الدور الرسالي –المتصل بالمستوى الدنيوي– الذي خصّه به الله سبحانه وتعالى ودعا إليه الرسول المصطفى **صلى** الله **عليه وآله وسلم**، لتثبيت عرى الإسلام، وتطبيق الدين الإسلامي وما نزل به القرآن الكريم على اكمل وجه بالتأويل الحق الذي أراده الله سبحانه وتعالى وإحياء السنة وتثبيتها بعد التحريف الذي أصابها لعدم تدوينها، وتثبيت دور الإمام لإثبات الحجج من بعده، فبهم يحيا القرآن[2]، وبما يتجاوز حدود إيصال الرسالة إلى تجسيد مضامينها لتوصيل الناس جميعاً إلى الهداية المطلوبة، فتكون المهمة الرسالية للإمام **عليه السلام** مهمة توصيلية من جوانب عدة.

وقد أيّد الله عزّ وجل رسله بمعجزات توجب تصديقهم والإيمان برسالاتهم، فقد كان القرآن الكريم معجزة تحدى رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** العرب بآياتٍ منه، على الرغم من نزوله بما كانوا يتفاخرون به من شعرٍ وبيان، فالقرآن "كتاب دلّ على صدق متحّمله، ورسالة دلّت على صحة قول المرسل بها، وبرهان شهد له برهان الأنبياء المقدمين، وبيّنة على طريقة من سلف من الاولين، خيّرهم به إذ كان من جنس القول الذي زعموا انهم أدركوا فيه النهاية، وبلغوا فيه الغاية، فعرفوا عجزهم"[3]، فكان إعجازه لهم بكلام فاق

---

(1) نهج البلاغة : خ١٥٠، ص٢٠٩.

(2) يروى عن الإمام الصادق عليه السلام قوله (لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية مات الكتاب ولكنه حي يجري فيمن بقى كما جرى فيمن مضى) أي بوجود الإمام عليه السلام. أصول الكافي : ٢١٥/١.

(3) إعجاز القرآن، الباقلاّني (٤٠٣هـ)، صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١ : ١٨٩.

كلامهم وأخلاق تهذب أخلاقهم وتجليها وتكون حدّاً فاصلاً بين السحر والكهانة والجهل والخرافة وبين العلم المخزون فيه، فقد كان القرآن اعظم من ان تتحمله عقولهم.

لقد كانت الدعوة الإسلامية تحول عظيم في زمن قصير، ولا سيما فيما كان عليه حالهم، فقد تحولت البشرية إلى عصر جديد اثر الانقلاب الجذري الذي أحدثه القران الذي ضم بين دفتيه الرسالة السمحاء، فأخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان و ما تبع ذلك من اثر كبير على جميع نواحي الإنسانية، إذ كان القران دستوراً شاملاً لجميع نواحي الحياة وموجهاً للناس كافة مؤمنين وكفاراً، عرباً وأعاجم، يهوداً ونصارى.

ولم يكن القرآن نصّاً تشريعياً فحسب، بل كان القرآن معجزة خالدة تحدّت العرب، إذ نزل بلغتهم التي يتخاطبون بها وما اشتهروا به من فصاحة لم تستطع الوقوف بازاء بلاغة القران، فقد كان القرآن "أبلغ أثر أدبي عرفه العرب عبر العصور، وأوضح كتاب سماوي نزل به الوحي على ابلغ العرب لساناً، وأروعهم أسلوباً، وأطبعهم على البلاغة و البيان"(١)، فقد اعجب العرب بآيات القرآن وعجزوا أمام بلاغتها بعد ان تحداهم القرآن عن الإتيان بمثل بسورة واحدة منه.

إلا انبلاغة القرآن لم تكن تفّوقاً فحسب، بل كانت بلاغة معجزة، وعلوماً عميقة، وأخباراً تحكي ماضي الأمم، وتصف حاضرهم وتصور مستقبلهم، ولذا لم يكن فكرهم قادراً على الإحاطة بآياته، أو التعمق في العلوم الكامنة فيها، فقد كان يكفيهم تعلم تدوين الآيات وكتابتها في أمة لم تقرأ كتاباً(٢)، ولم يكن لها علم(٣)، "إذ لا يظهر التأويل الحق إلا بعد أزمان متطاولة ينضج فيها العقل البشري وتستجم آثاره وأدواته"(٤)، ولا سيما ان طبيعة الحياة "تأبى الطفرة، ولا تسلّم إلا بسنة التطور والارتقاء"(٥).

---

(١) أدب العرب في صدر الإسلام : ٤٦.

(٢) ينظر : نهج البلاغة : خ١٠٤، ص١٥٠.

(٣) ينظر : م.ن : خ١٩٦، ص٣١٠.

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ٣٠٠.

(٥) دراسات في نقد الأدب العربي : ٤٤.

أما الفصاحة التي فطر عليها العرب فقد مكّنتهم من فهم المعاني الأولى لآيات القران الكريم، وما يراد بظاهره، فكانوا يفهمونها ويتأثرون بها، فما إن يسمعوها حتى ترق لها نفوسهم حتى عند اشد الناس قسوةً ومكابرةً وعناداً– وتصل إلى قلوبهم وتستميلها، أما باطن القرآن الكريم وما فيه من معانٍ عميقة، وأسرار خفية، فتوصيله مهمة منوطة بالإمام **عليه السلام** ، فللقرآن باطن مثلما له ظاهر[1]، فالإمام مفتاح العلوم المخزونة في القرآن، والأحكام الكامنة فيه، فالإمام والقرآن إماما لا يفترقان خلفهما رسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**[2]، فالقرآن (**ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ**)[3] ، ومن بعده الإمام **عليه السلام** [4]، الذي يعد قرآناً ناطقاً فالقرآن (**النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى**)[5].

ولذلك نجد في خطاب الإمام **عليه السلام**وصفاً للمرجع الذي يعود إليه الناس مع القرآن، ولا سيما وان القرآن (**حمّال ذو وجوه**)[6]، والإمام **عليه السلام** هو الناطق عنه، إذ يقول الإمام (**ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَدَوَاءَ دَائِكُمْ وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ**)[7] وهو العالم بعلمه المكنون وحكمه.

---

[1] ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٣٣/١.

[2] وقد ورد بروايات عدّة. ينظر : محمد وعلي وبنوه الأوصياء : ١١٧-٢١٤.

[3] نهج البلاغة : خ١٨، ص٦١.

[4] قال الإمام الصادق عليه السلام (ان الله أدّب رسوله حتى قوّمه على ما أراد، ثم فوض إليه فقال عزّ ذكره ((ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)) فما فوض الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقد فوّضه تعالى إلينا). أصول الكافي : ٢٩٦/١، (سورة الحشر/٧).

[5] نهج البلاغة : خ١٧٦، ص٢٥٢.

[6] ينظر : م.ن : كتاب٧٧، ص٤٦٥.

[7] م.ن : خ١٥٨، ص ٢٢٣.

ولا يحيل الإمام **عليه السلام** مخاطبيه إلى سواه، حتى وإن تجاوزت إحالاته حدود الزمان والمكان، فالماضي الحق علمه عند الإمام **عليه السلام**، والحاضر مفتاحه بيده، لأن انقلاب موازين الأمور وخلط الحق بالباطل لا يسمح للناس برؤية الحق وإعادته إلى نصابه إلا من خلال من خص به، والمستقبل نبّأه به رسول الله **صلى** الله **عليه وآله وسلم** وهو الأعلم به[1].

وقد كان خطاب الإمام **عليه السلام** أول خطاب تتضح فيه عملية التوصيل بعد القرآن الكريم، "فالنص القرآني رسالة لسانية في حد ذاته و لكنه أيضاً شهادة عن رسالة عقائدية" [2]، وقد جاء القرآن بخطاب بلاغي معجز وآيات متساوقة مع الحوادث الداعية لنزولها وبأساليب متنوعة وتكييفها بما يتناسب مع عقولهم و مستمدة من بيئتهم المادية لتصوير الواقع تصويراً حياً، وفيه تشديد على أهمية السماع[3]، وترتيل آياته [4].

يزاد على ذلك ما اشتمل عليه القران من أوصاف تخص أطراف العملية من مرسل أول وهو الخالق إلى مرسل إليه وهو النبي **صلى** الله **عليه وآله وسلم** ليتحول إلى مرسل لقومه يبلغهم تلك الآيات وفيه وصف لقومه وأحوالهم المختلفة، لذا يمكننا القول إن عملية التوصيل وجدت متكاملة في أول كتاب مدون عند العرب، ولا سيما مع اقترانها بخطاب النبي **محمد صلى** الله **عليه وآله وسلم**.

والقرآن الكريم يمثل مرحلة انتقال من الارتجال إلى الكتابة، وتصوراً جديداً للعالم العربي إيذاناً بنهاية البداوة وبداية المدنية [5]، فقد كان الإسلام ثورة تغيير جذري في شتى مناحي الحياة الإنسانية في أمة لم تعهد نبوات سابقة ولم تعرف القراءة والكتابة[1]، وفي ذلك

---

[1] ينظر : نهج البلاغة : خ١٢٨، ص١٨٦.

[2] التفكير اللساني في الحضارة العربية : ١٣.

[3] في قوله تعالى ((وتعيها أذن واعية)) (سورة الحاقة/١٢).

[4] في قوله تعالى ((ورتّل القرآن ترتيلاً)) (سورة المزمل/٤).

[5] ينظر : صدمة الحداثة، أدونيس، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٧٨: ٢٣.

[1] قال تعالى ((هو الذي بعث في الأميين رسولاً)) (سورة الجمعة/٢)، ويراد بالأميين العرب سواء أكان المراد أهل مكة وفيهم أرسل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو يكون المراد من الآية عدم نزول كتاب سابق فيهم، أو عدم

يقول الإمام علي عليه السلام (إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ)[2]، مما أحدث انقلاباً جذرياً، إذ لم يكن العرب أصحاب ثقافة مثل اليونان وإن كانوا أصحاب فصاحة ولسان، وكان القرآن حدّاً فاصلاً بين الجهل والعلم، ولذا لم يكن خطاب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واقترانه بتبليغ الآيات النازلة كافياً لإثارة انتباههم إلى عملية التوصيل.

إلاّ ان التغيير الذي جاءت به النبوة الخاتمة لا يمكن أن يحدث دفعة واحدة وخلال سنوات لم تتجاوز عشرة من عمر الرسالة، فقد بدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببناء المجتمع وتنظيم حياته بعد ازدياد عدد المسلمين وهجرته إلى المدينة واستقرارهم فيها ثم بدأ بتنظيم أمور حياتهم وإدارتها.وقد كان التغيير الذي أحدثه هائلاً إذا ما قورن بالحالة التي كانوا عليها، إلا أن مرحلة الرسالة قد خصها لنشر الإسلام وتعليم المسلمين القراءة والكتابة لتعلم القرآن وتدوين آياته.

وقد كانت الكتابة هي العلم الذي انشغل المسلمون بتعلّمه بعد ان كان مفتتح صناعة الكتابة على يد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم[3]، فلم تمهلهم حروب الجهاد ونصرة الإسلام ولا المدّة القصيرة من عمر الرسالة لاحتذاء أساليب القران والنهل منها باستثناء اخذ آيات مباشرة بقصد تبليغها.

واستمر ذلك بعد وفاته، فقد كانت المرحلة الأولى للإسلام مرحلة جهاد وفترة انتقال "لاقتلاع جذور الوثنية وغرس العقيدة الإسلامية وما يتصل بها من المثل الأخلاقية

قدرتهم على قراءة كتاب. ينظر : جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري (٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ت : ١٢٠/٢٨.

[2] نهج البلاغة : خ٣٣، ص٧٧.

[3] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ٣٥٠.

والاجتماعية في القول والعمل"[1]، وتبعتها مرحلة تدوين القرآن ونشره والانشغال بالفتوحات إلى عهد الإمام **علي عليه السلام** الذي كان عصره مفتتحاً لعلوم شتّى.

وقد كان خطاب النبي **محمد صلى الله عليه وآله وسلم** مختلفاً عن خطاب الإمام **علي عليه السلام**، إذ كان النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** يلقي خطابه في زمن لم يكن للعرب فيه سوى الكلام، أما الإمام **عليه السلام** فقد كان يلقيه في زمن خرج فيه العرب، واختلطوا بالأمم المجاورة، واتسعت أذهانهم لتقبل الخطاب، ولا سيما مع سعيه لإثارة دفائن عقولهم، ودفعهم للتفكر في كل أمر قبل السير فيه.

وقد كان منصب الإمامة قناة إرسالية ناطقة ومرسلة، وخطاب الإمام **عليه السلام** يحاول بها استثارة مكامن القرآن وعلومه، والقرآن علم قبل ان يكون كتاباً، وصوت الإمام **عليه السلام** صوت مستثار ذلك العلم[2]، لأن "القرآن كتاب حياة"[3]، ومعجزة قائمة إلى آخر الزمان، و"لا زال التحدي قائماً بها حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين"[4]، ولفت أنظارهم إلى علومه وإعجازه، وحثهم على التفكير بآياته، وقد ابتدأهم الإمام **عليه السلام** بعلم النحو[5] ليكون مفتتحاً لدراسة القرآن انطلاقاً من لغته الإعجازية، فالإعجاز القرآني علم "جعله النبي **محمد صلى الله عليه وآله وسلم** عنوان ميراث النبوة فيما حملهم الله إيّاه واستأمنهم عليه"[6]، ولذا كانت دراسات إعجاز القرآن مفتتحاً لعلوم العرب، بكافة أنواعها دينية ودنيوية من عقائد وفقه وأخلاق وعلوم النفس والطبيعة والاجتماع وسوى ذلك[7]، فقد تجسدت فيه عملية التوصيل[1] مرتبطة بخطاب

---

(1) دراسات في نقد الأدب العربي : ٨٧.

(2) ينظر : نهج البلاغة : خ١٠٥، ص١٥٢.

(3) كيف نفهم القرآن، محمد رضا الحسيني، دار الفردوس، بيروت، ط١، ١٩٨٨ : ١١.

(4) الإعجاز العلمي للقرآن بين الظن والتحقيق، عبد الجليل عبد الرحيم : ٢٤٨.

(5) ينظر : شرح ابن أبي حديد : مجلد١، ١/١٧.

(6) الإعجاز العلمي للقرآن بين الظن والتحقيق : ٢٤٩.

(7) ينظر : علوم نهج البلاغة : ١٣-١٦١.

الإمام **عليه السلام** الذي توّجه به إلى مخاطبيه، فكان اجتماع أطراف الخطاب الثلاثة في خطب الإمام **علي عليه السلام**، وإحاطته بالموقف الذي كان الإمام يكيف خطابه بازائه، ليجمع تلك الأطراف ويوحدها صوت رسالي واحد وتدور جميعها حول مرجع واحد، فالإمام **عليه السلام** هو المخصوص بالمهمة التوصيلية، وخطابه **عليه السلام** هو الخطاب البلاغي الإعجازي بعد كتاب الله الذي تجسدت فيه عملية التوصيل، ولكن لأداء مهمة توصيلية.

فالإمام **عليه السلام** هو العلم الهادي، والقران الناطق عن القران الصامت الذي بنيت على أساسه الدولة الإسلامية، ولذلك فقد أوصى النبي **محمد صلى** الله **عليه وآله وسلم** أمته بالتمسك به مع القرآن، لكونه القرآن الناطق بالحق، فالإمام قرآن والقرآن إمام[2]؛ ولذا فقد جعلهما الله حبلاً ممدود من السماء إلى الأرض لا يفترقان، فالإمام حامل لعلوم القران وناطق بها والقران دون إمام صامت[3]، فالقرآن (**إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ**)[4]، ولذا فقد كان خطاب الإمام **عليه السلام** بلاغة رسالية وتوصيله إعجازاً لا يقل عن بلاغة القرآن أو إعجازه –وهو الناطق به–.

والإمام هو صاحب العلم الحقيقي، ومصدر العلوم كلها، وهو الأعلم بالسنة والأخص بها، ولاسيما مع كثرة الكذب على الرسول محمد **صلى** الله **عليه وآله وسلم**

---

(1) للتوصيل عملية قام عليها الخطاب النقدي بوصفها غاية العمل الأدبي التي تجمع طرفيه لتكون لغته سلكاً موصلاً بينهما. ينظر : مقدمة في النقد الأدبي : ٣٠.

(2) ينظر : الإنسان الكامل في نهج البلاغة، حسن الآملي، المعارف، إيران، ط١، ١٩٩٥: ١٨٢.

(3) يروى عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال (خذوا العلم قبل أن يذهب قالوا وكيف يذهب العلم يا نبي الله وفينا كتاب الله فغضب لا يغضبه الله ثم قال ثكلتكم أمهاتكم أو لم تكن التوراة والإنجيل في بني إسرائيل فلم يغنيا عنهم شيئاً ان ذهاب العلم ان يذهب حملته). سنن الدارمي، عبد الله بن بهرام الدارمي (٢٥٥هـ)، مطبعة الاعتدال، دمشق : ١/٧٧-٧٨.

(4) ينظر : نهج البلاغة : خ٢١٠، ص٣٢٥.

[1]، مثلما هو الأعلم بالقرآن وتأويله، وما تشتمل عليه آياته من قدرة أو هداية أو خلق أو حياة أو موت أو علم أو حكمة....الخ، و ما يتصل بمحكم القرآن ومتشابهه وأوقات نزوله، وناسخه ومنسوخه و...[2]، فالإمام **عليه السلام** حلقة وصل بين السماء والأرض.

لذا يشدد الإمام **عليه السلام** على المرجع بتشديده على اللسان من جانب بوصفه آلة النطق عند الإنسان ومرتبطة به، فاللسان (**بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ وَلَا يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ**)[3]، وتشديده على القائل به من جانب آخر، إذ (**إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي وَتُخْطِئُ السِّهَامُ وَيُحِيلُ الْكَلَامُ**)[4]، وتوجيههم إلى انتقاء القائل لكثرة الآراء وتعدد مصادر القول وأئمة الضلالة.

لقد كان خطاب الإمام **عليه السلام** ارتجالياً، لا يسبق بتحضير أو تهيئة، وإن اصبح ذلك مما يعد أصلاً في الخطيب [5]، إذ كان يشهد بتفّرده العدو قبل المحب، ويتجسّد ارتجاله ذلك بعدم تردده بازاء حق، أو تلعثمه في خطاب، وعدم تحبسه في جواب، فإن ورده سائل بادره بالسؤال وتبعه بالإجابة، ليفيض خطابه اعجازاً، فلا يتردد إلا خوفاً على سائله مما يعلمه في نفسه من عدم تحمل الجواب، كما في وصفه للمتقين[6].

وقد كان الإمام **عليه السلام** سريع البديهة، ولا سيما مع ما خصّ به الإمام **عليه السلام** من ذاكرة حافظة تمكنه من إرسال الخطاب، والحافظة "هي قوة تمكن النفس من حفظ المعاني التي يدركها العقل ثم تأديتها عند الحاجة"[7]، فكان لا يترك سؤالاً إلا وأجاب عنه بخطب يرتجلها دون تريث ولا تفكير[1] مماّ يعجز عنه سواه، والمسائل المنبرية المعقدة التي

---

[1] ينظر : نهج البلاغة : خ٢١٠، ص٣٢٥.

[2] ينظر : م.ن : خ١، ص٤٤-٤٥.

[3] م.ن : خ٢٣٣، ص٣٥٤.

[4] م.ن : خ١٤١، ص١٩٨.

[5] مقدمة في النقد الأدبي : ١٤٤.

[6] ينظر : نهج البلاغة : خ١٩٤، ص٣٠٧.

[7] علم الخطابة : ١٣٩/٢.

[1] ومنها الخطبة الخالية من الألف. ينظر : مستدرك نهج البلاغة ومداركه : ٤٤.

عرضت عليه والتي سئل عنها خير دليل على ذلك[٢]، فكانت بلاغته بلاغة معجزة متفردة تعبر عن علمه الغزير ومعرفته بما يدور في خلد مخاطبيه، وهو القادر على مخاطبتهم جميعاً، فتصيب أقواله ولا تخطئ مراميها، ولا تبتعد عن مقاصدها، ولا يحيل كلامه لسواه، وتستقبل كل نفس خطابه لتفهمه بما أراد الإمام **عليه السلام** إفهامها به، وبحسب استعدادها للتلقي.

ولذا لا عجب ان يكون "الإمام المرجع الأول لحل جميع المشكلات والمعضلات، والفيصل بين الحق والباطل، فلقد كان يسأل ويجيب بالهدى والحق"[٣]، ويشدد الإمام **عليه السلام** على هذه المرجعية بقوله (**وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِهَا**)[٤]، لتكون من بعده لأهل بيته **عليهم السلام**، فهم أهل بيت النبوة وموضع نزول الرسالة وانهم (**أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ**)[٥].

وأهل البيت **عليهم السلام** هم الرجال الذين لم تلههم تجارة ولا يشغلهم بيع عن ذكر الله[٦]، فهم (**عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَ شِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ**

---

[٢] ينظر : حياة الإمام علي عليه السلام، باقر شريف القرشي، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٩٩٩ : ٨٦/١.

[٣] فلسفات إسلامية : ٧٠.

[٤] نهج البلاغة : خ١٢٥، ص١٨٢.

[٥] م.ن : خ٢،ص٤٧.

[٦] في قوله تعالى ((يسبّح له فيها بالغدّو والآصال رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيْعٌ عن ذكر الله)) (سورة النور/٣٦-٣٧).

مِنَ الْمَلَكَةِ وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ)[1]، ومن وكله الله تعالى إلى نفسه وسار بغير دليل فهو جائر عن قصد السبيل[2].

ومن هنا فالإمام ومن بعده أهل بيته **عليهم السلام** هم أهل القرآن [3]، وأهل الذكر الذين خصّوا بالعلم[4]، وهم مصدر العلم الحقيقي، والراسخون فيه، وبهم **(يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَ يُسْتَجْلَى الْعَمَى)**[5]، وهم المرجع الأساس للخلق جميعاً، فهم حجة الله على الأرض التي لا تخلو من حجة إلى قيام الساعة.

ومن هنا لم تكن بلاغة خطاب الإمام **عليه السلام** بياناً فضّل به، ولا فصاحة زيّنت كلامه فحسب، بل كانت بلاغته علماً رسالياً بإيجاز لا يجانب الصدق ولا يحيد عنه، فبلاغته تسديد من الله جلّ وعلا لكلام متدبّر متمّعن فيه، وقدرة على التوصيل مثّل خطاب الإمام **عليه السلام** جانباً منها.

فالإمام **عليه السلام** هو المخصوص بالبلاغة الرسالية التوصيلية، المؤتمن على أداء المهمة الرسالية، سواء أكان ذلك بكلام أم خطاب أم دعاء أم...، فخطاب الإمام **عليه السلام** خطاب إعجازي ينفذ إلى قلوب مخاطبيه، ويثير دفائن عقولهم.

والإمام **عليه السلام** هو المرجع الأساس للعلم، والناطق به، والمخصوص لنصرة الإسلام، وإعلاء شأنه، وإعزاز المسلمين، "فما ابلغ نصرته له : تارة بيده وسيفه، وتارة بلسانه ونطقه، وتارة بقلبه وفكره، إن قيل : جهاد وحرب فهو سيد المجاهدين، وإن قيل:

---

(1) نهج البلاغة : خ٢٢٢، ص٣٤٢.

(2) ينظر : م.ن : خ١٠٣، ص١٤٩.

(3) يروى عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قوله (ان لله أهلين من الناس)، قالوا يا رسول الله : من هم؟ قال (هم أهل القرآن، أهل الله وخاصّته). سنن ابن ماجة : ٧٨/١.

(4) يروى عن الإمام علي بن الحسين في قوله تعالى ((فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)) (سورة الأنبياء/٧) انه قال (أمرهم ان يسألونا وليس علينا الجواب، ان شئنا اجبنا وإن شئنا امسكنا). أصول الكافي : ٢٣٧/١.

(5) نهج البلاغة : خ١٤٤، ص٢٠١.

وعظ وتذكير، فهو ابلغ الواعظين والمذكرين، وإن قيل : فقه وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين، وإن قيل : عدل وتوحيد، فهو إمام العدل والموحدين"[1].

ولذا لم يكن يوقف الإمام **عليه السلام** ما يجده عند مخاطبيه من جهل وغفلة [2]، بل كان يعمد إلى تحويل مخاطبيه إلى مقام إرسالي، والإمام **عليه السلام** في مقام خطابي، أي تبادل الأدوار ليكون مخاطبيه مفتتح الكلام و منطلق السؤال، وليكون خطابه جواباً لهم متأملاً أن يجد لعلمه طالباً.

ولذا كان العلم الرسالي هو الأساس الذي توجه به إليهم قائلاً (**سلوني**)، سواء أكان ذلك بعلمه الذي وسع السماوات والأرض، إذ يقول (**سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا**)[3]، أو لعلمه بالفتن وهو الذي فقأ عينها، ولولاه لم يجرؤ أحد على الوقوف بازائها، بوصفه السبيل المنجي منها إلى قيام الساعة[4]، أو لعلمه بالقرآن وتأويل آياته التي لا يعلمها إلا من واكب نزولها، وخصّ بمعانيها، أو لعلمه بالكتب السابقة، وهو القادر على محاججة أهلها وتفنيد افتراءاتهم الباطلة، ذلك العلم الذي تساوق مع العصمة التي خصّ بها للصفات الإيمانية التي تجسدت فيه، والعدل الذي نطق به كل جزء من أجزاء خطابه، ليحيلهم إلى المرجع الذي جعله الله تبارك وتعالى طريقاً واضحاً يسيرون خلفه و علماً هادياً يقتدون به، و مصدراً ناطقاً بالعلم دون سواه.

فقد كان وجود المرجع هو الأساس في خطاب الإمام **عليه السلام**، فيكون الإمام **عليه السلام** قطب رحى الخطاب كما هو قطب رحى الوجود[5]، ففي خطابه غالباً ما يضعهم بازاء نفسه ليكون الخطاب حلقة وصل بينه وبينهم بوصفه مرجعاً لهم راعياً لشؤونهم وبوصفهم رعية لقائدهم، فيكون طرفي الخطاب داخل الخطاب نفسه لا ليدلّهم على

---

(1) شرح ابن أبي حديد : مجلد٢، ٣٩٤/٧.

(2) ينظر : م.ن : مجلد٣، ١٤٧/٩.

(3) نهج البلاغة : خ١٨٩، ص٢٨٠.

(4) م.ن : خ٩٣، ص١٣٨.

(5) ينظر : م.ن : خ ١١٩، ص١٧٥-١٧٦.

صاحب العلم الحقيقي ومصدره فحسب، بل ليشدد في خطابه الروحي على الصلة الروحية التي تجمع مرسل الخطاب بمخاطبيه، ويذكرهم بالرابطة القلبية التي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها وجعلها صلةً به وهي مودة أهل بيته عليهم السلام[1]، ولذا يصف الإمام أهل البيت عليهم السلام بالقول (نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ)[2]، مثلما يصف محبيهم بالقول (اعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ يَصُونُونَ مَصُونَهُ وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ وَيَتَلَاقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ لَا تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغِيبَةُ عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ)[3].

وقد كان الإمام عليه السلام المرجع الأساس الذي خصّه الله تعالى بقيادتهم في طريق الحق فمفتاحه بيديه[4]، فقد كان الإمام عليه السلام "مرجع الصحابة في الفقه، وقدوة في الورع، تتفجر الحكمة من بيانه، وتتدفق البلاغة على لسانه" [5]، ولذا كان صوت الإمام عليه السلام خطابه صوتاً روحياً رسالياً خالداً لا صوتاً مادياً، فالإمام هو القناة الرسالية الناطقة بالحق الذي نزل به القران الكريم والقائد الهادي والعلم البادي الموصل إلى الحق بسيره في طريق الحق، فإن الله سبحانه وتعالى (لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ

---

[1] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وتوالي أولياء الله والتبرّي من أعدائه)، ويروى عن الإمام الصادق عليه السلام ما نقله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله (أنا المدينة وعلي الباب، وكذب من زعم انه يدخل المدينة من قبل الباب، وكذب من زعم انه يحبني ويبغض عليّاً صلوات الله عليه). أصول الكافي : ٢/٢٦٥،١٥٥ على التوالي.

[2] نهج البلاغة : خ١٠٩، ص١٦٢-١٦٣.

[3] م.ن : خ٢١٤، ص٣٣١.

[4] ينظر : م.ن : خ١٠٠، ص١٤٦.

[5] عصور الأدب العربي، محمد الكفائي ، دار النشر والتاليف، النجف، ١٩٤٩ : ٤٦.

إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِياً وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ)[1].

وفي خطاب الإمام **عليه السلام** يشدد على هذه الصلة لتوضيح العلاقة التي تربط بينه وبين مخاطبيه، وذلك تارة بإعطائهم صورة للعلاقة التي تربطه برسول الله **صلى الله عليه وآله وسلم**، أو صلة القرابة التي تجمعه به، وأخرى بوصف زمنهم الحالي، وثالثة عن المستقبل المتسبب عن التخلي عن صلتهم، فصلة أهل البيت الطريق المنجي لهم من مضلات الفتن، وقد يضع موقعه من الرسالة وموقعهم منها، ليشير منها إلى العلاقة التي افترضها الله عزّ وجل عليهم (المودة لأهل البيت)، وتشديد النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** عليها لتتركّز في شخص هو الإمام **علي** وذريته **عليهم السلام** من بعده، فهم السبب الموصل إلى الله تبارك وتعالى.

ولذا كان توجهه إليهم بسمات دون أخرى ولا سيما بالعلم الذي أنعم الله سبحانه به عليه، وجعله به حجةً على عباده، ولذا كانت مرتكزات الإرسال واضحة في خطاب الإمام **عليه السلام** بوصفه المرجع، وبوجود المرجع في خطاب الإمام **عليه السلام**، نجد طرفي الإرسال وبينهما الرسالة في خطاب الإمام **عليه السلام** أطرافاً ثلاثة تجسّد عملية التوصيل، لذا لم تكن سمات الإمام **عليه السلام** بعيدة عن خطابه الرسالي.

إذ يتوجّه الإمام **عليه السلام** إلى سامعيه بسمات دون أخرى، إذ لم يكن الفخر بها مراده[2]، وهو الذي كان يسبق جوابه لمن سأله عن علمه بالقول **(إني أحدّث بنعمة ربّي)**[3]، ولا استمالتهم إليه مقصده، فقد نلمح بعض سمات الإمام **عليه السلام** ترد في خطابه بشكل غير مباشر بوصفها إشعاعات رسالية لتكون لهم محل اقتداء للتخلق بصفات كان سابقاً إليها متفوقاً فيها، وما يرد منها في موضع إنكار فيتجه لهم لمحاججتهم بها لكونها

---

(1) نهج البلاغة : خ١٨٣، ص٢٦٦.

(2) يقول الإمام عليه السلام (ما لابن آدم والفخر : أوله نطفة، وآخره جيفة، ولا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه). م.ن : قول ٤٥٤، ص٥٥٥.

(3) أنساب الأشراف : ٩٨.

كانت لإمامهم وشهدها الجميع، وهذا ممّا أدّى إلى وضوح المرسل بوصفه الطرف الأول من عملية التوصيل.

وقد كان اختلاف العصر وعودة المجتمع إلى ما كان سابقاً لعهد الرسول **صلى الله عليه وآله وسلم**، وتوجه الإمام **عليه السلام** بصوته الرسالي الخالد، لمعالجة ذلك المجتمع بطبّه، وإصلاحه بدعوة الحق التي حمل لواءها، وجعل خطابه صورة لذلك المجتمع تضع أمامهم ما سبق عهد الرسول صلى الله عليه واله وسلم، وما ساد فيه، وما تبعه، للنهوض بذلك المجتمع، وإعلاء راية الحق، فكان ذلك سبباً في وضوح المخاطب في خطاب الإمام **عليه السلام** بوصفه الطرف الثاني في عملية التوصيل.

وكان الإمامة النظام المحكم الذي خصّ الله سبحانه وتعالى بها المجتمع، وأنعم الله عزّ وجل بها لتكون امتداداً للنبوة الخالدة قدوةً وقيادة، ومن ثم تخصيص الإمام **عليه السلام** لخطابه لإعادة بناء المجتمع ونظامه المحكم بذلك الخطاب، سواء كانت حكمة أو موعظة أو دعوة أو جهاداً بوصفها الطرف الثالث في عملية التوصيل.

وقد كان الإمام **عليه السلام** -بوصفه مرجعاً-محوراً يشد أجزاء الخطاب إلى بعضها، ويسري في أنواعه ليصل بينها بعلاقات وثيقة تصل الخطاب بطرفيه، ومن خلال متابعة الإمام **عليه السلام** للعلاقات التي تربط أطراف العملية من خلال وصفه لسياسته معهم، وتصوير مدى استجابتهم وطاعتهم، وموقفهم بازائه تارة، وبازاء خطابه تارة اخرى، وبلاغته في أداء مهمة توصيلية تعد امتداد لمهمة الأنبياء التبليغية، كل ذلك جعل عملية التوصيل واضحة في خطاب الإمام **عليه السلام**، ولا سيما انه كان وسيلة توصله بمخاطبيه، وبناءً متكاملاً، ونظاماً حيوياً فاعلاً شكّل جزءاً من مهمته التوصيلية.

الخاتمة

الخاتمة

ارتقت الخطابة عند العرب بخطاب الإمام **علي عليه السلام** الرسالي الخالد الذي كان جزءا من المهمة التوصيلية التي خصّ بها.وقد حاولت في بحثي دراسة خطب الإمام **علي عليه السلام** دراسة توصيلية محاولةً التعّرف على جانب من قدرة الإمام **عليه السلام** التوصيلية التي تجلت في بلاغة خطابه وجعلته إعجازياً ، وعلى عملية التوصيل بأطرافها الثلاثة (المرسل، المخاطب، الخطاب) التي تجسدت في ذلك الخطاب بوصفها الأساس الذي قام عليه النتاج النقدي.

وقد أمكن الوصول إلى بعض النتائج منها:-

- كانت الخطابة أول فن تجلت فيه مظاهر عملية التوصيل بشكلٍ حسّي واعتمدها النقاد في أولى مؤلفاتهم عند اليونان أو العرب على السواء.

- لقد تزامن الخطاب القرآني مع خطاب الرسول **صلى الله عليه و اله و سلم** في إيصاله أول تجسيد لعملية التوصيل، إلا إن افتقاد العرب للتدوين أخّر تناول العملية التوصيلية إلى ما بعد قرنين من الزمان، فكان اقترانها بالخطابة في أولى المؤلفات دليل على اعتماد تلك المؤلفات على خطابٍ رسالي قريب من عهد التدوين والتأليف.

- كان الإمام **علي عليه السلام** مبتدأ كل علم، ومفتتح كل حكمة، ولأن العلم الوحيد للعرب هو الكلام الذي نزل فيه القران، لذا كان علم النحو أول علم ابتدأ الإمام **عليه السلام** بتعليمه للحفاظ على سلامة القران من جانب وليكون مفتتحاً لبقية العلوم من جانب آخر، ولقد تزامن ذلك مع التدوين الذي بدأ يتسع بعد تدوين القران في كتاب ونسخه في مصاحف.

- تجسدت عملية التوصيل في خطاب الإمام **عليه السلام** وتمثلت بأطراف ثلاثة مرتبطة في ما خُص به خطابه من إقامة الحق وتصحيح انحراف المجتمع ، فكان النقد مرتبطاً بالبلاغة في

أولى المؤلفات النقدية **(البيان والتبيين)** ارتباط بلاغة خطاب الإمام الرسالي بنقده للمجتمع و محاولة إصلاح انحرافه.

- تجسَّد الطرف الأول (المرسل) بدور رسالي فرضه الله تعالى وبسمات قيادية وفضائل مخصوصة انعكست إشعاعات رسالية في خطابه من جانب، وبمرتكزات توجه بها لمخاطبيه من جانب آخر.

- تجسد الطرف الثاني (المخاطب) في التوجه الخطابي للإمام **عليه السلام** لمن خُصَّ به خطابه واعتلائه منبر الإرسال، وإرسال صوته لإعلاء كلمة الحق وإصلاح المجتمع، الأمر الذي جعل خطابه مرآة صافية تعكس أحوال المجتمع وسمات مخاطبيه، وتجسد الأمراض التي أصابته واستفحلت فيه، وتصف العلاج الناجع لها.

- تجسّد الطرف الثالث (الرسالة)خطابا رسالياً بـُني في نظام محكم، أوجد أجزاء للخطاب (ابتداءاً، وغرضاً، وخاتمة) وإن لم يقصد لها الإمام **عليه السلام** وجمع أنواعه (الديني، والسياسي، والجهادي) ليكون خطاباً خالداً، لا يؤثر فيه كثرة اقتطاع، ولا يداخله شك، ولا ينقضه كلام.

- الفصاحة والبيان سمتان اتسم بهما كلام العرب لذا كانت معجزة النبي **محمد صلى الله عليه وآله وسلم** مواعظ وحكم من جنس ما اشتهروا به ،إلاّ انها تفردت ببلاغة أعجزتهم عن القول بمثلها، فالبلاغة سمة خُصّ بها القران المعجز والنبوة الخالدة ثم خطاب الإمامة الخالد فكانت بلاغة شمولية لا تُحدّ بلفظ ولا تُخصّ بمعنى ولا تقف عند نظم، بل هي بلاغة إيجاز في القول وعمق في المعنى تزامن مع الإفهام بمعاني الحق الذي رفع رايته الإمام **عليه السلام** عاليا.

- لم يكن صوت الإمام **عليه السلام** صوتاً مادياً يعتمد على فنٍ إلقائي ليتوقّف تلقي مخاطبيه على سماعهم لذلك الخطاب، بل كان صوته روحياً يصدر عن علم رسالي لا مثيل له

ليصل إلى القلوب كيفما كان تلقيها لذلك الخطاب قراءةً أو سماعاً، وخطابه رسالياً يفصح عن المهمة التي كُلِّف بها الأنبياء بمخاطبة الناس على قدر عقولهم.

- الإمامة نظام أحكمه الله تبارك وتعالى، فهي امتداد للنبوة من جانب، وقناة توصيلية عنها من جانب آخر وحفظ للذكر الذي أنزله الله تعالى من جانب ثالث، فالإمام **عليه السلام** هو الدليل الذي اجتمع مع كتاب الله عز وجل ليكون وصلاً بين السماء والأرض، يعكس الأسوة الحسنة التي أوصى الله سبحانه بها الناس لنبيه **صلى الله عليه واله وسلم** في مقام القدوة ويرفع راية الإسلام عالية بقيادته له.

- لقد كان خطاب الإمام **عليه السلام** الأساس الذي بُنيت عليه أُولى المؤلفات النقدية، إلا أن عدم تزامن ابتداء التدوين مع خطاب الإمام **عليه السلام** ابتعد به عنه، ووجود سلطة أُمية ومن بعدها بني العباس في خط مغاير لخط الإمام **عليه السلام** ابتعد بالبلاغة عمّا كانت عليه عند الإمام **عليه السلام** وحّولها إلى بلاغة شكلية اعتمد عليها النقد، وكانت وصلاً بين القديم منه والحديث في دراسة المص بعيداً عن مؤلفه.

- لقد هيمنت الإمامة على خطاب الإمام عليه السلام ،فكانت صلةً جمعت مرسل الخطاب بمخاطبيه، ثم حلقةً جمعت أجزاء الخطاب ووصلت بين أنواعه، فجعلت نظامه محكماً وبناءه رصيناً، ولا سيما ان هدف الخطاب عقائديٌّ يصله بالقرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، وغايته الوصول إلى قلوب مخاطبيه لإيصالهم إلى ما فيه سعادتهم في الدارين.

-اتضحت أطراف عملية التوصيل في خطاب الإمام **عليه السلام** من خلال المقام الرسالي الذي بدا واضحا في خطاب الأمام **عليه السلام** بوصفه -وأهل بيته من بعده **عليهم السلام**- المرجع الذي انعمبه الله تعالى على خلقه قرآناً ناطقا وفيصلاً بين الحق والباطل ،قدوة للأمة الإسلامية وقائدا لها،علماً بادياً وعالماً هادياً، لتتجلى في خطاب الإمام **عليه السلام** الرابطة القلبية التي أوصى بها النبي الأكرم **صلى الله عليه وسلم** لتكون وصلا به من جانب، ونجاة لمن تمسك بها من جانب اخر فيكون خطابه **عليه السلام** تذكرة لهم وحجة عليهم.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

-أئمة أهل البيت، محمد باقر الصدر، شريعت، إيران، ط١، ١٤٣٥هـ.

-الاحتجاج، الطبرسي، الأعلمي، بيروت، د.ت.

-إحقاق الحق وإزهاق الباطل، نور الله الحسيني التستري، المطبعة الإسلامية، إيران، ١٩٦٦.

-أدب العرب في صدر الإسلام، حسين الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٩٩٢.

-الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، حبيب يوسف مغنية، دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٢.

-الأدب والدلالة، تودوروف، ترجمة : محمد نديم، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٦.

-الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان بن المعلّم أبي عبد الله العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (٤١٣هـ)، الأعلمي، بيروت، ط٥، ٢٠٠١.

-الإسلام والفن، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

-الأسلوب، احمد الشايب، مكتبة النهضة، القاهرة، ط٦، ١٩٦٦.

-الأسلوب والأسلوبية نحو بديل ألسني في نقد الأدب، عبد السلام المسدي، مطبعة الاتحاد العام التونسي، تونس، د.ط، ١٩٧٧.

-الأسلوبية، بيرو جيرو، ترجمة : منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، د.ط.

-أصوات اللغة، عبد الرحمن أيوب، دار التأليف، مصر، ط١، ١٩٦٣.

-أصوات اللغة العربية، عبد الغفار حامد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٩٩٦.

-أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار الأسوة، إيران، ط٤، ١٤٢٤هـ.

-الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ناظم عودة خضر، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٧.

-أصول النقد الأدبي، احمد الشايب، النهضة، مصر، ط٧، ١٩٦٤.
-الإعجاز العلمي للقرآن بين الظن والتحقيق، عبد الجليل عبد الرحيم، من بحوث المؤتمر الأول للإعجاز القرآني، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ١٩٩٠.
-إعجاز القرآن، الباقلاّني (٤٠٣هـ)، صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١.
-إعجاز القران والبلاغة النبوية، الرافعي، المكتبة التجارية، مصر، ط٨، ١٩٦٩.
-الألفين، العلامة الحلي (٧٢٦هـ)، كيميا، إيران، ط١، ١٤٢٥هـ.
- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ)، تحقيق : طه محمد الزيني، دار الأندلس، النجف، ١٩٦٧.
-الإمامة وأهل البيت، محمد باقر الحكيم، المركز الإسلامي المعاصر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
-الإمام علي بن أبي طالب، عبد الفتاح عبد المقصود، مكتبة العرفان، بيروت، د.ت.
-الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سيرة وتاريخ، محمد حسن آل ياسين، المكتب العالمي، بيروت، ط١، ١٩٧٨.
-الإمام علي رجل الإسلام المخلد، عبد المجيد لطفي، النعمان، النجف، ١٩٦٧.
-الإمام علي في الأحاديث النبوية، محمد إبراهيم الموحد، دار الأنصار، قم، ط١، ٢٠٠٢.
-الإمام علي ومشكلة نظام الحكم، محمد طي، مركز الغدير، إيران، ط٢، ١٩٩٧.
-الأمثال في نهج البلاغة، محمد الغروي، فيروز آبادي، قم، ١٤٠١هـ.
-أمثال القران وأمثال الحديث، ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق : موسى بياي العليل، مطبعة الجاحظ، بغداد.
-أنساب الأشراف، البلاذري، تحقيق : محمد احمد المحمودي، الأعلمي، بيروت، ط١، ١٣٩٤هـ.
-الإنسان الكامل في نهج البلاغة، حسن الآملي، المعارف، إيران، ط١، ١٩٩٥.

-أهل البيت سماتهم وحقوقهم في القران الكريم، جعفر السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إيران، ط١، ١٤٢٠هـ.
-أوجه البلاغة الثلاثة، ناصرحلاّوي، الأقلام، بغداد، ع١١-١٢، س٢٧، ١٩٩٢.
-البحث البلاغي عند العرب، أحمد مطلوب، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٢.
-بداية المعرفة منهجية حديثة في علم الكلام، حسن مكي العاملي، الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٢.
-البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٥.
-البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، سليمان زادة، إيران، ط١، ١٣٨٢هـ.
-البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩.
-البلاغة العربية قراءة اخرى، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧.
-البلاغة العربية ووسائل الاتصال، محمد بركات، الآفاق العربية، الأردن، ع٦، س٢، ٢٠٠٢.
-البناء الصوتي في البيان القرآني، محمد حسن، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٩٨٨.
-البناء الفني في الرواية العربية في العراق، شجاع العاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٤.
-بنية الخطاب النقدي، حسين خمري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٩٠.
-بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، ترجمة : محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٨٦.
-بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستري، دار أمير، طهران، ط١، ١٩٩٧.
-البيان في مداخل الشيطان، عبد الحميد البلالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٩٨٦.

-البيان والتبيين، الجاحظ، (١٢٥٥هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي، بيروت، د.ت.
-تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري(٣١٠هـ) ،تحقيق : نخبة من العلماء، الأعلمي، بيروت، د.ت.
-تاريخ بغداد، احمد ابن الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
-تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ابن شعبة الحّراني، رابطة أهل البيت، إيران، ١٣٧٦هـ.
-التحليل النقدي والجمالي للأدب، عناد غزوان، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥.
-التصوير الفني في خطب الإمام علي عليه السلام، عباس علي الفّحام، رسالة ماجستير، كلية التربية-جامعة الكوفة، ١٩٩٩.
-تفضيل أمير المؤمنين، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق : علي الكعبي، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٩٩٣.
-التفكير الصوتي عند الخليل، حلمي خليل، دار المعرفة، مصر، ط١، ١٩٨٨.
-التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، ١٩٨١.
-تلخيص البيان في مجازات القران، الشريف الرضي، تحقيق : محمد عبد الغني، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٦.
-تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق : عبد القادر احمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦.
-التوجيه الادبي، طه حسين، وزارة المعارف، مصر،١٩٥١.
-التوحيد، كمال الحيدري، جواد علي الكسار،دار فرقد، إيران، ط٣، ١٤٢٤هـ.

-التوحيد، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تحقيق : هاشم الحسيني، قم، ١٣٨٧هـ .

-جامع البيان في تفسير القران ، ابن جرير الطبري (٣١٠ هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ت.
-الجمل، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحقيق : علي شريفي، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، ط٢، ١٣٧٤هـ.
-الجمل وصفين والنهروان، أبو مخنف الأزدي (١٥٧ هـ)، تحقيق : حسن حميد السنيد، دار الإسلام، لندن، ط١، ٢٠٠٢.
-حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية، بيروت، ط٤، ١٩٩٧.
-حضارة العرب في عصر الجاهلية، حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط٢، ١٩٨٩.
-حياة الإمام علي عليه السلام، باقر شريف القرشي، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
-حياة محمد، محمد حسين هيكل، مصر، ط٥، د.ت.
-خصائص الأئمة، الشريف الرضي (٤٠٦هـ)، تحقيق : محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٠٦هـ.
-خصائص أمير المؤمنين، أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، تحقيق : محمد هادي الأميني، مكتبة نينوى الحديثة : ٨٨.
-الخطابة، أرسطو، تحقيق : عبد الرحمن بدوي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠.
-الخطابة، نقولا فياض، إدارة الهلال، مصر، ١٩٣٠.
-الخطابة العربية في عصرها الذهبي، إحسان النص، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣.
-الخطابة وفن الإلقاء، أشرف محمد موسى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٨.

-الخطبة كنثر فني، عثمان بو غانمي، تونس، ١٩٧٨.
-خطب الخلفاء الراشدين (دراسة أسلوبية)، إيمان خليفة حامد، رسالة دكتوراه، كلية التربية-جامعة الموصل، ٢٠٠٢.
-خلفاء الرسول، خالد محمد خالد، دار الفكر، بيروت.

-دراسات في نقد الأدب العربي، بدوي طبانة، مكتبة الانجلو،مصر، ط٤، ١٩٦٥.
-دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الدولية بيروت، ط٤، ٢٠٠١.
-دراسة الأدب العربي، مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٩٨١.
-دلالة الالفاظ، ابراهيم أنيس، مكتبة الانجلو، مصر، ط٣، ١٩٧٢.
-دليل المتحيرين في بيان الناجين، علي آل محسن، دار الصفوة، بيروت، ط١، ١٩٩٤.
-دليل الناقد الأدبي، ميجان الويلي وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠.
-دولة الإمام علي عليه السلام، محسن الموسوي، دار البيان العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
-رسائل الجاحظ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٤.
-الرمز في قصة إبراهيم، احمد العبيدي، دائرة معارف الفقه الإسلامي، ط١، ١٩٩٨.
-الزمن في حركة العاملين، حسين الشامي، دار الإسلام، لندن.
-سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ)، مكتبة محمد علي، مصر، ١٩٦٩.
-سنن ابن ماجة، القزويني (٢٧٥هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
-سنن أبي داود، سليمان السجستاني (٢٧٥هـ)، تحق : سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
-سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي (٢٧٩هـ)، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
-سنن الدارمي، عبد الله بن بهرام الدارمي (٢٥٥هـ)، مطبعة الاعتدال، دمشق.
-سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣ هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١٩٩٠،١.
-السياسة الإدارية في فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بين الأصالة والمعاصرة، خضير كاظم، ١٩٩٩.
-سيرة المرتضى، محمد علي الحسني، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٩٦.
-السيرة النبوية، ابن هشام (٢١٣هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

-شـــرح نهـــج البلاغـــة، عـــز الـــدين أبـــو حامـــد عبـــد الحميـــد المعـــروف بـــابن أبي حديد (٦٥٦هـ)، الأعلمي، بيروت، ١٩٩٥.
-شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (٦٧٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢.
-شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري، جودت فخر الدين، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٨٤.
-الشيطان على ضوء القرآن، عادل علوي، المؤسسة الإسلامية، قم، ط١، ١٤٢٣هـ.
-صحائف من نهج البلاغة، محمد جعفر الكرباسي، الجاحظ، بغداد، ط١، ١٩٩١.
-الصحاح، إسماعيل ابن حماد الجوهري، تحقيق : احمد عبد الغفور عطا، دار العلم، بيروت.
-صحيفة الأبرار، ميرزا محمد تقي (١٣١٢هـ)، تحقيق : مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، الأعلمي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
-صدمة الحداثة، أدونيس، دار العودة، بيروت،ط١، ١٩٧٨.
-كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ)، دار الفكر العربي، تحقيق : علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، ط٢، د.ت.
-الطبقات الكبرى، ابن سعد الزهري (٢٣٠ هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.
-ظاهرة القسم في القران الكريم، فارس علي، أنوار الهدى، قم، ط١، ١٤١٤هـ.
-ظاهرة النص القرآني تاريخ ومعاصرة، سامر إسلامبو، الأوائل، سوريا، ط١، ٢٠٠٢.
-العبد الصالح، محمد فاضل المسعودي، التوحيد، إيران، ط٢، ١٤٢٤هـ.
-عبقرية الإمام علي، عباس العقاد، دار التربية، بغداد، ٢٠٠١.
-عصر الانطلاق (الخلفاء الراشدون)، محمد سعد أطلس، الأندلس، بيروت.
-عصور الأدب العربي ،محمد الكفائي، دار النشر والتأليف، النجف، ١٩٤٩.
-علم الأصوات العام، بسام بركة، مركز الإنماء القومي، لبنان.
-علم الخطابة، لويس شيخو، الآباء اليسوعيين، بيروت، د.ت.

-علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، اتحاد الكتب، دمشق، ٢٠٠١.
-علم اللغة العام (الأصوات)، كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٧٩.
-علوم نهج البلاغة، محسن باقر الموسوي، دار العلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
-علي ميزان الحق، محمد حسين فضل الله، إعداد : صادق اليعقوبي، دار الملاك، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.
-العين، الخليل الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الميلاد، قم، ط١، ١٤١٤هـ.
-الفتنة الكبرى، طه حسين، دار المعارف، مصر، ط٦، ١٩٦٦.
-فصول في اللغة والنقد، نعمة رحيم العزاوي، المكتبة المصرية، بغداد، ط١، ٢٠٠٤.
-فضائل الصحابة، احمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
-فلسفات إسلامية، محمد جواد مغنية، دار التعارف، بيروت، ١٩٧٨.
-فكر ابن خلدون العصبية والدولة، محمد الجابري، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
-فن الخطابة، احمد الحوفي، دار النهضة، مصر، ط٤، ١٩٧٢.
-فن الخطابة والتبليغ الاسلامي، شمران العجلي، مؤسسة البلاغ،بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
-فن الخطابة وتطوره عند العرب، إيليا حاوي، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
-الفن ومذاهبه في النثر، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٤، ١٩٦٥.
-في رحاب نهج البلاغة، مرتضى المطهري، الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٩٢.
-في الشعرية، كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٧.
-في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، دار العلم، بيروت، ط٢، ١٩٧٨.
-في النقد والأدب، إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٥، ١٩٨٦.
-القراءة وتوليد الدلالة، حميد الحمداني، المركز الثقافي، المغرب، ط١، ٢٠٠٣.
-القرآن إعجاز يتعاظم، شاكر عبد الجبار، الحوادث، بغداد، ط١، ١٩٨٥.

-القضاء والنظام القضائي عند الإمام علي (ع)، محسن باقر الموسوي، الغدير، بيروت، ط١، ١٩٩٩.
-قضايا الشعرية، رومان ياكبسون، ترجمة : محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، المغرب، ط١، ١٩٨٨.
-قضية البنيوية، عبد السلام المسدي، المطبعة العربية، تونس، ط١، ١٩٩١.
-قواعد البلاغة، مصطفى النوراني، مكتبة أهل البيت، طهران، ط١، ١٤٢٢.
-الكامل في التاريخ، ابن الأثير (٦٣٠)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ.
- الكامل في اللغة والأدب، المبرّد (٢٨٥هـ)، المعارف، بيروت.
-كيف نفهم القرآن، محمد رضا الحسيني، دار الفردوس، بيروت، ط١، ١٩٨٨ : ١١.
-لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت.
-اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي (تلازم التراث والمعاصرة)، محمد رضا مبارك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٣.
-اللغة في الأدب الحديث، جاكوب كورك، ترجمة : ليون يوسف وعزيز عمانوئيل، دار المأمون، بغداد، ط١، ١٩٨٩.
-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير (٦٣٧هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط١، ١٩٣٩.
-مجمع البيان في تفسير القران، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٦٠هـ)، تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين، الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
-محاضرات في الصوت والمعنى، رومان ياكبسون، ترجمة : حسن ناظم وعلي حاكم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤.
-محمد وعلي وبنوه الاوصياء، نجم الدين العسكري، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٥٩.

-مذاهب النقد ونظرياته في إنجلترا قديماً وحديثاً، فائق متى إسحاق، مكتبة الانجلو، مصر، د.ت.

-مراعاة المخاطب في كتاب سيبويه، كريم حسين، المورد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ع٣، مجلد٣٠، ٢٠٠٢.

-مستدرك الحاكم، النيسابوري (٤٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦.

-مستدرك نهج البلاغة ومداركه، الهادي كاشف الغطاء، الأندلس، بيروت.

-مسند احمد، احمد بن حنبل (٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت.

-مصادر نهج البلاغة، عبد الله نعمة، دار الهدى، بيروت، ١٩٧٢.

-مصادر نهج البلاغة وأسانيده، عبد الزهراء الخطيب، الأعلمي، بيروت، ١٩٧٥.

-مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، ابن طلحة الشافعي (٦٥٢)، دار الكتب، النجف، د.ت.

-المظاهر الإلهية في الولاية التكوينية، فاضل الصفار، مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

-معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة (عليهم السلام)، محمد الكاشاني، مكتبة الصدوق، إيران، ١٣٨٨هـ.

-معالم الفكر الرسالي المسؤول، احمد ناصر، الثقافة الرسالية.

-معايير تحليل الأسلوب، ريفاتير، ترجمة : حميد الحمداني، دراسات سال، الدار البيضاء، د.ت.

-المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تركيا، ١٩٨٩.

-مقدمة في النظرية الأدبية، تيري ايغلتن، ترجمة : إبراهيم جاسم العلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

-مقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، المؤسسة العربية للدراسات، بغداد، ١٩٧٨.

-مكانة المتلقي في نقد القرن الرابع الهجري، بشرى موسى، الموقف الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع٢١، س٤، ١٩٩٩.

-ملامح من عبقرية الإمام، مهدي محبوبة، الزهراء، بغداد، ١٩٦٧.
-الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق : محمد بدران، مصر، ١٩٥٦.
-مناظرات الرسول المصطفى ص والإمام علي مع اليهود والنصارى، محمد علي دخيل، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٢.
-من الفقه السياسي في الإسلام، محمد صالح، دار الحياة، بيروت، ١٩٧١.
-المناقب، الخوارزمي (٥٦٨ هـ)، مؤسسة النشر، قم، ١٤٢١هـ.
-المنطق، محمد رضا المظفر، إسماعيليان، قم، ط١١، ١٣٨٣هـ.
-النثر الفني في القرن الرابع الهجري، زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥.
-النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، عبد الحكيم بلبع، الاستقلال، مصر، ط٣، ١٩٧٥.
-النص الأدبي تحليله وبناؤه، إبراهيم خليل، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٩٥.
-نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٣، ١٩٨٧.
-نظرية التلقي مقدمة نقدية، روبرت هولب، ترجمة : عز الدين إسماعيل، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط١، ١٩٩٤.
-نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث، سحر كاظم الشجيري، رسالة ماجستير، كلية التربية – جامعة بابل، ٢٠٠٣.
-نظرية المنهج الشكلي، ترجمة : إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢.
-النظرية النقدية عند العرب حتى نهاية القرن الرابع الهجري، هند حسين، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١.
-النقد الأدبي، احمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٦٧.
-النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار النهضة، مصر، د.ت : ٢٦.
-النقد الأدبي عند اليونان، بدوي طبانة، دار الثقافة، بيروت،١٩٨٦.
-نهج البلاغة، ضبط وتعليق : صبحي الصالح، أنوار الهدى، إيران، ط٣، ١٤٢٥هـ.

-الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، هاشم يحيى الملاح، جامعة الموصل، ١٩٩١.

ABSTRACT

The present thesis is devoted to the orations Al-Imam Ali-Bin-Abi-Talib (peace is upon him) from Nahj ul-Balagha as a conduction study.

The progress of Arab oration such as all science fields are associated with Al-Imam Ali orations, his oration are considered as the beginning of these science such Syntax science or at least the main exciting of people minds for reaching to deferent science.

The conduction theory that was started at recent critical is not new with regard to Arab, its origins are extended to Al-Bayan & Al-Tabyeen book. This book contains the elements of the conduction theory.

The ancient studies are based on Al-Imam Ali orations because of the clarification of the operation from these orations, the operation is represented by the sending extremities.

In this thesis, chapter one is concerning on studying the sending extremities. The first extremity of oration is sender who was very clear through that oration, this clarification is attributed to the several factors such as the sending role that is devoted to him, the characteristics of sender that made him possessing alone, and the supports that helped to address his oration. The sending role is active and its effects are great.

Al-Imam Ali was climbed the sending platform and addressed to his addressees in a period of time that characterizes with deviation of society and this problem cannot be solved without the truth voice, Al-Imam orations were reflected the characteristics of that society.

Chapter two is talking about the sending oration of Al-Imam Ali that was built in a compact manner unifies its parts and made him immortal along years.

Chapter three concerning the eloquence of orations of Al-Imam

Ali we found the speech characterizes with incompatible summarization, infinite deepness, high ability of understanding to his addressees which cannot be obtained in the society of Al-Imam and any other society.

Al-Imam Ali orations were sent to the hearts of his addressees without their ears throughout a sending science that dose not found to any one except him. These characteristics give spiritual immortal oration along years.

These orations have great effect on selves and proved the conductivity task that was closed the Prophecy. Al-Imam Ali was left by the prophet Mohammed for people as a leader light and a guide lead the people to the deathless life of the self.

Fatin Fadhil Al-Obaidi

B